أدب الألفاظ في السنة النبوية الشريفة

دراسة دلالية

لسبعة أحاديث من كتاب

"مشكاة المصابيح" للتبريزي (ت ٧٤١ هـ)

أ.د / مصطفى أحمد محمد إسماعيل

أستاذ أصول اللغة المساعد

في كلية اللغة العربية بالمنوفية

١٤٤٠هـ - ٢٠١٩م

ض

ض

عنوان البحث آدب الألفاظ في السنة النبوية الشريفة -دراسة دلالية لسبعة أحاديث من كتاب"مشكاة المصابيح" للتبريزي

اسم الباحث مصطفى أحمد محمد إسماعيل
الإيميل الجامعي: mostafaesmaiel.lan@azhar.edu.eg
التوصيف الأكاديمي: أستاذ مساعد بقسم أصول اللغة بكلية اللغة العربية بالمنوفية

الكلمات المفتاحية: أدب الألفاظ

ملخص البحث

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على سيدنا محمد ﷺ وبعد:

فحاولت في هذا البحث إبراز مظاهر الأدب في الألفاظ، والتماس أوجه الإعجاز اللغوي في هذه الأحاديث النبوية، من خلال المقارنة بين ما قاله علماؤنا القدامى حين أسموه «**تحسين العبارة**» (١)، وما أضافه علماؤنا المحدثون، حين أطلقوا عليه «**حسن التعبير**» (٢) أو« **تلطيف التعبير**» (٣)، وأدخلوه تحت علم اللغة الاجتماعي.

وقد اقتضت خطة هذا البحث أن يكون من مقدمة، ومبحثين أحدهما تنظيرٌ لأدب الألفاظ في القرآن والسنة والفرق بينه وبين المحظور اللغوي، وثانيهما تطبيق على خمسة أحاديث نبوية في محاولة لإبراز أوجه الإعجاز اللغوي فيها، ثم جاءت الخاتمة، وثبت لأهم مراجع ومصادر البحث، وآخر لموضوعاته.

واللهَ أسأل السداد في القول والعمل، وصلى اللهم وسلم على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم.

---

(١) الصاحبي في فقه اللغة لابن فارس ص٢٠٠.

(٢) دور الكلمة في اللغة ص١٧٧.

(٣) علم الدلالة: د/ أحمد مختار عمر ص١٤٠.

الأزهر الشريف
مكتب الإمام الأكبر شيخ الأزهر
مركز الأزهر للترجمة
Al-Azhar Center for Translation ACT

Lexical Euphemism in the Prophet's Holy Tradition: A Semantic Study of Seven *Aḥādīth* (Sayings) from *Mishkatu-l-Maṣābīḥ*" by At-Tabrīziy (d.741H)

By Dr. Mostafa Ahmad Muhammad Ismael,
Assistant Professor, Department of Philology,
College of Arabic, Menoufeyah, Al-Azhar University
mostafaesmaiel.lan@azhar.edu.eg

Abstract

This research paper attempts to point out the aspects of euphemism in Hadith vocabulary, and to seek the linguistic inimitability in some of the Prophet's sayings. This has been achieved by comparing what the earlier scholars called "the improvement of the utterance" and what the current scholars call "the skill of expression" or "euphemism" and classified it under the major of sociolinguistics. The research paper consists of an introduction, two sections, and a conclusion. The first section deals with the theoretical aspects of lexical euphemism in the Qur'ān and the Prophet's sayings, and how euphemism contrasts with linguistic taboo. The second section presents an applied study of five Prophetic sayings, in an attempt to show the linguistic inimitability in them.

Key words: euphemism – lexemes

المقدمة

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على سيدنا محمد ﷺ الذي أنزل عليه قوله تعالى: ﴿ وَأَنزَلَ ٱللَّهُ عَلَيْكَ ٱلْكِتَٰبَ وَٱلْحِكْمَةَ وَعَلَّمَكَ مَا لَمْ تَكُن تَعْلَمُ ۚ وَكَانَ فَضْلُ ٱللَّهِ عَلَيْكَ عَظِيمًا ﴾[النساء:١١٣]، وبعد:

فمعلوم أن لغة« الْقُرْآنِ فِي أَعْلَى طَبَقَاتِ الْبلاغة، وَأَرْفَعِ دَرَجَاتِ الْإِيجَازِ وَالْبَيَانِ، بَلْ تَجَاوَزَتْ حَدَّ الْإِحْسَانِ وَالْإِجَادَةِ إِلَى حيِّزِ الْإِرْبَاءِ وَالزِّيَادَةِ» (١)، قال الراغب الأصفهاني(ت٥٠٢ هـ): « ألفاظ القرآن هي لبّ كلام العرب وزبدته، وواسطته وكرائمه، وعليها اعتماد الفقهاء والحكماء في أحكامهم وحكمهم، وإليها مفزع حذّاق الشعراء والبلغاء في نظمهم ونثرهم»(٢)، ،فَأَرْشَدَهُمْ إِلَى اسْتِعْمَالِ الْحَسَنِ فِي الْأَخْلَاقِ وَالْأَفْعَالِ، فكذلك أرشدهم إلى الأدب في المنطق، واستعمال الحسن منه وَهَجْرِ الْقَبِيحِ فِي الْأَقْوَالِ، فقال ﷺ: « إِنَّ اللهَ لَا يُحِبُّ الْفُحْشَ وَالتَّفَحُّشَ»(٣) وأمرهم باصطفاء الألفاظ واختيار أفصحها وأحسنها وأبعدها عن النكران، ومن ذلك ما ثبت عَنْ عَائِشَةَ ﵂، عَنِ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ: «**لاَ يَقُولَنَّ أَحَدُكُمْ خَبُثَتْ نَفْسِي، وَلَكِنْ لِيَقُلْ لَقِسَتْ نَفْسِي**»(٤)، قال العلامة النووي(ت٦٧٦ هـ) في أثناء شرحه لهذا الحديث: « **عَلَّمَهُمْ**

(١) الجامع لأحكام القرآن ٧٧/١.
(٢) المفردات في غريب القرآن ص٥٥.
(٣) صحيح مسلم (٢١٦٥/١٧٠٧/٤) وتَفَحَّشَ فِي كَلامِه، وتَفَحَّشَ عَلَيْهِم بِلسانِه، إِذا بَذَا (التاج: ف ح ش).
(٤) أخرجه البخاري في صحيحه: كتاب الأدب، بَابُ لاَ يَقُلْ: خَبُثَتْ نَفْسِي ٦١٧٩/٤١/٨.

الْأَدَبَ فِي الْأَلْفَاظِ، وَاسْتِعْمَالَ حَسَنِهَا، وَهِجْرَانَ خَبِيثِهَا»(١).

وتأثرًا بهذا النص الأخير للعلامة المُحدِّث اللغوي محيي الدين النووي (ت٦٧٦ هـ) كانت فكرة وعنوان هذا البحث، الذي حاولت فيه إبراز مظاهر الأدب في الألفاظ، والتماس أوجه الإعجاز اللغوي في هذه الأحاديث النبوية، وكان ميدان التطبيق سبعة أحاديث صحيحة من كتاب " **مشكاة المصابيح**"(٢)، لأبي عبد الله محمد بن عبد الله الخطيب التبريزي (ت: ٧٤١ هـ).

---

(١) شرح النووي على مسلم ٨/١٥ وشرح السيوطي على مسلم ٢٦٦/٥ ومرقاة المفاتيح شرح مشكاة المصابيح ٣٠٠٣/٧.

(٢) مشكاة المصابيح للتبريزي من كتب التجميع المهمة، عكف الناس عليه، وشرحوه واختصروه وخدموه، إذ أُلِّف عليه تسعة شروح ومختصرات، من أشهرها شرح علي القاري (ت ١٠١٤ هـ) المسمى بـ " مرقاة المفاتيح" ، وله شرح حديث حافل يسمى " مراعاة المفاتيح " لعبيد الله المبارك كفوري (ت: ١٤١٤هـ) من علماء الهند، قال التبريزي في مقدمة كتابه:" كَانَ «كِتَابُ الْمَصَابِيحِ» - الَّذِي صَنَّفَهُ الْإِمَامُ مُحْيِي السُّنَّةِ، قَامِعُ الْبِدْعَةِ، أَبُو مُحَمَّد الْحُسَيْن بن مَسْعُود الْفراء الْبَغَوِيُّ، رَفَعَ اللَّهُ دَرَجَتَهُ - أَجْمَعَ كِتَابٍ صُنِّفَ فِي بَابِهِ، وَأَضْبَطَ لِشَوَارِدِ الْأَحَادِيثِ وَأَوَابِدِهَا. وَلَمَّا سلك -ﷺ - طَرِيق الِاخْتِصَارِ، وحذف الْأَسَانِيدَ، تَكَلَّمَ فِيهِ بَعْضُ النُّقَّادِ، وَإِنْ كَانَ نَقْلُهُ - وَأَنَّهُ مِنَ الثِّقَاتِ - كَالْإِسْنَادِ، فاستخرت الله تَعَالَى، واستوفقت مِنْهُ، فأعلمت مَا أغفله، فأودعت كل حَدِيث مِنْهُ فِي مقره كَمَا رَوَاهُ الْأَئِمَّة المتقنون، وَالثِّقَاتُ الرَّاسِخُونَ، مِثْلُ أَبِي عَبْدِ اللَّهِ مُحَمَّدِ بْنِ إِسْمَاعِيلَ الْبُخَارِيِّ، وَأَبِي الْحُسَيْنِ مُسْلِمِ بْنِ الْحَجَّاجِ الْقُشَيْرِيِّ، وَأَبِي عَبْدِ اللَّهِ مَالِكِ بْنِ أَنَسٍ الْأَصْبَحِيِّ، وَأَبِي عَبْدِ اللَّهِ مُحَمَّدِ بْنِ إِدْرِيسَ الشَّافِعِيِّ، وَأَبِي عَبْدِ اللَّهِ أَحْمَدَ بْنِ مُحَمَّدِ بْنِ حَنْبَلٍ الشَّيْبَانِيِّ، وَأَبِي عِيسَى مُحَمَّدِ بْنِ عِيسَى التِّرْمِذِيِّ، وَأَبِي دَاوُدَ سُلَيْمَانَ بْنِ الْأَشْعَثِ السِّجِسْتَانِيِّ، وَأَبِي عَبْدِ الرَّحْمَنِ أَحْمَدَ بْنِ شُعَيْبٍ النَّسَائِيِّ، وَأَبِي عبد الله مُحَمَّد بن يزيد بن مَاجَه الْقَزْوِينِيِّ، وَأَبِي مُحَمَّدٍ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عَبْدِ الرَّحْمَنِ الدَّارِمِيِّ، وَأَبِي الْحَسَنِ عَلِيِّ بْنِ عمر الدَّارَ قُطْنِيِّ... ، وَغَيْرِهِمْ ... . (مشكاة المصابيح ٣/١)..

وقد اقتضت خطة هذا البحث أن يكون من مقدمة، ومبحثين أحدهما يمثل الإطار التنظيري لأدب الألفاظ في القرآن والسنة والفرق بينه وبين المحظور اللغوي، وكان ثانيهما تطبيقا على سبعة أحاديث نبوية، في محاولة لإبراز أوجه الإعجاز اللغوي فيها، ثم جاءت الخاتمة، وثبتٌ لأهم مراجع ومصادر البحث، وآخر لموضوعاته، واللهَ أسأل السداد في القول والعمل ﴿وَمَا تَوْفِيقِيٓ إِلَّا بِٱللَّهِۚ عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ وَإِلَيْهِ أُنِيبُ﴾[هود:٨٨]، وصلى اللهم وسلم على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم.

كتبه/
مصطفى أحمد محمد إسماعيل
أستاذ أصول اللغة المساعد بكلية اللغة العربية بالمنوفية
جريس ـ أشمون ـ منوفية
الجمعة ٢٢ ذو الحجة ١٤٤٠ هـ = ٢٣/ ٨/ ٢٠١٩م.
Email: mostafaesmaiel.lan@azhar.edu.eg

ض

المبحث الأول:
الإطار النظري للبحث

وفيه أربعة مطالب:

المطلب الأول: **أثر السنة النبوية في تهذيب ألفاظ اللغة وأساليبها.**

المطلب الثاني: **أدب الألفاظ والأساليب في ضوء القرآن الكريم.**

المطلب الثالث: **مظاهر أدب الألفاظ في السنة النبوية.**

المطلب الرابع: **مصطلح (أدب الألفاظ) والمصطلحات المناظرة له.**

ض

المطلب الأول:
أثر السنة النبوية في تهذيب ألفاظ اللغة وأساليبها.

لقد كانت البلاغة القرآنية والفصاحة النبوية من أسباب رقي اللغة، بالإضافة إلى ما أفاضه الإسلام على عقول متبعيه بواسطة القرآن والحديث من العلوم، وبما نتج عن تعارف الشعوب والقبائل والتئام بعضها ببعض من الأفكار ومطارحة الآراء(١)،" والحق الذي لا مراء فيه أن اختيار اللفظة ووضعها في موضعها حسب المقام ومقتضى الحال تلك موهبة لا تنال بالمراس وحده، وملكة لا يؤتاها إلا القليل من الناس، ولا سيما وأنت أمام لغة مترادفاتها ولكل منها مقام يحدده الذوق وملكة أدبية لا تخضع لقياس، ولا توزن بميزان، ولعل كثرة الاطلاع وتعهد النماذج الأدبية الرفيعة بالقراءة وكثرة المداولة مما ينمي هذه الملكة ويهذبها حتى تكتمل أو تدنو من الكمال، وهي في القرآن الكريم في أعلى مرتبة من حسن الانتقاء وملكة الاختيار" (٢)، وتأتي في المرتبة الثانية السنة النبوية الصحيحة التي نشأ صاحبها ـ ﷺ ـ نشأة لغوية صافية، فكانت قريشٌ -وهو منها- أفصحَ العرب ألسنةً، وأخلصهم لغة، وأعذبهم بياناً؛ ارتفعوا عن لهجات رديئة اعترضت في مناطق العرب، فسلمت بذلك لغتهم، وكان هؤلاء القوم أنضاد(٣) النبيﷺ من أعمامه وأهله وعشيرته، فنشأ ﷺ نشأة

(١) دراسات في العربية وتاريخها: محمد الخضر حسين ص١٢٢، ١٢٣ (بتصرف).
(٢) الجدول في إعراب القرآن ٢٦٨/٢٠.
(٣) نَضَدَ الشيءَ: جَعَلَ بعضَه عَلَى بَعْضٍ مُتَّسِقاً أَو بَعْضَهُ عَلَى بَعْضٍ، والنَّضَدُ الاسْمُ، وهُوَ مِنْ حرِ المتاعِ يُنَضَّدُ بَعْضُهُ فَوْقَ بَعْضٍ، وَذَلِكَ الْمَوْضِعُ يُسَمَّى نَضَداً. وأَنضادُ الجِبالِ: جَنادِلُ بعضُها فَوْقَ بَعْضٍ؛ وَكَذَلِكَ أَنضادُ السَّحَابِ: مَا تراكبَ مِنْهُ (لسان العرب: (ن ض د)، وَيُقَال لفُلَان نضد عز وَشرف، وهم نضد فلَان: من يتقوى بهم من أَعْمَامه وأخواله (المعجم الوسيط: ن ض د ٩٢٨/٢).

لغوية له فيها رتبة بعيدة المصعد"(١).

كان ﷺ بليغ المنطق، فصيح الكلام، واضح البيان، إذا نطق تأنى في نطقه، وأتى بكلامه بيناً مفصلاً جملة جملة، وكلمة كلمة، وحرفاً حرفاً يفهمه السامع ويعيه، وهذا من فصاحته وحرصه على إفهام المخاطب، وقد نزه الله منطقه ﷺ عن التمتمة والفأفأة، وجعله جارياً على السليقة العربية الأصيلة، لا تصنع فيه ولا تكلف(٢)، فهو أفصحُ الخلْق على الإطلاق ـ... بَلَغَ فِي الْعِلْمِ إِلَى الْحَدِّ الَّذِي لَمْ يَبْلُغْهُ أَحَدٌ مِنَ الْبَشَرِ قَالَ تَعَالَى فِي حَقِّهِ: ﴿فَأَوْحَىٰٓ إِلَىٰ عَبْدِهِۦ مَآ أَوْحَىٰ﴾ [النَّجْم: ١٠] وَفِي الْفَصَاحَةِ إِلَى أَنْ قَالَ: « **أُعْطِيتُ جَوَامِعَ الْكَلِمِ** »(٣) (٤)، أَيْ: قُوَّةَ إِيجَازٍ فِي اللَّفْظِ مَعَ بَسْطٍ فِي الْمَعْنَى، فَأُبِينُ بِالْكَلِمَاتِ الْيَسِيرَةِ الْمَعَانِيَ الْكَثِيرَةَ(٥). قال الجاحظ(ت٢٥٥ هـ): « لم يسمع الناس بكلام قط أعم نفعا، ولا أقصد لفظا، ولا أعدل وزنا، ولا أجمل مذهبا، ولا أكرم مطلبا، ولا أحسن موقعا، ولا أسهل مخرجا، ولا أفصح معنى، ولا أبين في فحوى، من كلامه ﷺ » (٦).

وقال الخطابي(ت٣٨٨ هـ): اعلم أن اللهَ لما جعل رسوله ﷺ موضع

---

(١) إعجاز القرآن والبلاغة النبوية ص٢١٤.

(٢) منار القاري شرح مختصر صحيح البخاري ٢٤٦/٤.

(٣) صحيح مسلم (٥٢٣/٣٧١/١) وتمامه: عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ ﷺ، أَنَّ رَسُولَ اللهِ ﷺ قَالَ: " فُضِّلْتُ عَلَى الْأَنْبِيَاءِ بِستٍّ: أُعْطِيتُ جَوَامِعَ الْكَلِمِ، وَنُصِرْتُ بِالرُّعْبِ، وَأُحِلَّتْ لِيَ الْغَنَائِمُ، وَجُعِلَتْ لِيَ الْأَرْضُ طَهُورًا وَمَسْجِدًا، وَأُرْسِلْتُ إِلَى الْخَلْقِ كَافَّةً، وَخُتِمَ بِيَ النَّبِيُّونَ " .

(٤) مفاتيح الغيب ٥٢٤/٦.

(٥) مرقاة المفاتيح ٣٦٧٥/٩.

(٦) البيان والتبيين ١٣/٢.

البلاغ من وَحْيه، ونَصَبه مَنْصب البيان لدينه، اختار له من اللغات أعربها، ومن الألْسُن أفصحها وأبينها، ثم أمدَّه بجوامع الكَلِم... ومِنْ فصاحته أنه تكلم بألفاظ اقْتَضَبَها لم تُسْمَع من العرب قبله، ولم توجد في مُتقدّم كلامها كقوله: ... « **حَمِيَ الْوَطِيسُ**»(١)،

«**لاَ يُلْدَغُ الْمُؤْمِنُ مِنْ جُحْرٍ وَاحِدٍ مَرَّتَيْنِ**»(٢) في ألفاظ عديدة تَجْري مَجْرى الأمثال، وقد يدخل في هذا إحْداثُه الأسماء الشرعية (٣).

وقَالَ الْقَاضِي عِيَاضٌ(ت٥٤٤ هـ): « وَأَمَّا فَصَاحَةُ اللِّسَانِ وَبَلاغَةُ الْقَوْلِ فَقَدْ كَانَ ﷺ مِنْ ذَلِكَ بِالْمَحَلِّ الْأَفْضَلِ، وَالْمَوْضِعِ الَّذِي لَا يجهل، سَلَاسَةَ طَبْعٍ، وَبَرَاعَةَ مَنْزِعٍ، وَإِيجَازَ مَقْطَعٍ، وَنَصَاعَةَ لَفْظٍ، وَجَزَالَةَ قَوْلٍ، وَصِحَّةَ مَعَانٍ، وَقِلَّةَ تَكَلُّفٍ، أُوتِيَ جَوَامِعَ الْكَلِمِ، وَخُصَّ بِبَدَائِعِ الْحِكَمِ، وَعُلِّمَ

---

(١) أخرجه مسلم في صحيحه(١٧٧٥/١٣٩٨/٣) بلفظ : «هَذَا حِينَ حَمِيَ الْوَطِيسُ»، هُوَ بِفَتْحِ الْوَاوِ وَكَسْرِ الطَّاءِ الْمُهْمَلَةِ وَبِالسِّينِ الْمُهْمَلَةِ، قَالَ الْأَكْثَرُونَ: هُوَ شِبْهُ التَّنُّورِ يُسْجَرُ فِيهِ وَيُضْرَبُ مَثَلًا لِشِدَّةِ الْحَرْبِ الَّتِي يُشْبِهُ حَرُّهَا حَرَّهُ، وَقَدْ قَالَ آخَرُونَ: الْوَطِيسُ هُوَ التَّنُّورُ نَفْسُهُ، وَقَالَ الْأَصْمَعِيُّ: هِيَ حِجَارَةٌ مُدَوَّرَةٌ إِذَا حَمِيَتْ لَمْ يَقْدِرْ أَحَدٌ يَطَأُ عَلَيْهَا فَيُقَالُ الْآنَ حَمِيَ الْوَطِيسُ، وَقِيلَ هُوَ الضَّرْبُ فِي الْحَرْبِ، وَقِيلَ هُوَ الْحَرْبُ الَّذِي يَطِيسُ النَّاسَ أَيْ يَدُقُّهُمْ، قَالُوا وَهَذِهِ اللَّفْظَةُ مِنْ فَصِيحِ الْكَلَامِ وَبَدِيعِهِ الَّذِي لَمْ يُسْمَعْ مِنْ أَحَدٍ قَبْلَ النَّبِيِّ ﷺ (شرح النووي على مسلم ١١٦/١٢ والنهاية في غريب الحديث والأثر٤٤٧/١ ولسان العرب: (و ط س).

(٢) صحيح البخاري (٦١٣٣/٣١/٨) قَالَ الْخَطَّابِيُّ هَذَا لَفْظُهُ خَبَرٌ وَمَعْنَاهُ أَمْرٌ، أَيْ لِيَكُنِ الْمُؤْمِنُ حَازِمًا حَذِرًا لَا يُؤْتَى مِنْ نَاحِيَةِ الْغَفْلَةِ فَيُخْدَعُ مَرَّةً بَعْدَ أُخْرَى، وَقَدْ يَكُونُ ذَلِكَ فِي أَمْرِ الدِّينِ كَمَا يَكُونُ فِي أَمْرِ الدُّنْيَا وَهُوَ أَوْلَاهُمَا بِالْحَذَرِ .... وَقَالَ أَبُو عُبَيْدٍ: مَعْنَاهُ: وَلَا يَنْبَغِي لِلْمُؤْمِنِ إِذَا نُكِبَ مِنْ وَجْهٍ أَنْ يَعُودَ إِلَيْهِ ... وَهَذَا هُوَ الَّذِي فَهِمَهُ الْأَكْثَرُ (فتح الباري ٥٣٠/١٠).

(٣) المزهر للسيوطي ١٦٥/١. وينظر: الصاحبي في فقه اللغة ص٧٨، وفي علم اللغة الاجتماعي: د. عبد المنعم عبد الله محمد ص٩٩ - ١٢٠.

أَلْسِنَةَ الْعَرَبِ، فَكَانَ يُخَاطِبُ كُلَّ أُمَّةٍ مِنْهَا بِلِسَانِهَا، وَيُحَاوِرُهَا بِلُغَتِهَا، وَيُبَارِيهَا فِي مَنْزَعِ بَلَاغَتِهَا، حَتَّى كَانَ كَثِيرٌ مِنْ أَصْحَابِهِ يَسْأَلُونَهُ فِي غَيْرِ مَوْطِنٍ عَنْ شَرْحِ كَلَامِهِ وَتَفْسِيرِ قَوْلِهِ، مَنْ تَأَمَّلَ حَدِيثَهُ وَسِيَرَهُ عَلِمَ ذَلِكَ وَتَحَقَّقَهُ » (١).

وهكذا، كان-ﷺ- وحُقّ لسنته الشريفة أن يكون لها هذا الجو اللغوي، ومن ثم كان واجبا علينا نشرها؛ إذ هو عامل من أهم عوامل ترقية اللغة، وتربية الذوق، والتنشئة الدينية واللغوية والتربوية الصحيحة.

(١) الشفا بتعريف حقوق المصطفى ١/٧٠.

المطلب الثاني:
أدب الألفاظ والأساليب في ضوء القرآن الكريم

بَلَاغَةُ الْقُرْآنِ فِي أَعْلَى طَبَقَاتِ الْإِحْسَانِ، وَأَرْفَعِ درجاتِ الْإِيجَازِ وَالْبَيَانِ، بَلْ تَجَاوَزَتْ حَدَّ الْإِحْسَانِ وَالْإِجَادَةِ إِلَى حَيِّزِ الْإِرْبَاءِ وَالزِّيَادَةِ(١)، وأَصْلُ هَذَا الْبَابِ: قَوْله تَعَالَى: ﴿وَقُل لِّعِبَادِي يَقُولُوا۟ ٱلَّتِى هِىَ أَحْسَنُ ۚ إِنَّ ٱلشَّيْطَٰنَ يَنزَغُ بَيْنَهُمْ ۚ﴾[الإسراء:٥٣]، فَالشَّيْطَانُ يَنْزَغُ بَيْنَهُمْ إِذَا كَلَّمَ بَعْضُهُمْ بَعْضًا بِغَيْرِ الَّتِي هِيَ أَحْسَنُ، فَرُبَّ حَرْبٍ وَقُودُهَا جُثَثٌ وهَامٌ(٢)، أَهَاجَهَا الْقَبِيحُ مِنَ الْكَلَامِ(٣)، وَهَذَا تَأْدِيبٌ عَظِيمٌ فِي مُرَاقَبَةِ اللِّسَانِ وَمَا يَصْدُرُ مِنْهُ... وَالْمَقْصِدُ الْأَهَمُّ مِنْ هَذَا التَّأْدِيبِ تَأْدِيبُ الْأُمَّةِ فِي مُعَامَلَةِ بَعْضِهِمْ بَعْضًا بِحُسْنِ الْمُعَامَلَةِ وَإِلَانَةِ الْقَوْلِ، لِأَنَّ الْقَوْلَ يَنُمُّ عَنِ الْمَقَاصِدِ، بِقَرِينَةِ قَوْلِهِ: ﴿إِنَّ ٱلشَّيْطَٰنَ يَنزَغُ بَيْنَهُمْ ۚ﴾.

وهاك بعض الأمثلة التي تظهر كيف أصّل القرآن الكريم لقضية أدب الألفاظ والعبارات:

١ ـ ذكر ابن فارس (ت٣٩٥ هـ) أن" الكناية لها بابان: **أحدهما** أن يُكْنى عن الشيء فيذكر بغير اسمه تحسيناً للفظ أو إكراماً للمذكور، وذلك كقوله جلّ ثناؤه: ﴿وَقَالُوا۟ لِجُلُودِهِمْ لِمَ شَهِدتُّمْ عَلَيْنَا ۖ﴾[فصلت:٢١]، قالوا:

---

(١) الجامع لأحكام القرآن ٧٧/١.

(٢) الهَامَة: الرَّأْس، والجمع: هَامٌ، وقيلَ: مَا بَيْنَ حَرْفَيِ الرَّأْسِ، وقِيلَ: هِيَ وَسَطُ الرَّأْسِ ومُعْظَمُهُ، مِنْ كُلِّ شَيْءٍ، وقَالَ أَبُو زَيْدٍ: أَعْلَى الرَّأْسِ، وفِيهِ النَّاصِيَةُ والقُصَّةُ، وهُمَا: مَا أَقْبَلَ مِنَ الجَبْهَةِ، مِنْ شَعْرِ الرَّأْسِ، وفيهِ: المَفْرِقُ، وهُوَ فَرْقُ الرَّأْسِ بَيْنَ الجَبِينَيْنِ إِلَى الدّائِرَةِ (تاج العروس: هـ ي م).

(٣) الطرق الحكمية ص٤١.

إن الجلود في هذا الموضع كناية عن آراب الإنسان (١)، وكذلك قوله جلّ ثناؤه: ﴿وَلَٰكِن لَّا تُوَاعِدُوهُنَّ سِرًّا﴾ [البقرة:٢٣٥] إنه النكاح (٢)، كذلك: ﴿أَوْ جَآءَ أَحَدٌ مِّنكُم مِّنَ ٱلْغَآئِطِ﴾ [النساء:٤٣] [المائدة:٦]، والغائط: مطمَئِن من الأرض. كل هذا تحسين اللفظ والله ـ جلّ ثناؤه ـ كريم يكْني كما قال في قصة عيسى وأمه ـ عليه السلام ـ: ﴿مَّا ٱلْمَسِيحُ ٱبْنُ مَرْيَمَ إِلَّا رَسُولٌ قَدْ خَلَتْ مِن قَبْلِهِ ٱلرُّسُلُ وَأُمُّهُۥ صِدِّيقَةٌ ۖ كَانَا يَأْكُلَانِ ٱلطَّعَامَ ۗ﴾ [المائدة:٧٥]، كنايةٌ عما لا بدّ لآكل الطعام منه (٣)، والكناية التي للتبجيل قولهم: "أبو فلان" صيانة لاسمه عن الابتذال، والكُنى مما كان للعرب

---

(١) عدّ ابن عاشور(ت١٣٩٣هـ) هذا التفسير غريبا، فقال:" وَمِنْ غَرِيبِ التَّفْسِيرِ قَوْلُ مَنْ زَعَمُوا أَنَّ الْجُلُودَ أُرِيدَ بِهَا الْفُرُوجُ وَنُسِبَ هَذَا لِلسُّدِّيِّ وَالْفَرَّاءِ، وَهُوَ تَعَنُّتٌ فِي مَحْمِلِ الْآيَةِ لَا دَاعِيَ إِلَيْهِ بِحَالٍ، وَعَلَى هَذَا التَّفْسِيرِ بَنَى أَحْمَدُ الْجُرْجَانِيُّ فِي كِتَابِ «كِنَايَاتِ الْأُدَبَاءِ» فَعَدَّ الْجُلُودَ مِنَ الْكِنَايَاتِ عَنِ الْفُرُوجِ وَعَزَاهُ لِأَهْلِ التَّفْسِيرِ فَجَازَفَ فِي التَّعْبِيرِ" (التحرير والتنوير ٢٤/٢٦٧) .

(٢) اخْتَلَفَ الْعُلَمَاءُ فِي مَعْنَى قَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿سِرًّا﴾ فَقِيلَ، مَعْنَاهُ نِكَاحًا، أَيْ لَا يَقُلِ الرَّجُلُ لِهَذِهِ الْمُعْتَدَّةِ تَزَوَّجِينِي، بَلْ يُعَرِّضُ إِنْ أَرَادَ، وَلَا يَأْخُذُ مِيثَاقَهَا وَعَهْدَهَا أَلَّا تَنْكِحَ غَيْرَهُ فِي اسْتِسْرَارٍ وَخُفْيَةٍ،... وِ﴿سِرًّا﴾ عَلَى هَذَا التَّأْوِيلِ نُصِبَ عَلَى الْحَالِ، أَيْ مُسْتَسِرِّينَ. وَقِيلَ: السِّرُّ الزِّنَا، أَيْ لَا يَكُونَنَّ مِنْكُمْ مُوَاعَدَةٌ عَلَى الزِّنَا فِي الْعِدَّةِ ثُمَّ التَّزَوُّجُ بَعْدَهَا.... وَقِيلَ: السِّرُّ الْجِمَاعُ، أَيْ لَا تَصِفُوا أَنْفُسَكُمْ لَهُنَّ بِكَثْرَةِ الْجِمَاعِ تَرْغِيبًا لَهُنَّ فِي النِّكَاحِ فَإِنَّ ذِكْرَ الْجِمَاعِ مَعَ غَيْرِ الزَّوْجِ فُحْشٌ ... وَقَدْ يَكُونُ السِّرُّ عُقْدَةَ النِّكَاحِ، سِرًّا كَانَ أَوْ جَهْرًا،... وَقَدْ يَكُونُ السِّرُّ عُقْدَةَ النِّكَاحِ، سِرًّا كَانَ أَوْ جَهْرًا،... (الجامع لأحكام القرآن٣/١٩٠ وزاد المسير ١/٢١٠) .

(٣) اسْتَدَلَّ عَلَى بَشَرِيَّتِهِمَا بِإِثْبَاتِ صِفَةٍ مِنْ صِفَاتِ الْبَشَرِ، وَهِيَ أَكْلُ الطَّعَامِ. وَإِنَّمَا اخْتِيرَتْ هَذِهِ الصِّفَةُ مِنْ بَيْنِ صِفَاتٍ كَثِيرَةٍ لِأَنَّهَا ظَاهِرَةٌ وَاضِحَةٌ لِلنَّاسِ، وَلِأَنَّهَا أَثْبَتَتْهَا الْأَنَاجِيلُ فَقَدْ أَثْبَتَتْ أَنَّ مَرْيَمَ أَكَلَتْ ثَمَرَ النَّخْلَةِ حِينَ مَخَاضِهَا، وَأَنَّ عِيسَى أَكَلَ مَعَ الْحَوَارِيِّينَ يَوْمَ الْفِصْحِ خُبْزًا وَشَرِبَ خَمْرًا (التحرير والتنوير ٦/٢٨٦).

خصوصاً، ثم تشبَّه غيرهم بهم في ذَلِكَ (١).

٢ ـ يقول الرازي(ت٦٠٦ هـ) عند تفسيره لقول الله تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَقُولُواْ رَٰعِنَا وَقُولُواْ ٱنظُرْنَا وَٱسْمَعُواْۗ وَلِلْكَٰفِرِينَ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾ [البقرة:١٠٤]:" لَا يبْعُدُ فِي الْكَلِمَتَيْنِ الْمُتَرَادِفَتَيْنِ أَنْ يَمْنَعَ اللَّهُ مِنْ أَحَدِهِمَا وَيَأْذَنَ فِي الْأُخْرَى، ... فلا يبعد أَنْ يمنع اللَّهُ مِنْ قَوْلِهِ: (راعنا) وَيَأْذَنَ فِي قَوْلِهِ: (انْظُرْنا) وَإِنْ كَانَتَا مُتَرَادِفَتَيْنِ، وَلَكِنَّ جُمْهُورَ الْمُفَسِّرِينَ عَلَى أَنَّهُ تَعَالَى إِنَّمَا مَنَعَ مِنْ قَوْلِهِ: (راعنا) لِاشْتِمَالِهَا عَلَى نَوْعِ مَفْسَدَةٍ ثُمَّ ذَكَرُوا فِيهِ وُجُوهًا: **أَحَدُهَا**: كَانَ الْمُسْلِمُونَ يَقُولُونَ لِرَسُولِ اللَّهِ ﷺ إِذَا تَلَا عَلَيْهِمْ شَيْئًا مِنَ الْعِلْمِ: رَاعِنَا يَا رَسُولَ اللَّهِ، وَالْيَهُودُ كَانَتْ لَهُمْ كَلِمَةٌ عِبْرَانِيَّةٌ يَتَسَابُّونَ بِهَا تُشْبِهُ هَذِهِ الْكَلِمَةَ وَهِيَ «رَاعِينَا» وَمَعْنَاهَا: اسْمَعْ لَا سَمِعْتَ، فَلَمَّا سَمِعُوا الْمُؤْمِنِينَ يَقُولُونَ: رَاعِنَا اقْتَرَضُوهُ وَخَاطَبُوا بِهِ النَّبِيَّ وَهُمْ يَعْنُونَ تِلْكَ الْمَسَبَّةَ، فَنُهِيَ الْمُؤْمِنُونَ عَنْهَا وَأُمِرُوا بِلَفْظَةٍ أُخْرَى وَهِيَ قَوْلُهُ: (انْظُرْنا)، وَيَدُلُّ عَلَى صِحَّةِ هَذَا التَّأْوِيلِ قَوْلُهُ تَعَالَى فِي سُورَةِ النِّسَاءِ: ﴿وَيَقُولُونَ سَمِعْنَا وَعَصَيْنَا وَٱسْمَعْ غَيْرَ مُسْمَعٍ وَرَٰعِنَا لَيًّۢا بِأَلْسِنَتِهِمْ وَطَعْنًا فِي ٱلدِّينِۚ﴾ [النِّسَاءِ: ٤٦] ..."(٢).

---

(١) الصاحبي في فقه اللغة لابن فارس ص٤٣٩.

(٢) مفاتيح الغيب ٣/ ٦٣٤ **وَثَانِيهَا**: قَالَ قُطْرُبٌ(ت٢٠٦هـ): هَذِهِ الْكَلِمَةُ وَإِنْ كَانَتْ صَحِيحَةَ الْمَعْنَى إِلَّا أَنَّ أهل الحجاز ما كانوا يقولونها إلا عند الهزء وَالسُّخْرِيَةِ، فَلَا جَرَمَ نَهَى اللَّهُ عَنْهَا. **وَثَالِثُهَا**: أَنَّ الْيَهُودَ كَانُوا يَقُولُونَ: رَاعِينَا أَيْ أَنْتَ رَاعِي غَنَمِنَا فَنَهَاهُمُ اللَّهُ عَنْهَا. **وَرَابِعُهَا**: أَنَّ قَوْلَهُ: «رَاعِنَا» مُفَاعَلَةٌ مِنَ الرَّعْيِ بَيْنَ اثْنَيْنِ، فَكَانَ هَذَا اللَّفْظُ مُوهِمًا لِلْمُسَاوَاةِ بَيْنَ الْمُخَاطِبِينَ كَأَنَّهُمْ قَالُوا: أَرْعِنَا سَمْعَكَ لِنُرْعِيَكَ أَسْمَاعَنَا، فَنَهَاهُمُ اللَّهُ تَعَالَى عَنْهُ وَبَيَّنَ أَنْ لَا بُدَّ مِنْ تَعْظِيمِ الرَّسُولِ عليه السلام فِي الْمُخَاطَبَةِ عَلَى مَا قَالَ: ﴿لَّا تَجْعَلُواْ دُعَآءَ ٱلرَّسُولِ بَيْنَكُمْ كَدُعَآءِ بَعْضِكُم بَعْضًا﴾ [النُّورِ: ٦٣] . **وَخَامِسُهَا**: أَنَّ قَوْلَهُ: «رَاعِنَا» خِطَابٌ مَعَ الِاسْتِعْلَاءِ كَأَنَّهُ يَقُولُ: رَاعِ كَلَامِي وَلَا تَغْفُلْ عَنْهُ وَلَا تَشْتَغِلْ

وهكذا رأينا القرآن الكريم"أبقى المعنى، وصرف اللفظ"(١)، لما ترتب على اللفظ الأول من سوء استعمال، واستبدله لفظا آخر دلالته واضحة جلية لا غموض فيها.

٣ - ويبين الرازي(ت٦٠٦ هـ) مَا أَتَى بِهِ إبراهيم عليه السلام مِنْ آدَابِ الْإِضَافَةِ، وَمَا أَتَى بِهِ الملائكة مِنْ آدَابِ الضِّيَافَةِ، فيقول عند تفسيره لقول الله - تعالى - ﴿فَرَاغَ إِلَىٰٓ أَهۡلِهِۦ فَجَآءَ بِعِجۡلٖ سَمِينٖ ٢٦ فَقَرَّبَهُۥٓ إِلَيۡهِمۡ قَالَ أَلَا تَأۡكُلُونَ ٢٧ فَأَوۡجَسَ مِنۡهُمۡ خِيفَةٗۖ قَالُواْ لَا تَخَفۡۖ وَبَشَّرُوهُ بِغُلَٰمٍ عَلِيمٖ﴾[الذاريات:٢٨]:" ثُمَّ أَدَبُ الضَّيْفِ أَنَّهُ إِذَا أَكَلَ حَفِظَ حَقَّ الْمُؤَاكَلَةِ، يَدُلُّ عَلَيْهِ أَنَّهُ خَافَهُمْ حَيْثُ لَمْ يَأْكُلُوا، ثُمَّ وُجُوبُ إِظْهَارِ الْعُذْرِ عِنْدَ الْإِمْسَاكِ يَدُلُّ عَلَيْهِ قَوْلُهُ﴿ لَا تَخَفْ﴾، ثُمَّ تَحْسِينُ الْعِبَارَةِ فِي الْعُذْرِ، وَذَلِكَ لِأَنَّ مَنْ يَكُونُ مُحْتَمِيًا وَأُحْضِرَ لَدَيْهِ الطَّعَامُ فَهُنَاكَ أَمْرَانِ أَحَدُهُمَا: أَنَّ الطَّعَامَ لَا يَصْلُحُ لَهُ لِكَوْنِهِ مُضِرًّا بِهِ، الثَّانِي: كَوْنُهُ ضَعِيفَ الْقُوَّةِ عَنْ هَضْمِ ذَلِكَ الطَّعَامِ فَيَنْبَغِي أَنْ لَا يَقُولَ الضَّيْفُ هَذَا طَعَامٌ غَلِيظٌ لَا يَصْلُحُ لِي بَلِ الْحَسَنُ أَنْ يَأْتِيَ بِالْعِبَارَةِ الْأُخْرَى وَيَقُولَ: لِي مَانِعٌ مِنْ أَكْلِ الطَّعَامِ وَفِي بَيْتِي لَا آكُلُ أَيْضًا شَيْئًا، يَدُلُّ عَلَيْهِ

بِغَيْرِهِ، وَلَيْسَ فِي «انْظُرْنَا» إِلَّا سُؤَالُ الِانْتِظَارِ كَأَنَّهُمْ قَالُوا لَهُ تَوَقَّفْ فِي كَلَامِكَ وَبَيِّنْ لَنَا مِقْدَارَ مَا نَصِلُ إِلَى فَهْمِهِ. وَسَادِسُهَا: أَنَّ قَوْلَهُ: «رَاعِنَا» عَلَى وَزْنِ عَاطِنَا مِنَ الْمُعَاطَاةِ، وَرَامِنَا مِنَ الْمُرَامَاةِ، ثُمَّ إِنَّهُمْ قَلَبُوا هَذِهِ النُّونَ إِلَى النُّونِ الْأَصْلِيَّةِ وَجَعَلُوهَا كَلِمَةً مُشْتَقَّةً مِنَ الرُّعُونَةِ وَهِيَ الْحُمْقُ، فَالرَّاعِنُ اسْمُ فَاعِلٍ مِنَ الرُّعُونَةِ، فَيَحْتَمِلُ أَنَّهُمْ أَرَادُوا بِهِ الْمَصْدَرَ. كَقَوْلِهِمْ: عِيَاذًا بِكَ، أَيْ أَعُوذُ عِيَاذًا بِكَ، فَقَوْلُهُمْ: رَاعِنَا: أَيْ فَعَلْتَ رُعُونَةً. وَيُحْتَمَلُ أَنَّهُمْ أَرَادُوا بِهِ: صِرْتَ رَاعِنًا، أَيْ صِرْتَ ذَا رُعُونَةٍ، فَلَمَّا قَصَدُوا هَذِهِ الْوُجُوهَ الْفَاسِدَةَ لَا جَرَمَ نَهَى اللَّهُ تَعَالَى عَنْ هَذِهِ الْكَلِمَةِ. وَسَابِعُهَا: أَنْ يَكُونَ الْمُرَادُ لَا تَقُولُوا قَوْلًا رَاعِنًا أَيْ: قَوْلًا مَنْسُوبًا إِلَى الرُّعُونَةِ بِمَعْنَى رَاعِنٍ: كَلَابِنٍ وَتَامِرٍ...

(١) نظم الدرر ٨٦/٢.

قَوْلُهُ ﴿وَبَشَّرُوهُ بِغُلَامٍ﴾ حَيْثُ فَهِمُوهُ أَنَّهُمْ لَيْسُوا مِمَّنْ يَأْكُلُونَ وَلَمْ يَقُولُوا لَا يَصْلُحُ لَنَا الطَّعَامُ وَالشَّرَابُ"(١).

٤ ـ ولم يكن علماء متشابه النظم بمنأى عن ذلك، فقد نوهوا بتحسين اللفظ وأثره الدلالي، يقول ابن الزبير الغرناطي (ت٧٠٨ هـ) في بيان دلالة التنوع اللفظي بين قوله تعالى: ﴿وَإِذَا طَلَّقْتُمُ ٱلنِّسَآءَ فَبَلَغْنَ أَجَلَهُنَّ فَأَمْسِكُوهُنَّ بِمَعْرُوفٍ أَوْ سَرِّحُوهُنَّ بِمَعْرُوفٍ ۚ وَلَا تُمْسِكُوهُنَّ ضِرَارًا لِّتَعْتَدُوا۟﴾ [البقرة:٢٣١] وقوله ﴿فَإِذَا بَلَغْنَ أَجَلَهُنَّ فَأَمْسِكُوهُنَّ بِمَعْرُوفٍ أَوْ فَارِقُوهُنَّ بِمَعْرُوفٍ﴾ [الطلاق:٢] مرتكزا على السياق:" للسائل أن يسأل عن الفرق بين قوله ﴿أَوْ سَرِّحُوهُنَّ﴾ وقوله ﴿أَوْ فَارِقُوهُنَّ﴾ واختصاص كل من الموضعين بما اختص به من ذلك.

والجواب: ـ والله أعلم ـ أن آية البقرة قد اكتنفها النهي عن مضارة النساء، وتحريم أخذ شيء منهن ما لم يكن منهن ما يسوغ ذلك من ألا يقيما حدود الله، فلما اكتنفها ما ذكر، وأتبع ذلك بالمنع عن عضلهن، وتكرر أثناء ذلك ما يفهم الأمر بمجاملتهن والإحسان إليهن حالي الاتصال والانفصال لم يكن ليناسب ما قصد من هذا أن يعبر بلفظ ﴿أَوْ فَارِقُوهُنَّ﴾؛ **لأن لفظ الفراق أقرب إلى الإساءة منه إلى الإحسان، فعدل إلى ما يحصل منه المقصود مع تحسين العبارة** وهو لفظ التسريح، فقال تعالى: ﴿فَأَمْسِكُوهُنَّ بِمَعْرُوفٍ أَوْ سَرِّحُوهُنَّ بِمَعْرُوفٍ ۚ﴾، وليجري مع ما تقدم من قوله تعالى: ﴿ٱلطَّلَٰقُ مَرَّتَانِ ۖ فَإِمْسَاكٌۢ بِمَعْرُوفٍ أَوْ تَسْرِيحٌۢ بِإِحْسَٰنٍ﴾[البقرة:٢٢٩]... وقد روعي في هذه الآي كلها مقصد التلطف وتحسين الحال في المحبة والافتراق، ولما لم يكن في سورة الطلاق تعرض لعضل ولا ذكر مضارة لم يذكر ورود التعبير بلفظ ﴿أَوْ فَارِقُوهُنَّ﴾ عن الانفصال، ووقع الاكتفاء فيما

(١) مفاتيح الغيب ٢٨/ ١٧٧.

يراد من المجاملة في الحالين بقوله ﴿بِمَعْرُوفٍ﴾، وبان افتراق القضيتين في السورتين، وورد كل من العبارتين على ما يجب من المناسبة "(١).

٥ ـ يقول الفيومي (ت نحو ٧٧٠ هـ):" وَفِي التَّنْزِيلِ ﴿ قَالَ سَنَنظُرُ أَصَدَقْتَ أَمْ كُنتَ مِنَ ٱلْكَٰذِبِينَ ﴾[النمل: ٢٧] فِيهِ أَدَبٌ حَسَنٌ لِمَا يَلْزَمُ الْعُظَمَاءَ مِنْ صِيَانَةِ أَلْفَاظِهِمْ عَنْ مُوَاجَهَةِ أَصْحَابِهِمْ بِمُؤْلِمِ خِطَابِهِمْ عِنْدَ احْتِمَالِ خَطَئِهِمْ وَصَوَابِهِمْ، وَمِثْلُهُ قَوْله تَعَالَى حِكَايَةً عَنْ الْمُنَافِقِينَ ﴿قَالُواْ نَشْهَدُ إِنَّكَ لَرَسُولُ ٱللَّهِ﴾ [المنافقون: ١] ثُمَّ قَالَ ﴿وَٱللَّهُ يَشْهَدُ إِنَّ ٱلْمُنَٰفِقِينَ لَكَٰذِبُونَ﴾ [المنافقون: ١] أَيْ فِي ضَمِيرِهِمْ الْمُخَالِفِ الظَّاهِرَ، لِأَنَّهُ قَدْ يَكُونُ كَاذِبًا بِالْمَيْلِ لَا فِي نَفْسِ الْأَمْرِ، فَكَانَ أَلْطَفَ مِنْ قَوْلِهِ (أَصَدَقْتَ أَمْ كَذَبْتَ) وَمِنْ هُنَا يُقَالُ عِنْدَ احْتِمَالِ الْكَذِبِ لَيْسَ الْأَمْرُ كَذَلِكَ وَنَحْوُهُ فَإِنَّهُ يَحْتَمِلُ أَنَّهُ تَعَمَّدَ الْكَذِبَ أَوْ غَلِطَ أَوْ لُبِّسَ فَأَخْرَجَ الْبَاطِلَ فِي صُورَةِ الْحَقِّ، وَلِهَذَا يَقُولُ الْفُقَهَاءُ لَا نُسَلِّمُ وَلَكِنَّهُمْ يُشِيرُونَ إلَى الْمُطَالَبَةِ بِالدَّلِيلِ تَارَةً، وَإِلَى الْخَطَأِ فِي النَّقْلِ تَارَةً، وَإِلَى التَّوَقُّفِ تَارَةً، فَإِذَا أَغْلَظُوا فِي الرَّدِّ قَالُوا لَيْسَ كَذَلِكَ وَلَيْسَ بِصَحِيحٍ" (٢).

ومعنى هذا أن جملة ﴿كُنتَ مِنَ ٱلْكَٰذِبِينَ﴾ أشد في النسبة إلى الكذب، وفي ذلك إيذان بتوضيح تهمته بالكذب؛ ليتخلص من العقاب وإدخال الروع عليه ليغلب الخوف على الرجاء، وذلك أبلغ في التأديب.

---

(١) ملاك التأويل ٦٧/١.

(٢) المصباح المنير للفيومي (ك ذ ب) ٥٢٨/٢، ويرى البقاعي أنه لما كان الكذب بين يديه - - يدل على رسوخ القدم فيه، ﴿أَمْ كُنتَ مِنَ ٱلْكَٰذِبِينَ﴾ أي معروفاً بالانخراط في سلكهم، فإنه لا يجترىء على الكذب عندي إلا من كان عريقاً في الكذب دون «أم كذبت» لأن هذا يصدق بمرة واحدة.(نظم الدرر١٥٥/١٤)، وينظر: التحرير والتنوير ٢٥٦/١٩.

٦ ـ بل يمكننا القول بأن القرآن الكريم نوّه بقضية أدب الألفاظ وحسن العبارات بدأ من فاتحة الكتاب، ففي قوله تعالى: ﴿صِرَٰطَ ٱلَّذِينَ أَنعَمۡتَ عَلَيۡهِمۡ غَيۡرِ ٱلۡمَغۡضُوبِ عَلَيۡهِمۡ وَلَا ٱلضَّآلِّينَ﴾ [الفاتحة:٧] قال ﷻ: ﴿ٱلَّذِينَ أَنعَمۡتَ عَلَيۡهِمۡ﴾ ولم يقل المنعَم عليهم، كما قال ﴿ٱلۡمَغۡضُوبِ عَلَيۡهِمۡ﴾.

وقد جاء هذا على الطريقة المعهودة في القرآن الكريم، وهي أن أفعال الإحسان والرحمة والجود تضاف إلى الله ﷻ فيذكر فاعلها منسوبة إليه، ولا يبني الفعل معها للمفعول، فإذا جيء بأفعال العدل والجزاء والعقوبة حذف وبني الفعل معها للمفعول أدبا في الخطاب، وإضافته إلى الله تعالى أشرف قسمي أفعاله، فمنه هذه الآية فإنه ذكر النعمة فأضافها إليه ولم يحذف فاعلها، ولما ذكر الغضب حذف الفاعل وبنى الفعل للمفعول فقال: ﴿ٱلۡمَغۡضُوبِ عَلَيۡهِمۡ﴾، وقال في الإحسان ﴿ٱلَّذِينَ أَنعَمۡتَ عَلَيۡهِمۡ﴾ .

٧ . ونظيره قول إبراهيم الخليل عليه السلام: ﴿ٱلَّذِي خَلَقَنِي فَهُوَ يَهۡدِينِ ٧٨ وَٱلَّذِي هُوَ يُطۡعِمُنِي وَيَسۡقِينِ ٧٩ وَإِذَا مَرِضۡتُ فَهُوَ يَشۡفِينِ﴾[الشعراء:٨٠]، فنسب الخلق والهداية والإحسان بالطعام والسقي إلى الله تعالى، ولما جاء إلى ذكر المرض قال ﴿وَإِذَا مَرِضۡتُ﴾ولم يقل أمرضني وقال ﴿فَهُوَ يَشۡفِينِ﴾.

٨ . ومنه قوله تعالى حكاية عن مؤمني الجن: ﴿وَأَنَّا لَا نَدۡرِيٓ أَشَرٌّ أُرِيدَ بِمَن فِي ٱلۡأَرۡضِ أَمۡ أَرَادَ بِهِمۡ رَبُّهُمۡ رَشَدٗا﴾ [الجن:١٠] فنسبوا إرادة الرشد إلى الرب وحذفوا فاعل إرادة الشر وبنوا الفعل للمفعول.

قال ابن عاشور (ت١٣٩٣ هـ)" أُسْنِدَ فِعْلُ إِرَادَةِ الشَّرِّ إِلَى الْمَجْهُولِ، وَلَمْ يُسْنَدْ إِلَى اللَّهِ تَعَالَى مَعَ أَنَّ مُقَابِلَهُ أُسْنِدَ إِلَيْهِ بِقَوْلِهِ:﴿أَمْ أَرَادَ بِهِمْ رَبُّهُمْ رَشَدًا﴾ ، جَرْيًا عَلَى وَاجِبِ الْأَدَبِ مَعَ اللَّهِ تَعَالَى فِي تَحَاشِي إِسْنَادِ الشَّرِّ إِلَيْهِ" (١).

(١) التحرير والتنوير ٢٣١/٢٩.

٩ ـ ومنه قول الخضر عليه السلام في السفينة: ﴿فَأَرَدتُّ أَنْ أَعِيبَهَا﴾ [الكهف:٧٩] فأضاف العيب إلى نفسه، وقال في الغلامين: ﴿فَأَرَادَ رَبُّكَ أَن يَبْلُغَآ أَشُدَّهُمَا﴾ [الكهف:٨٢]. قال ابن حجر(ت٨٥٢ هـ):" فِيهِ حُسْنُ أَدَبِ مَعَ اللَّهِ، وَأَنْ لَا يُضَافَ إِلَيْهِ مَا يُسْتَهْجَنُ لَفْظُهُ، وَإِنْ كَانَ الْكُلُّ بِتَقْدِيرِهِ وَخَلْقِهِ لِقَوْلِ الْخَضِرِ عَنِ السَّفِينَةِ ﴿فَأَرَدتُّ أَنْ أَعِيبَهَا﴾ [الكهف:٧٩] وَعَنِ الْجِدَارِ﴿فَأَرَادَ رَبُّكَ﴾[الكهف:٨٢]وَمِثْلُ هَذَا قَوْلُهُ ﷺ " وَالْخَيْرُ كُلُّهُ فِي يَدَيْكَ، وَالشَّرُّ لَيْسَ إِلَيْكَ "(١)" (٢).

١٠ـ ومنه قوله تعالى: ﴿أُحِلَّ لَكُمْ لَيْلَةَ ٱلصِّيَامِ ٱلرَّفَثُ إِلَىٰ نِسَآئِكُمْ﴾ [البقرة:١٨٧] فحذف الفاعل وبناه للمفعول، وقال: ﴿وَأَحَلَّ ٱللَّهُ ٱلْبَيْعَ وَحَرَّمَ ٱلرِّبَوٰاْ﴾ [البقرة:٢٧٥]؛ لأن في ذكر الرفث ما يحسن منه أن لا يقترن بالتصريح بالفاعل.

١١ـ ومنه: قوله تعالى ﴿حُرِّمَتْ عَلَيْكُمُ ٱلْمَيْتَةُ وَٱلدَّمُ وَلَحْمُ ٱلْخِنزِيرِ﴾ [المائدة:٣]، وقوله: ﴿قُلْ تَعَالَوْاْ أَتْلُ مَا حَرَّمَ رَبُّكُمْ عَلَيْكُمْ ۖ أَلَّا تُشْرِكُواْ بِهِۦ شَيْـًٔا ۖ وَبِٱلْوَٰلِدَيْنِ إِحْسَـٰنًا ۖ﴾[الأنعام:١٥١]إلى آخرها.

بنى الفعل للمفعول في آية المائدة؛ لأن الخطاب لمن يعلم أنه لا مُحَرِّم إلا الله، وإشعاراً بأن هذه الأشياء لشدة قذارتها كأنها محرمة بنفسها(٣)، وسياق آية الأنعام يقتضي البناء للفاعل، لأن الله -تعالى-نادهم بقوله " ﴿قُلْ تَعَالَوْاْ﴾ أي أقبلوا إليّ صاعدين من حضيض الجهل والتقليد وسوء

(١) صحيح مسلم (١/٥٣٤/٧٧١).
(٢) فتح الباري ٨/٤٢٢.
(٣) نظم الدرر ٦/١١.

المذهب إلى أوج العلم ومحاسن الأعمال"(١).

١٢ ـ ومنه ـ وهو أدق معنى ـ قوله: ﴿حُرِّمَتْ عَلَيْكُمْ أُمَّهَاتُكُمْ وَبَنَاتُكُمْ وَأَخَوَاتُكُمْ﴾ [النساء:٢٣] إلى آخرها، ثم قال: ﴿وَأُحِلَّ لَكُم مَّا وَرَاءَ ذَٰلِكُمْ﴾ [النساء:٢٤]، فـ" لما كان الكلام في المنع لم يصرح بالفاعل بل قال، ﴿حُرِّمَتْ﴾ -ترفقاً في الخطاب حثاً على الآداب، فلما وصل الأمر إلى الحل أظهره تطييباً للقلوب وتأنيساً للنفوس في قراءة ابن كثير ونافع وأبي عمرو وابن عامر بفتح الهمزة والحاء(٢)، وأبهمه في قراءة الباقين على نسق ﴿حُرِّمَتْ﴾ لأن فاعل الحل والحرمة عند أهل القرآن معروف أنه الملك العلي الأعلى الذي لا أمر لأحد معه أصلاً (٣).

١٣ـ وتأمل قوله: ﴿فَبِظُلْمٍ مِّنَ الَّذِينَ هَادُوا حَرَّمْنَا عَلَيْهِمْ طَيِّبَاتٍ أُحِلَّتْ لَهُمْ﴾ [النساء:١٦٠]، كيف صرح بفاعل التحريم في هذا الموضع وقال في حق المؤمنين: ﴿حُرِّمَتْ عَلَيْكُمُ الْمَيْتَةُ وَالدَّمُ﴾ [المائدة:٣] (٤)، فلم يضمر في آية النساء تعييناً لهم وزيادة في تقريعهم ﴿حَرَّمْنَا عَلَيْهِمْ طَيِّبَاتٍ أُحِلَّتْ﴾ أي كان وقع إحلالها في التوراة ﴿لهم﴾ كالشحوم التي ذكرها الله تعالى في الأنعام(٥) في قوله تعالى ﴿وَعَلَى الَّذِينَ هَادُوا حَرَّمْنَا كُلَّ ذِي ظُفُرٍ ۖ وَمِنَ الْبَقَرِ وَالْغَنَمِ حَرَّمْنَا عَلَيْهِمْ شُحُومَهُمَا إِلَّا مَا حَمَلَتْ ظُهُورُهُمَا أَوِ الْحَوَايَا أَوْ مَا

(١)نظم الدرر ٣١٦/٧.
(٢) قَرَأَ أَبُو جَعْفَرٍ وَحَمْزَةُ وَالْكِسَائِيُّ وَخَلَفٌ وَحَفْصٌ ﴿وَأُحِلَّ لَكُمْ﴾ بِضَمِّ الْهَمْزَةِ وَكَسْرِ الْحَاءِ، وَقَرَأَ الْبَاقُونَ بِفَتْحِهِمَا (النشر ٢٤٩/٢) .
(٣) نظم الدرر ٢٣٣/٥ .
(٤) بدائع الفوائد ١٨/٢.
(٥) نظم الدرر ٥٠٠/٥ .

ٱخۡتَلَطَ بِعَظۡمٖۚ ذَٰلِكَ جَزَيۡنَٰهُم بِبَغۡيِهِمۡۖ وَإِنَّا لَصَٰدِقُونَ﴾[الأنعام:١٤٦].

١٤- ومنه قوله - تعالى -﴿وَأَيُّوبَ إِذۡ نَادَىٰ رَبَّهُۥٓ أَنِّي مَسَّنِيَ ٱلضُّرُّ وَأَنتَ أَرۡحَمُ ٱلرَّٰحِمِينَ﴾ [الأنبياء:٨٣] ، " أَيْ نَادَى ربه بِأَنِّي مَسَّنِي الضُّرُّ، وَالْمَسُّ: الْإِصَابَةُ الْخَفِيفَةُ، وَالتَّعْبِيرُ بِهِ حِكَايَةً لِمَا سَلَكَهُ أَيُّوبُ عليه السلام فِي دُعَائِهِ مِنَ الْأَدَبِ مَعَ اللَّهِ، إِذْ جَعَلَ مَا حَلَّ بِهِ مِنَ الضُّرِّ كَالْمَسِّ الْخَفِيفِ. وَالضُّرُّ- بِضَمِّ الضَّادِ- مَا يتضرر بِهِ الْمَرْءُ فِي جسده مِنْ مرض أَوْ هزال، أَوْ فِي مَالِهِ مِنْ نَقْصٍ وَنَحْوِهِ" (١).

١٥- ومنه: كَيْفِيَّةُ تَأَدُّبِ الْعِبَادِ إِذَا قَصَدُوا بَابَ رَبِّ الْأَرْبَابِ بِالتَّضَرُّعِ وَالدُّعَاءِ، فَقَدْ بَيَّنَ مَسَاقُ الْقُرْآنِ آدَابًا اسْتُقْرِئَتْ مِنْهُ، وَإِنْ لَمْ يُنَصَّ عَلَيْهَا بِالْعِبَارَةِ، فَقَدْ أَغْنَتْ إِشَارَةُ التَّقْرِيرِ عَنِ التَّصْرِيحِ بِالتَّعْبِيرِ، فَأَنْتَ تَرَى أَنَّ نِدَاءَ اللَّهِ لِلْعِبَادِ لَمْ يَأْتِ فِي الْقُرْآنِ فِي الْغَالِبِ إِلَّا بِـ "يَا" الْمُشِيرَةِ إِلَى بُعْدِ الْمُنَادِي ؛ لِأَنَّ صَاحِبَ النِّدَاءِ مُنَزَّهٌ عَنْ مُدَانَاةِ الْعِبَادِ، مَوْصُوفٌ بِالتَّعَالِي عَنْهُمْ وَالِاسْتِغْنَاءِ، فَإِذَا كَانَ نِدَاءُ الْعِبَادِ لِلرَّبِّ أَتَى بِأُمُورٍ تَسْتَدْعِي قُرْبَ الْإِجَابَةِ:

- مِنْهَا: إِسْقَاطُ حَرْفِ النِّدَاءِ الْمُشِيرِ إِلَى قُرْبِ الْمُنَادَى، وَأَنَّهُ حَاضِرٌ مَعَ الْمُنَادِي غَيْرُ غَافِلٍ عَنْهُ، فَدَلَّ عَلَى اسْتِشْعَارِ المنادى في الْمَعْنَى؛ إِذْ لَمْ يَأْتِ فِي الْغَالِبِ إِلَّا "رَبَّنَا" "رَبَّنَا" كَقَوْلِهِ: ﴿رَبَّنَا لَا تُؤَاخِذۡنَآ إِن نَّسِينَآ أَوۡ أَخۡطَأۡنَاۚ رَبَّنَا وَلَا تَحۡمِلۡ عَلَيۡنَآ إِصۡرٗا كَمَا حَمَلۡتَهُۥ عَلَى ٱلَّذِينَ مِن قَبۡلِنَاۚ رَبَّنَا وَلَا تُحَمِّلۡنَا مَا لَا طَاقَةَ لَنَا بِهِۦۖ﴾ [البقرة:٢٨٦]، ﴿رَبَّنَا تَقَبَّلۡ مِنَّآۖ﴾ [البقرة: ١٢٧] ﴿رَبِّ إِنِّي نَذَرۡتُ لَكَ مَا فِي بَطۡنِي مُحَرَّرٗا فَتَقَبَّلۡ مِنِّيٓۖ﴾ [آل عمران:٣٥]، ﴿رَبِّ أَرِنِي كَيۡفَ تُحۡيِ ٱلۡمَوۡتَىٰ﴾[البقرة:٢٦٠].

(١) التحرير والتنوير ١٢٦/١٧ والموافقات ٢٠١/٤.

- وَمِنْهَا: كَثْرَةُ مَجِيءِ النِّدَاءِ بِاسْمِ الرَّبِّ الْمُقْتَضِي لِلْقِيَامِ بِأُمُورِ الْعِبَادِ وَاصْلَاحِهَا، فَكَأَنَ العبد متعلق بِمَنْ شَأْنُهُ التَّرْبِيَةُ وَالرِّفْقُ وَالْإِحْسَانُ، قَائِلًا: يَا مَنْ هُوَ الْمُصْلِحُ لِشُئُونِنَا عَلَى الْإِطْلَاقِ أَتِمَّ لَنَا ذَلِكَ بِكَذَا، وَهُوَ مُقْتَضَى مَا يَدْعُو بِهِ، وَإِنَّمَا أَتَى "اللَّهُمَّ" فِي مَوَاضِعَ قَلِيلَةٍ، ولمعانٍ اقْتَضَتْهَا الْأَحْوَالُ(١).

وهكذا، وبعد استعراض هذه الصور القرآنية يمكننا قول ما يأتي:

أ- القرآن الكريم أصّل لقضية أدب الألفاظ والعبارات، وتمثل ذلك في المستويات اللغوية الآتية:

١- **المستوى الصوتي،** ويمكننا أن نمثل له بما أسماه علماء الأداء بـ(مد التعظيم)، الوارد عن أصحاب القصر في المنفصل في نحو﴿ لَّآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ﴾ [سورة البقرة:١٦٣]، و﴿ لَّآ إِلَٰهَ إِلَّآ أَنتَ ﴾ [سورة الأنبياء:٨٧]، و﴿ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا ٱللَّهُ ﴾ [سورة محمد:١٩]، قال ابن مهران (ت:٣٨١هـ): " إنما سمّي مد المبالغة لأنه طلب للمبالغة في نفي إلهية سوى الله سبحانه ...وهذا معروف عند العرب لأنها تمد عند الدعاء عند الاستغاثة وعند المبالغة في نفي شيء، ويمدون ما لا أصل له بهذه العلة"(٢).

٢- **المستوى المعجمي،** حيث يصطفي القرآن اللفظ الذي يحمل دلالة أكثر تأدبا من غيره، وهذا ما لاحظناه في﴿ سَرِّحُوهُنَّ ﴾ [سورة البقرة:٢٣١]، ﴿مَسَّنِيَ ﴾ [سورة الأنبياء:٨٣].

٣- **المستوى الصرفي،** حيث يصطفي القرآن صيغة أو صورة صرفية تحمل دلالة تحسينية في سياق معين، كما رأينا في اصفطاء صيغة البناء

---

(١) ورد لفظ﴿اللَّهُمَّ﴾ في خمسة مواضع: [آل عمران:٢٦] [المائدة:١١٤] [الأنفال:٣٢] [يونس:١٠] [الزمر:٤٦]

(٢) النشر في القراءات الغشر، ٣٤٤/١.

للمفعول في نحو: ﴿ٱلۡمَغۡضُوبِ﴾ [سورة الفاتحة:٧].﴿حُرِّمَتۡ﴾ [سورة النساء:٢٣]، ﴿أُرِيدُ﴾ [سورة المائدة:٢٩].

٤- **المستوى النحوي،** حيث رأينا القرآن الكريم اصطفى إسنادا في سياق وإسنادا آخر في سياق آخر، كما في (أردت/أردنا/ أراد/ أريد).

٥- **المستوى الأسلوبي،** كما رأينا في قوله ﴿ أَمۡ كُنتَ مِنَ ٱلۡكَٰذِبِينَ ﴿٢٧﴾﴾ [سورة النمل:٢٧]، وكما في أسلوب النداء، وقد يلحق بهذا أساليب التقديم والتأخير، والحذف والإثبات في صور تحتاج إلى دراسة في وقت لاحق.

ب- كما نلاحظ أيضا أن أدب الألفاظ والعبارات في القرآن الكريم يدعونا إلى اصفاء الردّ المناسب لكل مقام كما رأينا في رد الملائكة على خليل الرحمن- عليه السلام.

ج- يدعونا القرآن الكريم إلى اجتناب اللفظ الصحيح إذا كان يترتب عليه سوء فهم أو سوء استعمال كما رأينا في استبدال القرآن لفظ﴿ ٱنظُرۡنَا﴾ [سورة البقرة:١٠٤] بلفظ﴿رَٰعِنَا ﴾

****

المطلب الثالث
مظاهر أدب الألفاظ في السنة النبوية

أرشدنا النبي ﷺ إِلَى الْعُدُولِ إِلَى لَفْظٍ هُوَ أَحْسَنُ مِنْهُ، وَإِنْ كَانَ بِمَعْنَاهُ تَعْلِيمًا لِلْأَدَبِ فِي الْمَنْطِقِ، وَإِرْشَادًا إِلَى اسْتِعْمَالِ الْحَسَنِ، وَهَجْرِ الْقَبِيحِ مِنَ الْأَقْوَالِ، كَمَا أَرْشَدَنَا إِلَى ذَلِكَ فِي الْأَخْلَاقِ وَالْأَفْعَالِ، وَهُوَ بَابٌ عظيم، عُنِيَ بِهِ الْأَكَابِرُ وَالْعُلَمَاءُ، وَلَهُ شَوَاهِدُ كَثِيرَةٌ فِي السُّنَّةِ وَهُوَ مِنْ خَاصِّيَّةِ الْعَقْلِ وَالْفِطْنَةِ(١)، ومن مظاهر هذا العدول:

١- **الْعُدُول عَن الِاسْم الَّذِي تستقبحه الْعُقُول**، وتنفر مِنْهُ النُّفُوس إِلَى الِاسْم الَّذِي هُوَ أحسن مِنْهُ والنفوس إِلَيْهِ أميل، وَكَانَ النَّبِي ﷺ شَدِيد العناية بذلك (٢)، وقد صنف علماؤنا في هذا المظهر من مظاهر العدول عن لفظ إلى آخر(٣).

٢- **العدول عن أَلْفَاظ كَانَ ﷺ يَكْرَهُ أَنْ تُقَالَ**، ومن ذلك أنه ﷺ كَرِهَ أَنْ يَقُولَ الرَّجُلُ: هَلَكَ النَّاسُ، فعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ أَنَّ رَسُولَ اللهِ ﷺ، قَالَ: "**إِذَا قَالَ الرَّجُلُ: هَلَكَ النَّاسُ فَهُوَ أَهْلَكُهُمْ**"(٤)، روي (أهلكهم) على

---

(١) الطرق الحكمية ص٤٠ - ٤١.

(٢) تحفة المودود بأحكام المولود ص٨٢.

(٣) ينظر على سبيل المثال:
نهاية المرام في معرفة من سماه خير الأنام: يوسف بن حسن بن أحمد بن عبد الهادي (ت٩٠٩هـ): حققه وقدم له وعلق عليه: صالح بن محمد بن عبد الفتاح بن عبد الخالق، ذخائر مجلة الوعي الإسلامي، الكويت، الإصدار الثاني والثمانون ١٤٣٥هـ / ٢٠١٤م.

(٤) صحيح مسلم (٤/٢٠٢٤/٢٦٢٣) قَالَ أَبُو إِسْحَاقَ: لَا أَدْرِي، أَهْلَكَهُمْ بِالنَّصْبِ، أَوْ أَهْلَكُهُمْ بِالرَّفْعِ.

وجهين مشهورين رفع الكاف وفتحها، والرفع أشهر ... ومعناها أشدهم هلاكا، وأما رواية الفتح فمعناها هو جعلهم هالكين لا أنهم هلكوا في الحقيقة، واتفق العلماء على أن هذا الذم إنما هو فيمن قاله على سبيل الإزراء على الناس واحتقارهم وتفضيل نفسه عليهم وتقبيح أحوالهم؛ لأنه لا يعلم سر الله في خلقه، فأما من قال ذلك تحزنا لما يرى في نفسه وفي الناس من النقص في أمر الدين فلا بأس عليه ... وقال الخطابي (ت٣٨٨ هـ) معناه: لا يزال الرجل يعيب الناس ويذكر مساويهم، ويقول فسد الناس وهلكوا ونحو ذلك فإذا فعل ذلك فهو أهلكهم أي أسوأ حالا منهم بما يلحقه من الإثم في عيبهم والوقيعة فيهم وربما أداه ذلك إلى العجب بنفسه ورؤيته أنه خير منهم (١)، وفي معنى هذا: فسد الناس، وفسد الزمان ونحوه (٢).

٣ ـ العدول عن ألفاظ لها دلالات تاريخية لم يقرها الإسلام، كما سنرى في نهيه ـ ﷺ ـ عن تسمية العنب كرما.

٤ ـ اسْتِعْمَالُ اللَّفْظِ الْجَمِيلِ فِي مَوْضِعِ اللَّفْظِ الَّذِي يُسْتَحَيَا مِنْهُ فِي الْعَادَةِ فعَنْ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ، قَالَ: سَأَلَتِ امْرَأَةٌ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ عَنِ الْمَرْأَةِ تَرَى فِي مَنَامِهَا مَا يَرَى الرَّجُلُ فِي مَنَامِهِ، فَقَالَ: «إِذَا كَانَ مِنْهَا مَا يَكُونُ مِنَ الرَّجُلِ فَلْتَغْتَسِلْ»(٣).

قال النووي (ت٦٧٦ هـ):" قَوْلُهُ ﷺ (إِذَا كَانَ مِنْهَا مَا يَكُونُ مِنَ

قَالَ مَالِكٌ: إِذَا قَالَ ذَلِكَ تَحَزُّنًا لِمَا يَرَى فِي النَّاسِ يَعْنِي فِي أَمْرِ دِينِهِمْ فَلَا أَرَى بِهِ بَأْسًا، وَإِذَا قَالَ ذَلِكَ عُجْبًا بِنَفْسِهِ وَتَصَاغُرًا لِلنَّاسِ فَهُوَ الْمَكْرُوهُ الَّذِي نُهِيَ عَنْهُ (سنن أبي داود ٤/٢٩٦/٤٩٨٣).

(١) شرح النووي على مسلم ١٦/١٧٦.

(٢) زاد المعاد في هدي خير العباد ٢/٤٢٨.

(٣) صحيح مسلم (١/٢٥٠/٣١٢).

الرَّجُلِ فَلْتَغْتَسِلْ) مَعْنَاهُ إِذَا خَرَجَ مِنْهَا الْمَنِيُّ فَلْتَغْتَسِلْ كَمَا أَنَّ الرَّجُلَ إِذَا خَرَجَ مِنْهُ الْمَنِيُّ اغْتَسَلَ، وَهَذَا مِنْ حُسْنِ الْعِشْرَةِ وَلُطْفِ الْخِطَابِ وَاسْتِعْمَالُ اللَّفْظِ الْجَمِيلِ مَوْضِعَ اللَّفْظِ الَّذِي يُسْتَحْيَا مِنْهُ فِي الْعَادَةِ"(١).

وعَنْ عَائِشَةَ ـ رضي الله عنها ـ قَالَتْ: طَلَّقَ رَجُلٌ امْرَأَتَه، فَتَزَوَّجَتْ زَوْجًا غَيْرَهُ فَطَلَّقَهَا، وَكَانَتْ مَعَهُ مِثْلُ الْهُدْبَةِ، فَلَمْ تَصِلْ مِنْهُ إِلَى شَيْءٍ تُرِيدُهُ، فَلَمْ يَلْبَثْ أَنْ طَلَّقَهَا، فَأَتَتِ النَّبِيَّ ﷺ، فَقَالَتْ: يَا رَسُولَ اللَّهِ إِنَّ زَوْجِي طَلَّقَنِي، وَإِنِّي تَزَوَّجْتُ زَوْجًا غَيْرَهُ فَدَخَلَ بِي، وَلَمْ يَكُنْ مَعَهُ إِلَّا مِثْلُ الْهُدْبَةِ، فَلَمْ يَقْرَبْنِي إِلَّا هَنَةً وَاحِدَةً، لَمْ يَصِلْ مِنِّي إِلَى شَيْءٍ، فَأَحِلُّ لِزَوْجِي الأَوَّلِ؟ فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «لاَ تَحِلِّينَ لِزَوْجِكِ الأَوَّلِ حَتَّى يَذُوقَ الآخَرُ عُسَيْلَتَكِ وَتَذُوقِي عُسَيْلَتَهُ»(٢).

٥-العدول عن ألفاظ لها دلالات عقدية معينة كما سنرى في لفظ "الرب، السيد،الفتي...).

٦- الدعوة إلى استعمال الألفاظ التي جاء بها لسان الشريعة قرآنا وسنة، كما سترى في لفظ العشاء والعتمة.

وقد كان لهذا الأمر النبوي الأثر البين على الصحب والتابعين من هذه الأمة، ومن الأمثلة على ذلك:

١ ـ عَنْ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ رضي الله عنه قَالَ: قَالَ عُمَرُ بْنُ الخَطَّابِ رضي الله عنه" **وَافَقْتُ رَبِّي** فِي ثَلاَثٍ: فَقُلْتُ يَا رَسُولَ اللَّهِ، لَوِ اتَّخَذْنَا مِنْ مَقَامِ إِبْرَاهِيمَ مُصَلًّى، فَنَزَلَتْ: ﴿وَٱتَّخِذُواْ مِن مَّقَامِ إِبۡرَٰهِـۧمَ مُصَلًّى﴾ [البقرة: ١٢٥] وَآيَةُ الحِجَابِ، قُلْتُ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، لَوْ أَمَرْتَ نِسَاءَكَ أَنْ يَحْتَجِبْنَ، فَإِنَّهُ يُكَلِّمُهُنَّ البَرُّ وَالفَاجِرُ،

(١) شرح النووي على مسلم ٢٢٣/٣.

(٢) أخرجه البخاري في صحيحه: كتاب الطلاق، بَابُ مَنْ قَالَ لِامْرَأَتِهِ: أَنْتِ عَلَيَّ حَرَامٌ ٥٢٦٥/٤٣/٧.

فَنَزَلَتْ آيَةُ الحِجَابِ، وَاجْتَمَعَ نِسَاءُ النَّبِيِّ ﷺ فِي الغَيْرَةِ عَلَيْهِ، فَقُلْتُ لَهُنَّ: ﴿عَسَىٰ رَبُّهُۥٓ إِن طَلَّقَكُنَّ أَن يُبْدِلَهُۥٓ أَزْوَٰجًا خَيْرًا مِّنكُنَّ﴾ [التحريم:٥]، فَنَزَلَتْ هَذِهِ الآيَةُ(١). قَالَ الطِّيبِيُّ: مَا أَحْسَنَ هَذِهِ الْعِبَارَةَ وَمَا أَلْطَفَهَا حَيْثُ رَاعَى فِيهَا الْأَدَبَ الْحَسَنَ، وَلَمْ يَقُلْ: وَافَقَنِي رَبِّي مع أَنَّ الْآيَاتِ إِنَّمَا نَزَلَتْ مُوَافِقَةً لِرَأْيِهِ وَاجْتِهَادِهِ (٢).

٢- أَنَّ بَعْضَ الْخُلَفَاءِ سَأَلَ وَلَدَهُ - وَفِي يَدِهِ مِسْوَاكٌ - مَا جَمْعُ هَذَا؟ قَالَ: مَحَاسِنُكَ يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ. وَهَذَا مِنْ الْفِرَاسَةِ فِي تَحْسِينِ اللَّفْظِ(٣).

٣- دَخَلَ مَعْنُ بْنُ زَائِدَةَ(ت١٥٢ هـ) عَلَى الْمَنْصُورِ، فَقَالَ: كَبِرَتْ سِنُّكَ يَا مَعْنُ! قَالَ: فِي طَاعَتِكَ، قَالَ: إِنَّكَ لَتَتَجَلَّدُ. قَالَ: لِأَعْدَائِكَ. قَالَ: وَإِنَّ فِيكَ لَبَقِيَّةً. قَالَ: هِيَ لَكَ يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِيْنَ!(٤).

٤- قَالَ عَبْدُ الملك ابن مَرْوَانَ لِعَتَّابِ بْنِ أَسِيد(ت ١٣هـ): أَنْتَ أَكْبَرُ أَمْ النبي ﷺ؟ فَقَالَ: النَّبِيُّ ﷺ أَكْبَرُ مِنِّي، وَأَنَا أَسَنُّ مِنْهُ(٥).

٥ - وَكَانَ لِبَعْضِ الْقُضَاةِ جَلِيسٌ أَعْمَى، وَكَانَ إِذَا أَرَادَ أَنْ يَنْهَضَ يَقُولُ: يَا غُلَامُ، اذْهَبْ مَعَ أَبِي مُحَمَّدٍ، وَلَا يَقُولُ: خُذْ بِيَدِهِ، قَالَ: وَاللَّهِ مَا أَخَلَّ بِهَا مَرَّةً.

٦- وَمِنْ أَلْطَفِ مَا يُحْكَى فِي ذَلِكَ: أَنَّ بَعْضَ الْخُلَفَاءِ سَأَلَ رَجُلًا عَنْ اسْمِهِ؟ فَقَالَ: سَعْدٌ يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ فَقَالَ: أَيُّ السُّعُودِ أَنْتَ؟ قَالَ: سَعْدُ السُّعُودِ لَكَ يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ، وَسَعْدُ الذَّابِحُ لِأَعْدَائِكَ، وَسَعْدٌ بُلِعَ عَلَى

(١) صحيح البخاري(٤٠٢/٨٩/١).
(٢) مرقاة المفاتيح ٣٩٠٤/٩، وفيه: . أَقُولُ: وَلَعَلَّهُ - ﷺ- أَشَارَ بِقَوْلِهِ هَذَا أَنَّ فِعْلَهُ حَادِثٌ لَاحِقٌ، وَقَضَاءَ رَبِّهِ قَدِيمٌ سَابِقٌ.
(٣) الطرق الحكمية في السياسة الشرعية ص١٠٨ .
(٤) سير أعلام النبلاء ٩٧/٧.
(٥) الجامع لأحكام القرآن ١٩٥/٢٠ واللباب في علوم الكتاب ٤٩٩/٢٠.

سِمَاطِك، وَسَعْدُ الْأَخْبِيَةِ لِسِرِّك، فَأَعْجَبَهُ ذَلِكَ(١).

(١) الطرق الحكمية ص٤٠. = والسُّعُد، والسُّعُود... كِلَاهُمَا: سُعُودُ النُّجُومِ: وَهِيَ الْكَوَاكِب الَّتِي يُقال لكلّ وَاحِد مِنْهَا: سَعْدُ كَذَا، وَهِي عَشَرَة أَنجم، كلّ وَاحِد مِنْهَا سَعْدٌ: (سَعْدُ بُلَعَ): نَجمان مُعْتَرِضان خَفيَّان.... وَيُقَال إِنما سُمِّيَ بُلَعاً لأَنه كَانَ لِقُرْبِ صاحِبِه مِنْهُ يكَاد أَن يَبْلَعَهُ، و(وسَعْدُ الأَخْبِيَة): ثَلاثَةُ كَواكِبَ على غيرِ طَرِيقِ السُّعود، مائلةٌ عَنْهَا، وفيهَا اختلافٌ، وَلَيْسَت بِخَفيَّة غامِضَة، وَلَا مُضِيئة مُنِيرة، سُمِّيَتْ بذلك لأَنها إِذا طَلَعَتْ خَرَجَتْ حَشراتُ الأَرْضِ وهَوَامُّها من جِحَرَتِهَا، جُعِلَت بِجَرَاتُهَا لَهَا كالأَخْبِيَة. وَقيل: سَعْدُ الأَخْبِيَة: ثلاثةُ أَنْجُمٍ، كأَنَّهَا أَثافِيُّ ورابعٌ تَحْتَ وَاحِد مِنْهُنَّ. (وسَعْدُ الذَّابِح): هُوَ كوكبان متَقَاربان، سُمِّيَ أَحدُهما ذابِحاً لأَن مَعَه كَوْكباً صَغِيرا غامِضاً، يكَاد يَلْزَقُ بِهِ فكأَنَّه مُكِبٌّ عَلَيْهِ يَذْبَحه، والذَّابِحُ أَنْوَرُ مِنْهُ قَلِيلا، (وسَعْدُ السُّعودِ) كوْكبَان، وَهُوَ أَحْمَدُ السُّعُود، ولذلك أُضِيف إِليها، وَهُوَ يُشْبِه سَعْدَ الذَّابِحِ فِي مَطْلَعه...، وهذه الأَربعة من مَنَازِلِ القمرِ (التاج: س ع د).

المطلب الرابع
مصطلح (أدب الألفاظ) والمصطلحات المناظرة له

الْأَسْمَاءُ وَالْأَلْفَاظُ ذَوَاتُ جِهَاتٍ مِنَ الْمَعَانِي الْمُخْتَلِفَةِ(١)، وقد نبه علماؤنا القدامى على أهمية اصطفاء الألفاظ والأسماء والعبارات والتراكيب، يقول الفراء(ت٢٠٧ هـ):" فِي كلام العرب كَثِير أن يوّجه الكلام إلى أحسن مذاهبه إِذَا عُرف كقولك: والله لقد قدم فلان وهو كاذب، فيقول العالم: قل: إن شاء الله أو قل فيما أظن، فيُكذّبه بأحسن من تصريح التكذيب، ومن كلام العرب أن يقولوا، قاتله الله، ثُمَّ يستقبحونها، فيقولون: قاتعه وكاتعه، ويقولون جوعًا دعاء عَلَى الرجل، ثُمَّ يستقبحونها فيقولون: جُودًا، وبعضهم: جُوسًا، ومن ذَلِكَ قولهم: وَيْحَك وويسكَ، إنما هي ويلك إلا أنها دونها بمنزلة ما مضى" (٢).

وقد تعددت المصطلحات الدالة على هذه الظاهرة فسماها كمال بشر (حسن التعبير) (٣)، وأطلق عليها أحمد مختار عمر (تلطيف التعبير) (٤)، كما سماها بعضهم(المحرم اللغوي) (٥)، أو اللامساس(٦)،

---

(١) مرقاة المفاتيح شرح مشكاة المصابيح ٢٩٢٢/٧.

(٢) معاني القرآن للفراء (٣٦٢/٢)، وينظر: تاج العروس(ك ت ع)، (ي س ع) وَقَالَ أَبو حاتم فِي كِتَابه: أَمّا وَيْسَكَ فإِنَّه لَا يُقَال إلاّ لِلصِّبْيَانِ، وأَمّا وَيْلَكَ فكَلامٌ فِيهِ غِلَظٌ وشَتْمٌ، وأَمّا وَيْحَ فكَلامٌ لَيِّنٌ حَسَنٌ.

(٣) دور الكلمة في اللغة ص١٧٧.

(٤) علم الدلالة ص٢٤٠.

(٥) علم اللغة التطبيقي: د. سعد علي زاير، د. نعمة دهش فرحان ص٢٢١.

(٦) وردت هذه اللفظة دون الألف واللام في قوله تعالى: ﴿ قَالَ فَاذْهَبْ فَإِنَّ لَكَ فِي الْحَيَوٰةِ أَن تَقُولَ لَا مِسَاسَ ﴾ [طه:٩٧]، و إِخْبَارٌ بِمَا عَاقَبَهُ اللَّهُ بِهِ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ، فَجَعَلَ حَظَّهُ فِي حَيَاتِهِ أَنْ يَقُولَ لَا مِسَاسَ، أَيْ سَلَبَهُ اللَّهُ الْأُنْسَ الَّذِي فِي طَبْعِ الْإِنْسَانِ فَعَوَّضَهُ بِهِ هَوَسًا وَوِسْوَاسًا وَتَوَحُّشًا، فَأَصْبَحَ مُتَبَاعِدًا عَنْ مُخَالَطَةِ النَّاسِ،

أو taboo[1].

ومن العلماء العرب القدامى من تنبه إليها، وسماها (تحسين اللفظ) وهو ابن فارس(ت٣٩٥ هـ)، إذ قال:« يُكنى عن الشيء فيذكر بغير اسمه تحسيناً للفظ أو إكراماً للمذكور »[2]، ولابن فضال الْمُجَاشِعِي (ت٤٧٩ هـ) كتاب عُنون له بـ" **الإشارة في تحسين العبارة**"[3].

واستقر جمهور علماء اللغة المحدثين على مصطلح (المحظور اللغوي) لما يَرِدُ على المصطلحات الأخرى من اعتراضات، يمكن إيجازها من خلال الشكل الآتي[4]:

عَائِشًا وَحْدَهُ لَا يَتْرُكُ أَحَدًا يَقْتَرِبُ منْهُ، فَإِذَا لَقِيَهُ إِنْسَانٌ قَالَ لَهُ: لَا مساس، يَخْشَى أَنْ يَمَسَّهُ، أَيْ لَا تَمَسَّنِي وَلَا أَمَسُّكَ، أَوْ أَرَادَ لَا اقْتِرَابَ مِنِّي، فَإِنَّ الْمَسَّ يُطْلَقُ عَلَى الاقْتِرَابِ كَقَوْلِهِ ﴿وَلا تَمَسُّوها بِسُوءٍ﴾ [هود: ٦٤] ، وَهَذَا أَنْسَبُ بِصِيغَةِ الْمُفَاعَلَةِ، أَيْ مُقَارَبَةٌ بَيْنَنَا، فَكَانَ يَقُولُ ذَلِكَ، وَهَذِهِ حَالَةٌ فَظِيعَةٌ أَصْبَحَ بِهَا سُخْرِيَةً (التحرير والتنوير ٢٩٨/١٦).

(١) ظاهرة المحظور اللغوي في صحيح البخاري: د. ناصر علي عبد النبي ص١٣.

(٢) الصاحبي في فقه اللغة لابن فارس ص٢٠٠ وينظر: علم اللغة الحديث في ضوء تراثنا العربي: د. مصطفى إسماعيل ص١٣٠ ط: الأولى ١٤٣٩ هـ / ٢٠١٧م.

(٣) معجم الأدباء ١٨٣٥/٤ وإنباه الرواة على أنباه النحاة (٣٠٠/٢) .

(٤) ينظر: المحظورات اللغوية في كتابة الكناية والتعريض لأبي منصور الثعالبي، سعيد عامر-رسالة ماجستير ، ص: ٣٢، الجمهورية الجزائرية- كلية اللغات والآداب قسم اللغة العربية وآدابها، ٢٠١٥م.

١

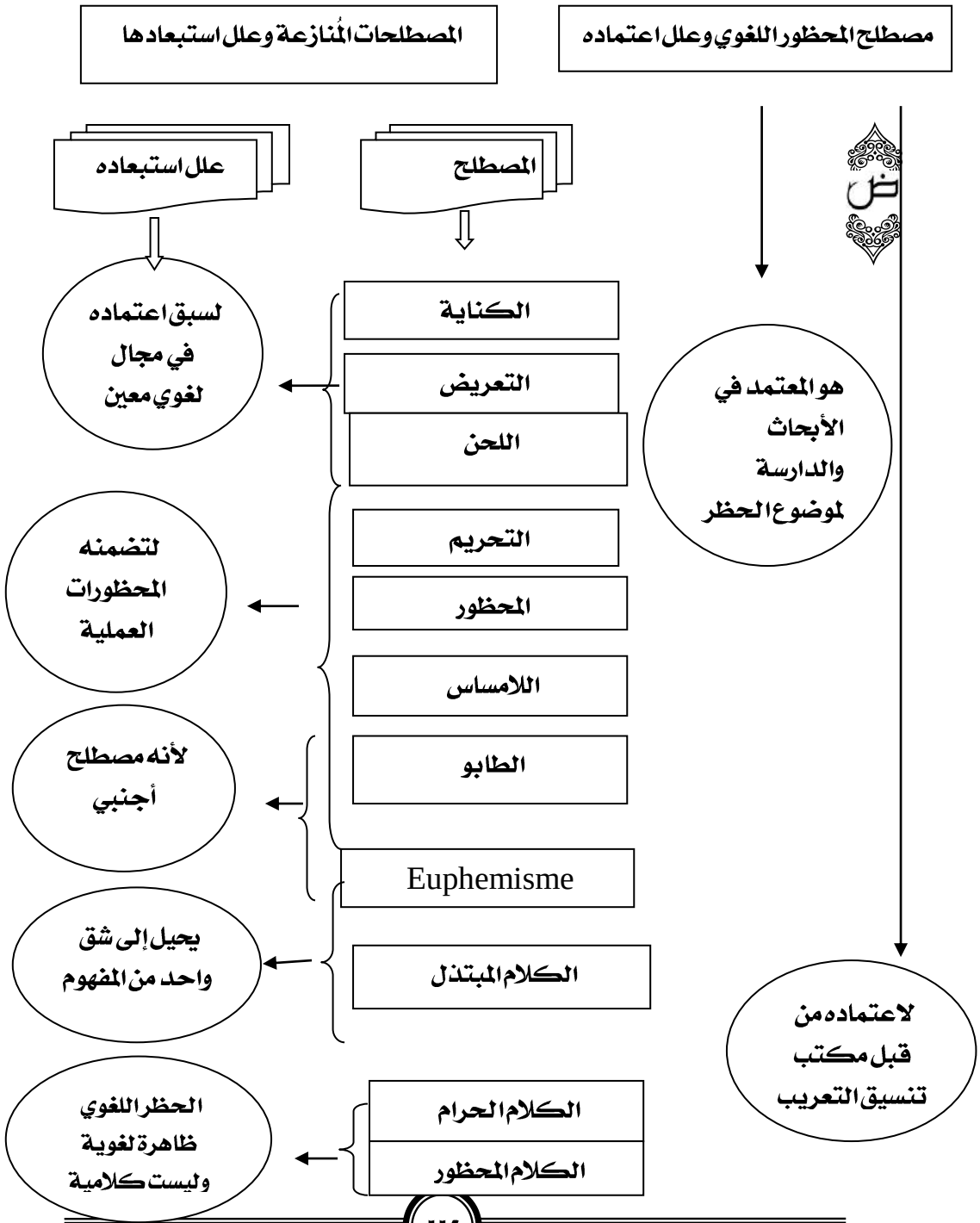
مصطلح المحظور اللغوي وعلل اعتماده
المصطلحات المُنازعة وعلل استبعادها
المصطلح
علل استبعاده
الكناية
التعريض
اللحن
التحريم
المحظور
اللامساس
الطابو
Euphemisme
الكلام المبتذل
الكلام الحرام
الكلام المحظور
هو المعتمد في الأبحاث والدارسة لموضوع الحظر
لسبق اعتماده في مجال لغوي معين
لتضمنه المحظورات العملية
لأنه مصطلح أجنبي
يحيل إلى شق واحد من المفهوم
الحظر اللغوي ظاهرة لغوية وليست كلامية
لاعتماده من قبل مكتب تنسيق التعريب

وقد قامت الدراسات والأبحاث حول هذه الظاهرة، وكان من منجزات المحدثين ما يأتي:

- **التعبير عن المحظور اللغوي والمحسن اللفظي في القرآن الكريم، دراسة دلالية:** عصام الدين عبد السلام محمد أبو زلال (رسالة دكتوراه)، كلية الآداب، جامعة القاهرة ١٤٢٢ هـ/٢٠٠١م.
- **التلطف في اللغة العربية، دراسة دلالية ـ نماذج شعرية مختارة ـ :** فاطمة الزهراء عاشور، كلية الآداب واللغات والعلوم الاجتماعية والإنسانية، الجزائر ١٤٣٧ هـ/٢٠١٦م.
- **صور التلطف في الأحاديث النبوية بصحيح البخاري(دراسة في ضوء علم اللغة الاجتماعي):** سهير إبراهيم محمد حسن (رسالة دكتوراه)، جامعة عين شمس، قسم اللغة العربية ٢٠١١م.
- **صور السلوك الكلامي في نصوص الأدب القضائي، دراسة في ضوء علم اللغة الاجتماعي:** محمد رجب الوزير، مجلة فيلولوجي، كلية الألسن، جامعة عين شمس، يونيه ٢٠٠٣م.
- **ظاهرة المحظور اللغوي في صحيح البخاري:** د. ناصر علي عبد النبي، مكتبة الآداب، القاهرة، الطبعة الثانية ١٤٣١ هـ/ ٢٠١٠م.
- **المحرم اللغوي في ضوء الثقافة العربية، دراسة دلالية اجتماعية ثقافية:** محمد كشاش، المكتبة العصرية، بيروت، ط١، ٢٠٠٥م.
- **المحظور اللغوي بين اللامساس والتلطف في التعبير:** بدر بن سالم بن جميل القطيطي، مجلة كلية الآداب، جامعة بنها، ع٤٠ ج ١ ، إبريل ٢٠٠٥م.
- **المحظور اللغوي في المعاجم العربية، معجم البارع في اللغة لأبي علي القالي(ت٣٥٦ هـ) أنموذجا ـ دراسة دلالية ـ:** زهرة طاهر جبار، كلية الآداب واللغات، جامعة الجيلالي، الجزائر ١٤٣٩ هـ/ ٢٠١٨م.

- **المحظورات اللغوية في كتاب (الكناية والتعريض) لأبي منصور الثعالبي** : سعيد عامر، (رسالة ماجستير)، كلية اللغات والآداب، الجزائر ٢٠١٥م.
- **المحظورات اللغوية، دراسة للمستهجن والمحسَّن من الألفاظ**: د. كريم زكي حسام الدين، مكتبة الأنجلو المصرية، ط١، ١٤١٠ هـ/١٩٨٥م.
- **المحظورات اللغوية، منازل الرؤية ومسالك التطبيق**: حسن خميس الملخ، سهى فتحي نعجة، عالم الكتب، إربد، الأردن، ط١، ٢٠١٥م.

وهكذا وجدنا أن مصطلح (المحظور اللغوي):هو الأكثر شيوعا في عناوين الأبحاث، والدراسات، إلا أننا عدلنا عنه إلى مصطلح "أدب الألفاظ".

فلماذا مصطلح (أدب الألفاظ) دون مصطلح (المحظور اللغوي)؟

إذا كان مصطلح (المحظور اللغوي) هو الأكثر انتشارا في الدراسات اللغوية فإننا نفضل مصطلح (أدب الألفاظ والعبارات) في هذا السياق للأسباب الآتية:

١ ـ المحظور اللغوي في الواقع يعني تحريم استخدام كلمات أو عبارات لا يحسن نطقها بالمرة، أو يصعب تقبلها وإبقاؤها في الاستعمال (١)، هكذا عرفه اللغويون، أما الألفاظ التي عُني البحث بدراستها فإنها لا يحرم استخدامها مطلقا، وإنما دلالتها الفقهية كما سيأتي دلالة الندب أو الكراهة.

٢ ـ مصطلح (أدب الألفاظ) مصطلح تراثيٌّ ذكره العلامة النووي (ت٦٧٦ هـ) وأقره السيوطي (ت٩١١ هـ) والملا علي القاري (ت١٠١٤

(١) علم اللغة الاجتماعي: د/ محمد حسن عبد العزيز ص٣١٤ .

هـ) (١)، وهو قريب مما ألمح إليه ابن فارس (ت٣٩٥ هـ) حين أسماه (تحسين اللفظ)، ويتضام مع ما أسماه ابن فضال الْمُجَاشِعِي (ت٤٧٩ هـ) (**تحسين العبارة**).

٣ ـ توحي الدلالة اللغوية لمصطلح (الأدب) بمعاني التربية والتعليم بما يتوافق والأحاديث محل الدراسة، فـ " الأَدَبُ: الَّذِي يَتَأَدَّبُ بِهِ الأَدِيبُ مِن النَّاس، سُمِّيَ بِهِ لأَنه يَأْدِبُ الناسَ إِلى المَحَامِدِ وَيَنْهَاهُمْ عَنِ المَقَابِحِ، وأَصلُ الأَدَبِ: الدُّعاءُ، ... والأَدَبُ مَلَكَةٌ تعصِم من قَامَت بِهِ عمَّا يَشِينه، ... وهُوَ تَعَلُّمُ رِيَاضَةِ النَّفْسِ ومَحَاسِنِ الأَخْلاَقِ.... واستعمالُ مَا يُحْمَدُ قَوْلاً وفِعْلاً، أَو الأَخْذُ أَو الوُقُوفُ مَعَ المُسْتَحْسَنَات أَو تَعْظِيمُ مَنْ فوقَك والرِّفْق بِمَن دُونَكَ"(٢)، وقَالَ أَبُو زَيْدٍ الْأَنْصَارِيُّ (١١٩ - ٢١٥ هـ): الْأَدَبُ يَقَعُ عَلَى كُلِّ رِيَاضَةٍ مَحْمُودَةٍ يَتَخَرَّجُ بِهَا الْإِنْسَانُ فِي فَضِيلَةٍ مِنْ الْفَضَائِلِ (٣).

٤ ـ الألفاظ التي يحظر استعمالها ويطلق عليها اليوم المحظورات اللغوية، ذات بُعْدين: الأول: الكلمات المحظورة نفسها، والثاني: الكلمات المتحول إليها(٤)، ومصطلح (المحظور اللغوي) أكثر إشارة وتنبيها إلى البعد الأول، عكس مصطلح (أدب الألفاظ والعبارات) فإنه أكثر إشارة إلى البعد الثاني، وهو بهذا يشمل المحظور وغير المحظور، إذ العدول إلى اللفظ الأحسن يترتب عليه معرفة اللفظ الأقل حسنا.

٥ ـ اللفظ المحظور تتعدد الألفاظ المستحسنة التي تستبدل به، وتتفاوت هذه الألفاظ المستحسنة في شيوع استخدامها على ألسنة الناس، أما في ألفاظ

---

(١) شرح النووي على مسلم ٨/١٥ وشرح السيوطي على مسلم ٢٦٦/٥ ومرقاة المفاتيح شرح مشكاة المصابيح ٣٠٠٣/٧.

(٢) تاج العروس(أ د ب) ١٢/٢.

(٣) المصباح المنير (أ د ب) ٩/١.

(٤) علم الدلالة التطبيقي في التراث العربي: هادي نمر ص ٤١٥، دار الأمل، عمان، الأردن، ط١، ٢٠٠٧م.

البحث فسنجد أن النبي ـ ﷺ ـ قد أعطى بديلا واحد لهذا المحظور، أو أطلقه دون بديل لفظي.

٦ ـ المحظور اللغوي مصطلح يشمل المرفوض صوتيا وصرفيا ونحويا وبلاغيا وعروضيا ومعجميا ولهجيا ودلاليا، وهذا ما يدخل تحت الشاذ وغير الفصحيح وما إلى ذلك، أما أدب الألفاظ في هذا البحث فيخص المستويين المعجمي والأسلوبي.

٧ ـ يُلجأ إلى خرق المحظور اللغوي في سياقات تقتضي ذلك كالقضاء والطب وغير ذلك.

٨ ـ المحظور اللغوي قابل للتبديل-في غير الحديث- بمجرد شيوع تداوله بما تفرضه بعض السياقات والمقامات الدلالية، لكن أدب الألفاظ في السنة يبقى شعيرة إسلامية على مدار الدهر.

٩ ـ المحظورات غير ثابتة وغير معروف سببها(١) في الغالب، عكس الألفاظ الواردة في السنة فإن النبي ـ ﷺ ـ ألمح إلى دلالة الرفض من خلال السياق اللفظي أو سياق الحال.

١٠ ـ يقفز إلى بؤرة الشعور عند سماع مصطلح (المحظور اللغوي) مجالات العلاقات الجنسية، وقضاء الحاجة، يقول الدكتور أحمد مختار عمر:" تكثر كلمات التلطف واللامساس في التعبير عن العلاقة الجنسية حتى تكاد تحظى هذه العلاقة بنصيب الأسد في مفردات اللغة"(٢)، أما مصطلح (أدب الألفاظ والعبارات) فلا يوحي بهذه الدلالة فقط كما ظهر جليا من خلال الأمثلة القرآنية السابقة، وكما سيتضح من خلال أمثلة البحث.

---

(١) المدخل إلى علم اللغة الاجتماعي: د. محمد حماد، دار الثقافة العربية ١٤٢٣هـ/ ٢٠٠٣م، ص١٠٤ .

(٢) علم الدلالة: د. أحمد مختار عمر ص٢٦٦ والمحظورات اللغوية د. كريم حسام الدين ص١٠٢ .

المبحث الثاني: الدراسة التطبيقية

الحديث الأول:

عَنْ عَائِشَةَ - رضي الله عنها - عَنِ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ: «**لاَ يَقُولَنَّ أَحَدُكُمْ خَبُثَتْ نَفْسِي، وَلَكِنْ لِيَقُلْ لَقِسَتْ نَفْسِي**»(١).

ذكر شراح الحديث عند شرحهم لهذا الحديث أمرين: **الأول**: أن« لَقِسَتْ» وَ« خَبُثَتْ» بِمَعْنًى وَاحِد. **الثاني**: أنه ﷺ كَرِهَ لَفْظَ الْخُبْثِ لِبَشَاعَةِ الِاسْمِ، وَعَلَّمَهُمُ الْأَدَبَ فِي الْأَلْفَاظِ وَاسْتِعْمَالَ حَسَنِهَا وَهِجْرَانَ خَبِيثِهَا. قال الخطابي (ت٣٨٨ هـ): قوله **لَقِسَتْ نَفْسِي وخَبُثَتْ** معناهما واحد، وإنما كره من ذلك لفظ الخبث وبشاعة الاسم منه، وعلمهم الأدب في المنطق، وأرشدهم إلى استعمال الحسن، وهجران القبيح منه(٢). وقال النووي(ت٦٧٦ هـ): « قَالَ أَبُو عُبَيْد(ت٣٢٤ هـ) وَجَمِيعُ أَهْلِ اللُّغَةِ وَغَرِيبِ الْحَدِيثِ وَغَيْرُهُمْ: لَقِسَتْ وَخَبُثَتْ بِمَعْنًى وَاحِد(٣)، وَإِنَّمَا كُرِهَ لَفْظُ الْخُبْثِ لِبَشَاعَةِ الِاسْمِ، وَعَلَّمَهُمُ الْأَدَبَ فِي الْأَلْفَاظِ وَاسْتِعْمَالَ حَسَنِهَا وَهِجْرَانَ خَبِيثِهَا قَالُوا: وَمَعْنَى لَقِسَتْ: غَثَّتْ، وقال ابن الْأَعْرَابِيِّ(١٥٠ - ٢٣١ هـ) مَعْنَاهُ: ضَاقَتْ» (٤).

ويحاول البحث أن يجيب في ضوء هذين الأمرين عن الأسئلة الآتية:

- هل «لَقِسَ» وَ«خَبُثَ» بِمَعْنًى وَاحِدٍ كما نقل شراح الحديث؟ وإذا كان اللفظان بمعنى واحد فما دلالة النهي عن قول أحدهما وإباحة الآخر؟

- ما دلالة تنوع الرواية في هذا الحديث، فعَنْ عَائِشَةَ - رضي الله عنها - عَنِ النَّبِيِّ

---

(١) مشكاة المصابيح(٣/١٣٤٦/٤٧٦٥) والحديث أخرجه البخاري في صحيحه: كتاب الأدب، بَابُ لاَ يَقُلْ: خَبُثَتْ نَفْسِي ٨/٤١/٦١٧٩ .

(٢) معالم السنن ٤/١٣١.

(٣) غريب الحديث لأبي عبيد ٣/٣٣٤ و النهاية في غريب الحديث والأثر ٤/٢٦٤.

(٤) شرح النووي على مسلم ١٥/٧.

ﷺ، قَالَ: «لَا يَقُولَنَّ أَحَدُكُمْ جَاشَتْ نَفْسِي، وَلَكِنْ لِيَقُلْ لَقِسَتْ نَفْسِي»(١)؟

- كيف يجمع بين هذا النهي وورود مادة (خ ب ث) في القرآن الكريم في أكثر من موضع؟

أما عن **السؤال الأول** فإن المعجم العربي يذكر أن (خَبُثَ، ولَقِسَ، وقلس، وقلص، ولقص، ومقس، وجاش، وغَثْ، وبَغْثَرَ، وغين) ألفاظ متقاربة المعنى تدل على أمر غير محمود وغير مرضي.

- فـ«الْخَاءُ وَالْبَاءُ وَالثَّاءُ أَصْلٌ وَاحِدٌ يَدُلُّ عَلَى خِلَافِ الطَّيِّبِ، يُقَالُ خَبِيثٌ، أَيْ لَيْسَ بِطَيِّبٍ»(٢)، والخبث - بِفَتحتَينِ -: النَّجس... وخَبِيثُ النَّفْسِ أَي ثَقِيلُها كَرِيهُ الْخَالِ(٣)، والمعنى العام: ردئ مكروه ينتشر من الشيء أو يتأتى منه، كصدأ الحديد ونحوه وكطعم الثوم ورائحته، وقذر الرجيع، ومن هذا يطلق الخبيث على ما استقبحه الشرع كالحرام من المال والقبيح من الأفعال(٤).

- و« **اللَّامُ وَالْقَافُ وَالسِّينُ** كَلِمَةٌ تَدُلُّ عَلَى نَعْتِ غَيْرِ مَرْضِيٍّ، وَلَقِسَتْ نَفْسُهُ مِنَ الشَّيْءِ: غَثَتْ، وَاللَّقِسُ: الرَّجُلُ السَّيِّئُ الْخُلُقِ، الشِّرِّيرُ الْحَرِيصُ، وَاللَّقَسُ الْمَصْدَرُ، وَاللَّاقِسُ: الْعَيَّابُ، وَلَقَسْتُ الرَّجُلَ أَلْقُسُهُ: عِبْتُهُ» (٥)، ولَقِسَت نفسه إلى الشيء: نازعته حرصاً(٦)، وعَن أبي زيد(١١٩ - ٢١٥

(١) حديث صحيح أخرجه أبو داود في سننه: كتاب الأدب، بَابُ لَا يُقَالُ خَبُثَتْ نَفْسِي ٤/٢٩٥/٤٩٧٩ .

(٢) مقاييس اللغة (خ ب ث) ٢/٢٣٨ .

(٣) لسان العرب: (خ ب ث).

(٤) المعجم الاشتقاقي المؤصل لألفاظ القرآن الكريم: د/ محمد حسن جبل ص٥٢٢.

(٥) مقاييس اللغة (ل ق س) ٥/٢٦٢ .

(٦) العين: (ل ق س) ٥/٧٨.

هـ): لقسْتُ نَفسِي لَقساً وتَمقسَتْ تمقُّساً كلاهُما بِمَعْنى غَثَتْ غَثَياناً... وعن أبي عَمْرو(ت١٥٤ هـ): اللَّقيس الَّذِي لَا يستقيمُ عَلَى وجه، وَقَالَ ابْن شُمَيْل (١٢٢ - ٢٠٣ هـ): رجلٌ لَقِسٌ: سيِءُ الخُلُق خبيثُ النَّفس فحاشٌ.... قال أَبُو مَنْصُور(ت٣٧٠ هـ): جعل اللَّيْث اللقَس الْحِرْص والشره، وجَعله غَيره الغثيان وخبث النَّفس وَهُوَ الصَّوَاب(١)، وَيُقَالُ: فُلَانٌ لَقِس أَي شَكِس عَسِر، ولَقَسَه يَلْقِسُه لَقْساً، وتَلاقَسُوا: تَشَاتَمُوا... ولَقِسْت النَّاسَ أَلْقَسهم ونَقَسْتُهم أَنْقُسهم، وَهُوَ الإِفساد بَيْنَهُمْ وأَن تسخر مِنْهُمْ وتلقّبهم الأَلقاب(٢)، والقَلْسُ: غَثَيَانُ النَّفْسِ، وَقد قَلَسَتْ نَفْسُه، إِذا غَثَتْ، يُقَال: قَلَسَتْ نَفْسُه، أَي غَثَتْ فقَاءَتْ(٣)، ولَقِصتْ نَفْسُه لَقَصاً: غَثَتْ وخَبُثَتْ، لُغَةٌ فِي لَقِست، بالسِّين المُهْملة(٤)، وقَلَصَتْ نَفْسُه: غَثَتْ، كقَلِص، بالكَسْر، والسِّينُ لُغَةٌ فِيه(٥).

ـ و«**المِيمُ وَالْقَافُ وَالسِّينُ** كَلِمَةٌ وَاحِدَةٌ، يُقَالُ مَقِسَتْ نَفْسُهُ: غَثَتْ» (٦)، وَقيل: تَقَزَّزَتْ وكَرِهَتْ، وَنَحْو ذَلِك، وَقَالَ أَبو عَمرو(ت١٥٤ هـ): ومَقِسَتْ نَفْسي من أَمْرِ كَذَا، تَمْقَسُ، فَهِيَ مَاقِسَةٌ، إِذا أَنِفَتْ، وَقَالَ مَرَّةً: خبُثَتْ، وَهِي بِمَعْنَى لَقِستْ، كتَمَقَّسَتْ(٧).

ـ و«**الْغَيْنُ وَالثَّاءُ وَالْحَرْفُ الْمُعْتَلُّ** كَلِمَةٌ تَدُلُّ عَلَى ارْتِفَاعِ شَيْءٍ دَنِيٍّ فَوْقَ شَيْءٍ، مِنْ ذَلِكَ الْغُثَاءُ: غُثَاءُ السَّيْلِ.... وَمِنَ الْبَابِ: غَثَتْ نَفْسُه تَغْثِي،

(١) تهذيب اللغة: (ل ق س) ٣١١/٨.
(٢) لسان العرب: (ل ق س).
(٣) تاج العروس من جواهر القاموس: (ق ل س) .
(٤) السابق: (ل ق ص).
(٥) نفسه: (ق ل ص) .
(٦) مقاييس اللغة (م ق س) ٣٤٢/٥ .
(٧) تاج العروس من جواهر القاموس: (م ق س) .

كَأَنَّهَا جَاشَتْ بِشَيْءٍ مُؤْذٍ»(١)، وغَثَتْ نَفْسُه تَغْثِي غَثْيًا مِنْ بَابِ رَمَى وَغَثَيَانًا وَهُوَ اضْطِرَابُهَا حَتَّى تَكَادَ تَتَقَيَّأُ مِنْ خِلْطٍ يَنْصَبُّ إِلَى فَمِ الْمَعِدَةِ (٢)،« وغَثَتْ نفسه تَغْثِي غَثَيَاناً: خبثت» (٣).

وجاشت النَّفْس: غثت، أَو دارت للغَثَيَان، كتَجَيَّشَتْ...، وهُوَ من الارْتِفَاع، كَأَنّ مَا فِي بُطُونهم ارْتَفَعَ إِلَى حُلُوقِهِم، فَحَصَلَ الغَثْيُ، ويُرْوَى بالحاءِ أَيْضاً: أَي فَزِعَتْ ونَفَرَتْ، وَقَالَ الجَوْهَرِيّ(ت٣٩٣ هـ): فإِنْ أَرَدْتَ أَنَّهَا ارْتَفَعَتْ من حُزْنٍ أَو فَزَعٍ قلتَ: جَشَأَتْ(٤)، والجَائِشَةُ: النَّفْسُ(٥)، وبَغْثَرَتْ نَفْسُه: خَبُثَتْ وغَثَتْ كتَبَغْثَرَتْ (٦)، وغانَتْ نَفْسِي تَغِينُ غَيْناً: غَثَتْ(٧)، وخَثَرَتْ نَفْسُه ـ بالفَتْح ـ: غَثَتْ وخَبُثَتْ وثَقُلَتْ واخْتَلَطَتْ، .... وَقَالَ ابنُ الأَعرابِيّ: خَثَرَ إِذا لَقِسَت نَفْسُه (٨). قال الزمخشري (ت٥٣٨ هـ): «يُقَال: لقست نَفسه وتمقست إِذا غثت، وَإِنَّمَا كره خبثت لقبح لَفظه، وألاَّ ينْسب الْمُسلم الْخبث إِلَى نَفسه » (٩).

وهكذا فالألفاظ الثلاثة الواردة في الحديث (خبث ـ لقس ـ جاش) متقاربة المعنى، إلا أنه يلمح في لفظ (خبث) الدلالات الآتية: خلاف الطيب ـ النجس ـ ما استقبحه الشرع كالحرام من المال والقبيح من

(١) مقاييس اللغة (غ ث ي) ٤١٢/٤ .
(٢) المصباح المنير في غريب الشرح الكبير للفيومي: (غ ث ي) ٤٤٣/٢ .
(٣) المفردات في غريب القرآن ص٦٠٢ .
(٤) الصحاح: (ج ي ش) ٩٩٩/٣ .
(٥) تاج العروس من جواهر القاموس: (ج ي ش) .
(٦) السابق: (ب غ ث ر) .
(٧) نفسه: (غ ي ن) .
(٨) نفسه: (خ ث ر) .
(٩) الفائق في غريب الحديث ٣٢٥/٣.

الأفعال، أما (لقس) فالدلالة الظاهرة هي سوء الخلق، ودلالة (جاش) هي الغثيان.

الجمع بين هذا الحديث والأحاديث التي ورد فيها لفظ الخبث:

فَإِنْ قِيلَ: ثبت عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ ﷺ: أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ قَالَ: «يَعْقِدُ الشَّيْطَانُ عَلَى قَافِيَةِ رَأْسِ أَحَدِكُمْ إِذَا هُوَ نَامَ ثَلَاثَ عُقَدٍ، يَضْرِبُ كُلَّ عُقْدَةٍ عَلَيْكَ لَيْلٌ طَوِيلٌ، فَارْقُدْ فَإِنِ اسْتَيْقَظَ فَذَكَرَ اللَّهَ، انْحَلَّتْ عُقْدَةٌ، فَإِنْ تَوَضَّأَ انْحَلَّتْ عُقْدَةٌ، فَإِنْ صَلَّى انْحَلَّتْ عُقْدَةٌ، فَأَصْبَحَ نَشِيطًا طَيِّبَ النَّفْسِ وَإِلَّا أَصْبَحَ خَبِيثَ النَّفْسِ كَسْلَانَ»(١)، فكيف نجمع بين الحديثين ؟

لعلمائنا القدامى محاولات في الجمع بين النهي والإباحة، منها:

١- قال الطحاوي(ت٣٢١ هـ): إِنَّ وَصْفَ النَّفْسِ بِالْخُبْثِ وَصْفٌ لَهَا بِالْفِسْقِ، وَمِنْهُ قَوْلُ اللهِ تَعَالَى: ﴿الْخَبِيثَاتُ لِلْخَبِيثِينَ وَالْخَبِيثُونَ لِلْخَبِيثَاتِ﴾ [النور:٢٦] فَكَانَ مَكْرُوهًا لِلرَّجُلِ أَنْ يُفَسِّقَ نَفْسَهُ إِذَا لَمْ يَكُنْ مِنْهَا مَا يُوجِبُ ذَلِكَ عَلَيْهَا، وَكَانَ مَحْبُوبًا لَهُ أَنْ يَقُولَ مَكَانَ ذَلِكَ: لَقِسَتْ نَفْسِي , وَإِنَّ مَعْنَاهُمَا مَعْنًى وَاحِدٌ , وَهُوَ الشَّرَاسَةُ وَشِدَّةُ الْخُلُقِ، كَذَلِكَ مَعْنَاهُمَا عِنْدَ أَهْلِ الْعَرَبِيَّةِ، وَمِمَّنْ حَكَى ذَلِكَ عَنْهُمْ أَبُو عُبَيْدٍ(ت٢٢٤ هـ) ... وَمِنْهُ قَوْلُ عُمَرَ ﷺ فِي صِفَةِ الزُّبَيْرِ ﷺ: إِنَّهُ «وَعِقَةٌ لَقِسٌ»(٢) ، يَعْنِي هَذَا الْمَعْنَى،

---

(١) صحيح البخاري (١١٤٢/٥٢/٢) وصحيح مسلم (٧٧٦/٥٣٨/١).

(٢) أخرجه ابن شبة في تاريخ المدينة ٨٨٢/٣ وتمامه: « عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ ﷺ، قَالَ: دَخَلْتُ عَلَى عُمَرَ ﷺ فَتَنَفَّسَ تَنَفُّسًا شَدِيدًا فَقُلْتُ: يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ مَا أَخْرَجَ هَذَا مِنْكَ إِلَّا هَمٌّ، قَالَ: «نَعَمْ، فَوَيْلٌ لِهَذَا الْأَمْرِ لَا أَدْرِي فَمَنْ لَهُ بَعْدِي» ، ثُمَّ نَظَرَ إِلَيَّ فَقَالَ: لَعَلَّكَ تَرَى أَنَّ صَاحِبَكَ لَهَا، يَعْنِي عَلِيًّا قُلْتُ: يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ وَمَا يَمْنَعُهُ؟ أَلَيْسَ بِمَكَانِ ذَاكَ فِي قَرَابَتِهِ مِنْ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ؟ وَسَوَابِقِهِ فِي الْإِسْلَامِ وَمَنَاقِبِهِ فِي الْخَيْرِ؟ قَالَ: «إِنَّهُ لَكَذَاكَ وَلَكِنَّ فِيهِ فُكَاهَةً» ، قُلْتُ: يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ، فَأَيْنَ أَنْتَ مِنْ طَلْحَةَ بْنِ عُبَيْدِ اللَّهِ؟ قَالَ: «الْأَكْتَعُ مَا كَانَ اللَّهُ لِيُعْطِيَهَا إِيَّاهُ، مَا زِلْتُ أَعْرِفُ فِيهِ بَأْوًا مُذْ

وَلَمَّا كَانَ مَعْنَى الْخَبِيثِ وَمَعْنَى اللَّقَسِ الَّذِي ذَكَرْنَا وَاحِدًا كَانَ أَوْلَاهُمَا بِمَنْ يُرِيدُ وَصْفَ نَفْسِه بِالْمَعْنَى الَّذِي يَرْجِعُ إِلَيْهِ أَحْسَنُهُمَا , وَهُوَ مَا أَمَرَهُ النَّبِيُّ ﷺ بِهِ ... حَتَّى يَكُونَ مِنْ نَفْسِهِ مَا يَسْتَحِقُّ لَهُ أَنْ يُوصَفَ بِالْخُبْثِ مِنْ تَرْكِهَا الصَّلَاةَ وَانْشَائِهَا وَاخْتِيَارِهَا النَّوْمَ عَلَى ذَلِكَ فَيَكُونُ ذَلِكَ فِسْقًا مِنْهَا، وَتَسْتَحِقُّ بِذَلِكَ أَنْ تُوصَفَ بِالْخُبْثِ الَّذِي مَعْنَاهُ بِهَذَا الْفِسْقِ عَلَى مَا فِي حَدِيثِ أَبِي هُرَيْرَةَ رضي الله عنه الَّذِي قَدْ رَوَيْنَا، فَقَدْ بَانَ بِحَمْدِ اللهِ أَنَّ كُلَّ مَعْنًى مِنَ الْمَعْنَيَيْنِ اللَّذَيْنِ ذَكَرْنَا فِي هَذِهِ الرِّوَايَاتِ غَيْرُ مُخَالِفٍ لِلْمَعْنَى الْآخَرِ الْمَذْكُورِ فِيهَا وَلَا مُضَادٌّ لَهُ , وَأَنَّ كُلَّ وَاحِدٍ مِنْهُمَا قَدِ انْصَرَفَ إِلَى مَعْنًى مِنَ الْمَعْنَيَيْنِ الْمَذْكُورَيْنِ فِي هَذِهِ الْأَحَادِيثِ غَيْرِ الْمَعْنَى الَّذِي انْصَرَفَ إِلَى الْحَدِيثِ الْآخَرِ مِنْهُمَا مَعَ أَنَّهُ قَدْ رُوِيَ عَنْ رَسُولِ اللهِ ﷺ بِإِسْنَادٍ مَحْمُودٍ أَنَّهُ قَالَ: « **وَإِذَا أَصْبَحَ وَلَمْ يُصَلِّ أَصْبَحَ لَقَسَ النَّفْسِ**» .... فَقَدْ ذَكَرَ هَذَا مَا ذَكَرْنَا وَدَلَّ عَلَى أَنَّ مَعْنَى خَبِيثِ النَّفْسِ أَنَّهُ لَقَسُ النَّفْسِ غَيْرَ أَنَّ الْأَوْلَى بِوَصْفِ الرَّجُلِ نَفْسَهُ إِذَا لَمْ يَكُنْ مِنْهَا اخْتِيَارٌ لِلْأُمُورِ الْمَذْمُومَةِ وَمَعَهَا الشَّرَاسَةُ وَشِدَّةُ الْخُلُقِ ... فَإِذَا كَانَ مَعَهَا الِاخْتِيَارُ لِلْأُمُورِ الْمَذْمُومَةِ جَازَ لَهُ وَصْفُهَا.... بِمَا شَاءَ مِنْهُمَا (١).

أُصِيبَتْ يَدُهُ» ، قُلْتُ: يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ فَأَيْنَ أَنْتَ مِنَ الزُّبَيْرِ؟ قَالَ: «وَعْقَةٌ لَقَسٌ» قُلْتُ: يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ فَأَيْنَ أَنْتَ مِنْ عَبْدِ الرَّحْمَنِ بْنِ عَوْفٍ؟ قَالَ: «نِعْمَ الْمَرْءُ ذَكَرْتَ، وَهُوَ ضَعِيفٌ، وَلَا يَقُومُ بِهَذَا الْأَمْرِ إِلَّا الْقَوِيُّ فِي غَيْرِ عُنْفٍ وَاللَّيِّنُ فِي غَيْرِ ضَعْفٍ، وَالْجَوَادُ فِي غَيْرِ سَرَفٍ» ، قُلْتُ: يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ، فَأَيْنَ أَنْتَ مِنْ سَعْدٍ؟ قَالَ: «صَاحِبُ فَرَسٍ وَقَوْسٍ» ، قُلْتُ: يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ، فَأَيْنَ أَنْتَ مِنْ عُثْمَانَ؟ قَالَ: «أَوَّهْ» ، وَوَضَعَ يَدَهُ عَلَى رَأْسِهِ قَالَ: «وَاللَّهِ لَئِنْ يَحْمِلْ بَنِي أَبِي مُعَيْطٍ عَلَى رِقَابِ النَّاسِ فَكَأَنِّي أَنْظُرُ إِلَى الْعَرَبِ قَدْ سَارَتْ إِلَيْهِ حَتَّى يَضْرِبَ عُنُقَهُ، وَاللَّهِ لَئِنْ فَعَلَ لَيَفْعَلَنَّ، وَلَئِنْ فَعَلَ لَيَفْعَلَنَّ ذَاكَ بِهِ» ، ثُمَّ أَقْبَلَ عَلَيَّ فَقَالَ: «أَمَا إِنَّ أَحْرَاهُمْ إِنْ وَلِيَهَا أَنْ يَحْمِلَهُمْ عَلَى كِتَابِ اللَّهِ وَسُنَّةِ نَبِيِّهِمْ صَاحِبُكَ، يَعْنِي عَلِيًّا» والبأو الْكبر وَالْعظَمَة .

(١) شرح مشكل الآثار ٣١٨/١ - ٣٢١.

ومعنى ذلك أن هذا التنوع يرجع إلى ما يكون مع هذا الوصف، فإن كان معه ما يستوجبه جاز ذلك، وإن أطلق ولم يكن معه ما يستوجبه حظر ذلك.

٢ ـ قال ابن بطال (ت: ٤٤٩ هـ): ليس قوله ﷺ «**لاَ يَقُولَنَّ أَحَدُكُمْ خَبُثَتْ نَفْسِي**» على معنى الإيجاب والحتم، وإنما هو من باب الأدب، فقد قال في الذى يعقد الشيطان على رأسه ثلاث عقد وينام عن صلاة: «**أصبح خبيث النفس كسلان**» وقد نطق القرآن بهذه اللفظة (١).

وقَالَ ابن أَبِي جَمْرَةَ(ت٦٩٥ هـ) النَّهْيُ عَنْ ذَلِكَ لِلنَّدْبِ، وَالْأَمْرُ بِقَوْلِهِ « **لَقِسَتْ**» لِلنَّدْبِ أَيْضًا فَإِنْ عَبَّرَ بِمَا يُؤَدِّي مَعْنَاهُ كَفَى وَلَكِنْ تَرَكَ الْأَوْلَى(٢)، وهكذا ردّ التعارض الظاهري إلى الدلالة الفقهية.

٣ـ قال أبو الوليد الباجي(ت ٤٧٤ هـ): « وَلَيْسَ بَيْنَ الْحَدِيثَيْنِ اخْتِلَافٌ لِأَنَّ النَّبِيَّ ﷺ نَهَى الْمُسْلِمَ أَنْ يَقُولَ خَبُثَتْ نَفْسِي لَمَّا كَانَ خُبْثُ النَّفْسِ بِمَعْنَى فَسَادِ الدِّينِ، وَالنَّبِيُّ ﷺ وَصَفَ بَعْضَ الْأَفْعَالِ بِذَلِكَ تَحْذِيرًا عَنْهَا» (٣) .

٤ ـ قَالَ الْقَاضِي عياض (٤٧٦ - ٥٤٤ هـ) وَغَيْرُهُ: جَوَابُهُ أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ مُخْبِرٌ هُنَا عَنْ صِفَةِ غَيْرِهِ، وَعَنْ شَخْصٍ مُبْهَمٍ مَذْمُومِ الْحَالِ لَا يَمْتَنِعُ إطلاق هذا اللفظ عليه(٤).

وقال ابن عبد البر(ت٤٦٣ هـ):" وَقَدْ زَعَمَ قَوْمٌ أَنَّ فِي هَذَا الْحَدِيثِ مَا يُعَارِضُ قَوْلَهُ ﷺ« **لاَ يَقُولَنَّ أَحَدُكُمْ خَبُثَتْ نَفْسِي**» لِقَوْلِهِ فِي هَذَا الْحَدِيثِ « **وَإِلَّا أَصْبَحَ خَبِيثَ النَّفْسِ**» وَلَيْسَ ذَلِكَ عِنْدِي كَذَلِكَ؛ لِأَنَّ

(١) شرح صحيح البخاري لابن بطال ٣٣٦/٩.
(٢) فتح الباري ٥٦٤/١٠.
(٣) المنتقى شرح الموطأ ٣١٥/١.
(٤) شرح النووي على مسلم ٧/١٥.

النَّهي إِنَّمَا وَرَدَ عَنْ إِضَافَةِ الْمَرْءِ ذَلِكَ إِلَى نَفْسه كَرَاهِيَةً لتلْكَ اللَّفْظَة وَتَشَاؤُمًا لَهَا إِذَا أَضَافَهَا الْإِنْسَان إِلَى نَفْسه، والْحَدِيث الثَّانِي إِنَّمَا هو خبر عَن حَال مَنْ لَمْ يَذْكُرِ اللَّهَ فِي لَيْلِهِ وَلَا تَوَضَّأَ وَلَا صَلَّى فَأَصْبَحَ خَبِيثَ النَّفْسِ ذَمًّا لفعْله وعيبا لَه، ولكُلّ وَاحِد من الخبرين وَجه فَلَا معنى أَن يجعلا متعارضين؛ لأَنَّ مِنْ شَأْنِ أَهْلِ الْعِلْمِ أَنْ لَا يَجْعَلُوا شيئا مِنَ الْقُرْآنِ وَلَا مِنَ السُّنَنِ مُعَارِضًا لشَيْءٍ مِنْهَا مَا وَجَدُوا إِلَى اسْتِعْمَالِهَا وَتَخْرِيجِ الْوُجُوهِ لَهَا سَبِيلًا"(١)، كَمَا رُوِيَ عَنْهُ إِذْ سُئِلَ عَنِ الْعَقِيقَةِ فَقَالَ« **لَا أُحِبُّ الْعُقُوقَ**»، وَكَأَنَّهُ كَرِهَ الِاسْمَ، وَقَالَ« **لِيَنْسُكْ أَحَدُكُمْ عَنِ ابْنِهِ**»(٢)(٣) .

وقال النووي(ت٦٧٦ هـ): « لَيْسَ فِي هَذَا الْحَدِيثِ مُخَالَفَةٌ لقَوْلِهِ ﷺ «**لَا يَقُلْ أَحَدُكُمْ خَبُثَتْ نَفْسِي**» فَإِنَّ ذَلِكَ نَهْيٌ لِلْإِنْسَانِ أَنْ يَقُولَ هَذَا اللَّفْظَ عَنْ نَفْسِهِ، وَهَذَا إِخْبَارٌ عَنْ صِفَةِ غَيْرِهِ» (٤) .

٥ـ قال ابن حجر(٧٧٣ - ٨٥٢ هـ): تَقْرِيرُ الْإِشْكَالِ أَنَّهُ ﷺ نَهَى عَنْ إِضَافَةِ ذَلِكَ إِلَى النَّفْسِ فَكُلُّ مَا نُهِيَ الْمُؤْمِنُ أَنْ يُضِيفَهُ إِلَى نَفْسِهِ نُهِيَ أَنْ يُضِيفَهُ إِلَى أَخِيهِ الْمُؤْمِنِ وَقَدْ وَصَفَ ﷺ هَذَا الْمَرَضَ بِهَذِهِ الصِّفَةِ فَيَلْزَمُ جَوَازُ وَصْفِنَا لَهُ بِذَلِكَ لِمَحَلِّ التَّأَسِّي وَيَحْصُلُ الِانْفِصَالُ فِيمَا يَظْهَرُ بِأَنَّ النَّهْيَ مَحْمُولٌ عَلَى مَا إِذَا لَمْ يَكُنْ هُنَاكَ حَامِلٌ عَلَى الْوَصْفِ بِذَلِكَ كَالتَّنْفِيرِ وَالتَّحْذِيرِ(٥).

---

(١) التمهيد لابن عبد البر ٤٧/١٩.

(٢)عَنْ عَمْرِو بْنِ شُعَيْبٍ، عَنْ أَبِيهِ، عَنْ جَدِّهِ، قَالَ: سُئِلَ رَسُولُ اللهِ ﷺ عَنِ الْعَقِيقَةِ؟ فَقَالَ: " لَا أُحِبُّ الْعُقُوقَ، وَمَنْ وُلِدَ لَهُ مَوْلُودٌ فَأَحَبَّ أَنْ يَنْسُكَ عَنْهُ فَلْيَفْعَلْ، عَنِ الْغُلَامِ شَاتَانِ مُكَافَأَتَانِ، وَعَنِ الْجَارِيَةِ شَاةٌ " (مسند أحمد ٦٨٢٠/٤٢٠/١١ وقال محققه: إسناده حسن).

(٣) الاستذكار: لابن عبد البر٣٧٥/٢.

(٤) شرح النووي على مسلم ٦٧/٦ وطرح التثريب في شرح التقريب ٨٨/٣.

(٥) فتح الباري ٢٧/٣.

دلالة النهي عن لفظ (خبث) واستبدالها لفظ (لقس):

إشارات علمائنا القدامى لدلالة هذا الأدب اللفظي قد لا تشفي النفس، حيث جاءت أقوالهم على النحو الآتي:

- قال الخطابي (ت٣٨٨ هـ): قوله **لَقِسَتْ نَفْسِي وخَبُثَتْ** معناهما واحد، وإنما كره من ذلك لفظ الخبث وبشاعة الاسم منه، وعلمهم الأدب في المنطق، وأرشدهم إلى استعمال الحسن، وهجران القبيح منه(١).

- وقال ابن بطال (ت: ٤٤٩ هـ): كان النبي ﷺ يعجبه الاسم الحسن ويتفاءل به، ويكره الاسم القبيح ويغيره، وكره ﷺ لفظ الخبيث؛ إذ الخبث حرام على المؤمنين(٢) .

قال ابن الجوزي(ت٥٩٧ هـ): « خبثت ولقست ومقست بِمَعْنى وَاحِد، وَمَعْنَاهُ غثت، وَهُوَ الَّذِي يُرِيدهُ الْقَائِل: خبثت، لَكِن النَّبِي ﷺ كره اسْم الْخبث، وَاخْتَارَ لَفْظَة لَا تستبشع، فَكَانَ النَّبِي ﷺ يكره الْأَلْفَاظ المستبشعة والدالة على الْمَكْرُوه، وَكم غير اسْم شخص لذَلِك الْمَعْنى، كَمَا غير اسْم عاصية بجميلة، وَكَانَ يكره لفظ الْخبث؛ لِأَنَّهُ مُسْتَعْمل فِي الْكفْر وَالشَّر» (٣) .

لكننا قبل الإدلاء برأينا في هذا الأدب النبوي نحاول أن نستقرأ القرآن الكريم في استعماله لمادة (خ ب ث)، لقد وردت مادة (خ ب

(١) معالم السنن ١٣١/٤.
(٢) شرح صحيح البخاري لابن بطال ٣٣٦/٩.
(٣) كشف المشكل من حديث الصحيحين ١١١/٢.

ث) في القرآن الكريم بمشتقاتها في ستة عشر موضعا(١)، ذكر أهل التّفْسِير أَنها على ثَلَاثَة أوجه: -

أَحدهَا: الْخَبِيث الْحَرَام، وَالطّيب الْحَلَال، وَمِنْه قَوْله تَعَالَى فِي سُورَة النِّسَاء: ﴿وَلَا تَتَبَدَّلُوا۟ ٱلْخَبِيثَ بِٱلطَّيِّبِ ۖ﴾[النساء:٢]، وَفِي الْمَائِدَة: ﴿قُل لَّا يَسْتَوِى ٱلْخَبِيثُ وَٱلطَّيِّبُ وَلَوْ أَعْجَبَكَ كَثْرَةُ ٱلْخَبِيثِ﴾ [المائدة:١٠٠].

وَالثَّانِي: الْخَبِيث الْكَافِر، وَالطّيب: الْمَذْكُور مَعَه الْمُؤمن، وَمِنْه قَوْله تَعَالَى فِي آل عمرَان: ﴿حَتَّىٰ يَمِيزَ ٱلْخَبِيثَ مِنَ ٱلطَّيِّبِ ۗ﴾[آل عمران:١٧٩]، وَفِي الْأَعْرَاف: ﴿وَٱلْبَلَدُ ٱلطَّيِّبُ يَخْرُجُ نَبَاتُهُۥ بِإِذْنِ رَبِّهِۦ ۖ وَٱلَّذِى خَبُثَ لَا يَخْرُجُ إِلَّا نَكِدًا ۚ﴾ [الأعراف:٥٨]، وَهَذَا مثل ضربه الله ﷻ لِلْمُؤْمِنِ وَالْكَافِر.

وَالثَّالِث: الْخَبِيث: كلمة الْكفْر، وَالطّيب: كلمة الْإِسْلَام، وَمِنْه قَوْله تَعَالَى فِي إِبْرَاهِيم: ﴿مَثَلًا كَلِمَةً طَيِّبَةً﴾ [إبراهيم:٢٤]، وَهِي قَول : لَا إِلَه إِلَّا الله ﴿ وَمَثَلُ كَلِمَةٍ خَبِيثَةٍ﴾[إبراهيم:٢٦]، يَعْنِي كلمة الْكفْر (٢).

وجعلها أبو هلال العسكري (ت نحو ٣٩٥ هـ) على وجهين:

الأول: الحرام، قال الله: ﴿لَا يَسْتَوِى ٱلْخَبِيثُ وَٱلطَّيِّبُ﴾ [المائدة:١٠٠] يعني: الحلال والحرام، معناه أن الخبيث وإن كثر فأعجب، فإن الطيب خير منه في العافية، وإن قلَّ ، والخبيث اسم يقع على جميع ما حرم الله، والطيب اسم يتناول جميع ما أحله الله .. ، ومجاز الكلام أن الخبيث لا يساوي الطيب، وإن كان على حال يعجب ويسر، وقال الله ـ تعالى ـ : ﴿وَلَا تَتَبَدَّلُوا۟ ٱلْخَبِيثَ بِٱلطَّيِّبِ ۖ﴾ [النساء:٢] أي: لا تأخذوا الحرام من أموال

(١) هي حسب ترتيب السور: [البقرة:٢٦٧] [آل عمران:١٧٩] [النساء:٢] [المائدة:١٠٠] [الأعراف:٥٨] [الأعراف:١٥٧] [الأنفال:٣٧] [إبراهيم:٢٦] [إبراهيم:٢٦] [الأنبياء:٧٤] [النور:٢٦].

(٢) نزهة الأعين النواظر في علم الوجوه والنظائر ص٢٧٠.

اليتامى بدلا مما أحل من سائر الأموال.

الثاني: الكافر، قال الله: ﴿حَتَّىٰ يَمِيزَ ٱلْخَبِيثَ مِنَ ٱلطَّيِّبِ﴾[آل عمران:١٧٩] يعني: الكافر والمؤمن، والخبيث والفاجر(١).

- وفصل الراغب (ت٥٠٢ هـ) دلالاتها فقال: «الخُبْثُ والخَبِيثُ: ما يكره رداءة وخساسة، محسوسا كان أو معقولا، وأصله الرّديء الدّخلة(٢) الجاري مجرى خَبَثِ الحديد، ... وذلك يتناول الباطل في الاعتقاد، والكذب في المقال، والقبيح في الفعال، قال ﷻ: ﴿وَيُحَرِّمُ عَلَيْهِمُ ٱلْخَبَٰٓئِثَ﴾[الأعراف:١٥٧]، أي: ما لا يوافق النّفس من المحظورات، وقوله تعالى: ﴿وَنَجَّيْنَٰهُ مِنَ ٱلْقَرْيَةِ ٱلَّتِى كَانَت تَّعْمَلُ ٱلْخَبَٰٓئِثَ﴾ [الأنبياء:٧٤]، كناية عن إتيان الرّجال، وقال تعالى: ﴿مَّا كَانَ ٱللَّهُ لِيَذَرَ ٱلْمُؤْمِنِينَ عَلَىٰ مَآ أَنتُمْ عَلَيْهِ حَتَّىٰ يَمِيزَ ٱلْخَبِيثَ مِنَ ٱلطَّيِّبِ﴾ [آل عمران:١٧٩]، أي: الأعمال الخبيثة من الأعمال الصالحة، والنّفوس الخبيثة من النّفوس الزّكيّة، وقال تعالى: ﴿وَلَا تَتَبَدَّلُوا۟ ٱلْخَبِيثَ بِٱلطَّيِّبِ﴾ [النساء:٢]، أي: الحرام بالحلال، وقال تعالى﴿ٱلْخَبِيثَٰتُ لِلْخَبِيثِينَ وَٱلْخَبِيثُونَ لِلْخَبِيثَٰتِ﴾ [النور:٢٦]، أي: الأفعال الرّديّة والاختيارات المبهرجة لأمثالها، وكذا: ﴿ٱلْخَبِيثَٰتُ لِلْخَبِيثِينَ﴾، وقال تعالى: ﴿قُل لَّا يَسْتَوِى ٱلْخَبِيثُ وَٱلطَّيِّبُ﴾[المائدة:١٠٠]، أي: الكافر والمؤمن، والأعمال الفاسدة والأعمال الصّالحة، وقوله تعالى: ﴿وَمَثَلُ كَلِمَةٍ خَبِيثَةٍ كَشَجَرَةٍ خَبِيثَةٍ﴾ [إبراهيم:٢٦]، فإشارة إلى كلّ كلمة قبيحة من كفر

(١) الوجوه والنظائر لأبي هلال العسكري ص٢١٠.

(٢) باطن الأمر ومن الإنسان داخله ويقال هو حسن الدخلة وهو عفيف الدخلة وهو خبيث الدخلة. (المعجم الوسيط: (د خ ل) ٢٧٥/١.

وكذب ونميمة وغير ذلك، ... » (١).

وكما وردت مادة (خ ب ث) في القرآن الكريم، وردت ـ أيضا ـ في السنة النبوية (٢)، فعن عَبْد اللهِ بْن عُمَرَ ـ ﷺ ـ أَنَّ رَسُولَ اللهِ ﷺ قَالَ: " ثَلَاثَةٌ قَدْ حَرَّمَ اللهُ تَبَارَكَ وَتَعَالَى عَلَيْهِمُ الْجَنَّةَ: مُدْمِنُ الْخَمْرِ، وَالْعَاقُّ لوالديه وَالدَّيُّوثُ الَّذِي يُقِرُّ فِي أَهْلِهِ الْخُبْثَ"(٣).

وبعد عرض أقوال وآراء علمائنا السابقين ـ ﷺ ـ يمكن الوقوف على

---

(١) المفردات في غريب القرآن ص٢٧٢ و بصائر ذوي التمييز ٥٢٢/٢ .

(٢) ـ عَنْ أَبِي مُوسَى ﷺ، عَنِ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ: " إِنَّ اللهَ ﷻ خَلَقَ آدَمَ مِنْ قَبْضَةٍ قَبَضَهَا مِنْ جَمِيعِ الْأَرْضِ، فَجَاءَ بَنُو آدَمَ عَلَى قَدْرِ الْأَرْضِ، جَاءَ مِنْهُمُ الْأَبْيَضُ وَالْأَحْمَرُ وَالْأَسْوَدُ وَبَيْنَ ذَلِكَ، وَالْخَبِيثُ، وَالطَّيِّبُ وَالسَّهْلُ، وَالْحَزْنُ وَبَيْنَ ذَلِكَ.(مسند أحمد: ١٩٥٨٢/٣٥٣/٣٢ وقال محققه: إسناده صحيح) .

ـ وعن جَابِر ﷺ قال: غَزَوْنَا مَعَ النَّبِيِّ ﷺ، وَقَدْ ثَابَ مَعَهُ نَاسٌ مِنَ الْمُهَاجِرِينَ حَتَّى كَثُرُوا، وَكَانَ مِنَ الْمُهَاجِرِينَ رَجُلٌ لَعَّابٌ، فَكَسَعَ أَنْصَارِيًّا، فَغَضِبَ الْأَنْصَارِيُّ غَضَبًا شَدِيدًا حَتَّى تَدَاعَوْا، وَقَالَ الْأَنْصَارِيُّ: يَا لَلْأَنْصَارِ، وَقَالَ الْمُهَاجِرِيُّ: يَا لَلْمُهَاجِرِينَ، فَخَرَجَ النَّبِيُّ ﷺ، فَقَالَ: " مَا بَالُ دَعْوَى أَهْلِ الْجَاهِلِيَّةِ؟ ثُمَّ قَالَ: مَا شَأْنُهُمْ؟ فَأُخْبِرَ بِكَسْعَةِ الْمُهَاجِرِيِّ الْأَنْصَارِيَّ، قَالَ: فَقَالَ النَّبِيُّ ﷺ: «دَعُوهَا فَإِنَّهَا خَبِيثَةٌ» وَقَالَ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ أُبَيٍّ ابْنُ سَلُولَ: أَقَدْ تَدَاعَوْا عَلَيْنَا، لَئِنْ رَجَعْنَا إِلَى الْمَدِينَةِ لَيُخْرِجَنَّ الْأَعَزُّ مِنْهَا الْأَذَلَّ، فَقَالَ عُمَرُ: أَلَا نَقْتُلُ يَا رَسُولَ اللَّهِ هَذَا الْخَبِيثَ؟ لِعَبْدِ اللَّهِ، فَقَالَ النَّبِيُّ ﷺ: «لَا يَتَحَدَّثُ النَّاسُ أَنَّهُ كَانَ يَقْتُلُ أَصْحَابَهُ» (أخرجه البخاري في صحيحه: كتاب المناقب، بَابُ مَا يُنْهَى مِنْ دَعْوَةِ الجَاهِلِيَّةِ ٣٥٢٨/١٨٣/٤).

ـ عَنْ كَعْبِ بْنِ عُجْرَةَ، قَالَ: دَخَلَ الْمَسْجِدَ وَعَبْدُ الرَّحْمَنِ ابْنُ أُمِّ الْحَكَمِ يَخْطُبُ قَاعِدًا، فَقَالَ: انْظُرُوا إِلَى هَذَا الْخَبِيثِ يَخْطُبُ قَاعِدًا، وَقَالَ اللهُ تَعَالَى: ﴿وَإِذَا رَأَوْا تِجَٰرَةً أَوْ لَهْوًا ٱنفَضُّوٓا۟ إِلَيْهَا وَتَرَكُوكَ قَآئِمًا﴾ [الجمعة: ١١] (أخرجه مسلم في صحيحه: كتاب الجمعة، بَابٌ فِي قَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿وَإِذَا رَأَوْا تِجَارَةً أَوْ لَهْوًا انْفَضُّوا إِلَيْهَا وَتَرَكُوكَ قَائِمًا﴾ [الجمعة: ١١]٨٦٤/٥٩١/٢).

(٣) مسند أحمد (٦١١٢/٢٦٩/١٠) وقال الشيخ شعيب: حديث صحيح.

الحقائق أو النتائج الآتية:

١ ـ يفسر الأدب اللفظي في هذا لغويا بأن لفظ (الخبث) يحمل دلالات زائدة عن لفظي (اللقس والجأش)، وكلها تتنافى مع المؤمن، فالخبث يستعمل في الدلالة على:

أ ـ الكفر والشر، وهذا ما أظهره علماء الوجوه والنظائر في القرآن الكريم، وكلاهما يتنافى مع المؤمن.

ب ـ فساد الدين، قال أبو هلال العسكري (ت نحو ٣٩٥ هـ):" أصل الخبث الدنس والرداءة، ومنه خبث الحديد وخبث الفضة ما ينفى منها؛ لأنه يفسدها ويدنسها، وتستعمل في الدهاء، فيقال: خبيث إذا كان داهيا، ويستعمل في المعصية والحرام، وإن ذلك كله مما يدنس العرض والدِّين، ورجل خبيث: رديء المذهب،...، والخبثة الفجور "(١).

ج ـ النجاسة ، وقد قرر النبي ـ ﷺ ـ « أَنَّ الْمُسْلِمَ لاَ يَنْجُسُ»(٢).

د ـ الباطل في الاعتقاد، والكذب في المقال، قَالَ الرَّاغِبُ(ت٥٠٢ هـ): الْخُبْثُ يُطْلَقُ عَلَى" الْبَاطِلِ فِي الِاعْتِقَادِ، وَالْكَذِبِ فِي الْمَقَالِ، وَالْقَبِيحِ فِي الْفِعَالِ" (٣)، وهذا ما لا يتصف به المؤمن، فعَنْ صَفْوَانَ بْنِ سُلَيْمٍ، أَنَّهُ قَالَ: قِيلَ لِرَسُولِ اللَّهِ ﷺ: أَيَكُونُ الْمُؤْمِنُ جَبَانًا؟ فَقَالَ: «نَعَمْ»، فَقِيلَ لَهُ: أَيَكُونُ الْمُؤْمِنُ بَخِيلًا؟ فَقَالَ: «نَعَمْ»، فَقِيلَ لَهُ: «أَيَكُونُ الْمُؤْمِنُ كَذَّابًا»؟ فَقَالَ: «لَا»(٤).

هـ ـ الخبث اللغوي دال على صفات المنافق، قال الجاحظ(ت٢٥٥

---

(١) الوجوه والنظائر لأبي هلال العسكري ص٢١٠ و نزهة الأعين النواظر في علم الوجوه والنظائر ص٢٧٠.

(٢) صحيح البخاري (٢٨٣/٦٥/١).

(٣) المفردات في غريب القرآن ص٢٧٢.

(٤) موطأ مالك (١٩/٩٩٠/٢).

هـ): الخبث: هو إضمار الشّرّ للغير وإظهار الخير له، واستعمال الغيلة والمكر والخديعة في المعاملات (١)، وهذا ما يتنافى مع المؤمن

و ـ **إطلاق لسان الشريعة هذا اللفظ على الشياطين**، فعن أَنَس ـ ﷺ ـ يَقُولُ: كَانَ النَّبِيُّ ﷺ إِذَا دَخَلَ الخَلاَءَ قَالَ: «اللَّهُمَّ إِنِّي أَعُوذُ بِكَ مِنَ الخُبُثِ وَالخَبَائِثِ»(٢).

قَالَ ابن حبان(ت٣٥٤ هـ) ـ ﷺ ـ: الْخُبُث وَالْخَبَائِث: جَمْعُ الذُّكُورِ وَالْإِنَاث مِنَ الشَّيَاطِينِ، يُقَالُ لِلْوَاحِدِ مِنْ ذُكْرَانِ الشَّيَاطِينِ خَبِيثٌ، وَالِاثْنَيْنِ خَبِيثَانِ، وَالثَّلَاثُ خَبَائِثُ (٣).

ز ـ يطلق لفظ الخبث على ما استقبحه الشرع كالحرام من المال والقبيح من الأفعال، وهذا ما ذكره الراغب(ت٥٠٢ هـ) فيما أسلفنا من نصوص، قال الرازي(ت٦٠٦ هـ):" الطَّيِّبُ فِي اللُّغَةِ قَدْ يَكُونُ بِمَعْنَى الطَّاهِرِ، وَالْحَلَالُ يُوصَفُ بِأَنَّهُ طَيِّبٌ، لِأَنَّ الْحَرَامَ يُوصَفُ بِأَنَّهُ خَبِيثٌ قَالَ تَعَالَى: ﴿قُل لَّا يَسْتَوِي ٱلْخَبِيثُ وَٱلطَّيِّبُ﴾ [الْمَائِدَةِ: ١٠٠] "(٤)، و" إِنَّ اللَّهَ طَيِّبٌ لَا يَقْبَلُ إِلَّا طَيِّبًا"(٥).

ح ـ **الْخَبِيثُ** : الشَّدِيدُ السوءفِي صِنْفِهِ، فَلِذَلِكَ يُطْلَقُ عَلَى الْحَرَامِ وَعَلَى الْمُسْتَقْذَرِ، قَالَ تَعَالَى: ﴿وَيُحَرِّمُ عَلَيْهِمُ ٱلْخَبَٰٓئِثَ﴾ [الْأَعْرَاف: ١٥٧] وَهُوَ الضِّدُّ الْأَقْصَى لِلطَّيِّبِ، فَلَا يُطْلَقُ عَلَى الرَّدِيءِ إِلَّا عَلَى وَجْهِ الْمُبَالَغَةِ(٦).

ولهذا كله كَرِهَ ﷺ مِنْ ذَلِكَ اسْمَ الْخُبْثِ، فَاخْتَارَ اللَّفْظَةَ السَّالِمَةَ مِنْ

---

(١) تهذيب الأخلاق ص٣٣ .

(٢) صحيح البخاري (١/٤٠/١٤٢).

(٣) صحيح ابن حبان(٤/٢٥٣/١٤٠٧).

(٤) مفاتيح الغيب ١٨٥/٥.

(٥) صحيح مسلم (٢/٧٠٣/١٠١٥).

(٦) التحرير والتنوير ٥٦/٣.

ذَلِكَ ، قال ابن حجر(ت٨٥٢ هـ):"يُؤْخَذُ مِنَ الْحَدِيثِ اسْتِحْبَابُ مُجَانَبَةِ الْأَلْفَاظِ الْقَبِيحَةِ وَكَذا الْأَسْمَاءِ، وَالْعُدُولُ إِلَى مَا لَا قُبْحَ فِيهِ، وَالْخُبْثُ وَاللَّقْسُ وَإِنْ كَانَ الْمَعْنَى الْمُرَادُ يَتَأَدَّى بِكُلٍّ مِنْهُمَا لَكِنْ لَفْظُ الْخُبْثِ قَبِيحٌ، وَيَجْمَعُ أُمُورًا زَائِدَةً عَلَى الْمُرَادِ، بِخِلَافِ اللَّقْسِ فَإِنَّهُ يَخْتَصُّ بِامْتِلَاءِ الْمَعِدَةِ"(١) .

٢ ـ لفظ (لقس) أضيق دلالة من لفظ (خ ب ث) ، وقد يستعمل فيما يصيب المؤمن من أمر غير محمود، قَالَ الْأَعْرَابِيّ (١٥٠ - ٢٣١ هـ): الْعَرَبُ تَقُولُ: لَقِسَتْ نَفْسِي، أَيْ ضَاقَتْ (٢)، قال تعالى ـ واصفا ثلاثة من صحابة النبي ـ ﷺ . ﴿وَعَلَى ٱلثَّلَٰثَةِ ٱلَّذِينَ خُلِّفُواْ حَتَّىٰٓ إِذَا ضَاقَتۡ عَلَيۡهِمُ ٱلۡأَرۡضُ بِمَا رَحُبَتۡ وَضَاقَتۡ عَلَيۡهِمۡ أَنفُسُهُمۡ وَظَنُّوٓاْ أَن لَّا مَلۡجَأَ مِنَ ٱللَّهِ إِلَّآ إِلَيۡهِ﴾[التوبة:١١٨].

٣ ـ القبحَ في اللفظ قد يَحْدُث من استعماله في الموارد القبيحة، كالبليد، فإنَّه لا يوازي الحمارَ في الشناعة، مع أنَّ المراد منهما واحدٌ، ألا ترى أنك إذا قلت لأحد: أيُّها البليدُ، فإنه لا يَنْقَبِضُ منه، كانقباضه من: أيُّها الحمارُ؟ فدلَّ على أنَّ الطبائعَ تَنْقَبِضُ عند لفظٍ يختصُّ في الاستعمال بالموارد القبيحة، وإن كان معناه قريباً من لفظٍ آخر ليس على هذه الصفة(٣).

٤ ـ للدلالة الإيحائية دور في رفض لفظ وقبول آخر، ولفظ (الخبيث) بما توحيه دلالته المسموعة من القرآن والسنة تجعله غير مستساغ على أذن المسلم، وهذا ما عقله علماؤنا القدامى، " قَالَ ابْنُ الْعَرَبِيّ(ت٥٤٣ هـ): لَا يَقُلْ أَحَدٌ انْصَرَفْنَا مِنْ الصَّلَاةِ، فَإِنَّ قَوْمًا قِيلَ فِيهِمْ: ﴿ثُمَّ ٱنصَرَفُواْ

(١) فتح الباري ٥٦٤/١٠.
(٢) شعب الإيمان ١٧٨/٧.
(٣) فيض الباري على صحيح البخاري ١٧٤/٦.

صَرَفَ ٱللَّهُ قُلُوبَهُم﴾،... قَالَ أَبُو الْفَضْلِ الْجَوْهَرِيُّ...: كُنَّا فِي جِنَازَةٍ، فَقَالَ الْمُنْذِرُ بِهَا: انْصَرِفُوا رَحِمَكُمْ اللَّهُ فَقَالَ: لَا يَقُلْ أَحَدُكُمْ انْصَرِفُوا، فَإِنَّ اللَّهَ تَعَالَى قَالَ فِي قَوْمٍ ذَمَّهُمْ: ﴿ثُمَّ ٱنصَرَفُوا۟ صَرَفَ ٱللَّهُ قُلُوبَهُم﴾[التوبة: ١٢٧] وَلَكِنْ قُولُوا: انْقَلِبُوا رَحِمَكُمْ اللَّهُ، فَإِنَّ اللَّهَ تَعَالَى قَالَ فِي قَوْمٍ مَدَحَهُمْ: ﴿فَٱنقَلَبُوا۟ بِنِعْمَةٍ مِّنَ ٱللَّهِ وَفَضْلٍ لَّمْ يَمْسَسْهُمْ سُوٓءٌ﴾[آل عمران: ١٧٤ (١).

٥ ـ في الحديث دلالة على " أَنَّ الْمَرْءَ يَطْلُبُ الْخَيْرَ حَتَّى بِالْفَأْلِ الْحَسَنِ، وَيُضِيفُ الْخَيْرَ إِلَى نَفْسِه وَلَوْ بِنِسْبَةِ مَا، وَيَدْفَعُ الشَّرَّ عَنْ نَفْسِه مَهْمَا أَمْكَنَ، وَيَقْطَعُ الْوَصْلَةَ بَيْنَهُ وَبَيْنَ أَهْلِ الشَّرِّ حَتَّى فِي الْأَلْفَاظِ الْمُشْتَرَكَةِ، وَيَلْتَحِقُ بِهَذَا أَنَّ الضَّعِيفَ إِذَا سُئِلَ عَنْ حَالِهِ لَا يَقُولُ لَسْتُ بِطَيِّبٍ، بَلْ يَقُولُ ضَعِيفٌ وَلَا يُخْرِجُ نَفْسَهُ مِنَ الطَّيِّبِينَ فَيُلْحِقُهَا بِالْخَبِيثِينَ" (٢) .

٦ ـ هذا الأد في ب اللفظ يقرر أن اللفظين وإن ترادفا لغة، إلا أنه لا يجوز استعمال أحدهما مكان الآخر، قال البغوي(ت٥١٦ هـ):" هذا قَدْحٌ في قولهم إنه يجوز في كل لفظين مترادفين أن يوضع أحدهما مكان الآخر"(٣) .

٧ ـ في هذا الأدب اللفظي دلالة فقهية تتمثل في سد الذرائع، يقرر ابن القيم(ت٧٥١ هـ): أن في هذا الأدب" سَدًّا لِذَرِيعَةِ اعْتِيَادِ اللِّسَانِ لِلْكَلَامِ الْفَاحِشِ، وَسَدًّا لِذَرِيعَةِ اتِّصَافِ النَّفْسِ بِمَعْنَى هَذَا اللَّفْظِ، فَإِنَّ الْأَلْفَاظَ تَتَقَاضَى مَعَانِيَهَا وَتَطْلُبُهَا بِالْمُشَاكَلَةِ وَالْمُنَاسَبَةِ الَّتِي بَيْنَ اللَّفْظِ وَالْمَعْنَى، وَلِهَذَا قَلَّ مَنْ تَجِدُهُ يَعْتَادُ لَفْظًا إِلَّا وَمَعْنَاهُ غَالِبٌ عَلَيْهِ، فَسَدَّ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ ذَرِيعَةَ الْخُبْثِ لَفْظًا وَمَعْنًى، وَهَذَا أَيْضًا من اللطف في الْبَابِ"(٤).

---

(١) أحكام القرآن لابن العربي ٦٠٥/٢ و الجامع لأحكام القرآن ٣٠٠/٨ .
(٢) فتح الباري ٥٦٤/١٠.
(٣)إرشاد الساري لشرح صحيح البخاري ١٠٦/٩.
(٤) أعلام الموقعين عن رب العالمين ١٢٠/٣.

الحديث الثانى

عَنْ حُذَيْفَةَ ﷺ عَنِ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ: «**لَا تَقُولُوا مَا شَاءَ اللَّهُ، وَشَاءَ فُلَانٌ، وَلَكِنْ قُولُوا مَا شَاءَ اللَّهُ ثُمَّ شَاءَ فُلَانٌ**»(١).

وعَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ ـ ﷺ ـ، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: « **إِذَا حَلَفَ أَحَدُكُمْ فَلَا يَقُلْ: مَا شَاءَ اللَّهُ وَشِئْتَ، وَلَكِنْ لِيَقُلْ: مَا شَاءَ اللَّهُ، ثُمَّ شِئْتَ**» (٢).

ـ سبيل انتهاج هذا الأدب اللفظي أو مخالفته هو المعرفة بدلالة حروف المعاني، « لِأَنَّهُ مِمَّا يُحتاج فِي إِدْرَاك الحقّ فِي مَعَانِيهَا إِلَى قياسٍ ونظير، كَمَا يحْتَاج فِي سَائِر أَبْوَاب النَّحو إِلَى قياسٍ ونظيرٍ لتمييز الصَّواب من الْخَطَأ»(٣)، وهذا يعني أنه من طريق الأدب أن لا يؤتى بالواو التي تقتضي الجمع، بل تأتي بـ(ثم) التي تقتضي التراخي، والحديثُ دالٌّ على ذلك(٤).

قال الخطابي (ت٣٨٨ هـ): إنّ الواو حرف الجمع والتشريك، وثُمّ حرف النسق بشرط التراخي، فأرشدهم إلى الأدب في تقديم مشيئة الله سبحانه على مشيئة من سواه (٥).

وقال ابن بطال(ت٤٤٩ هـ): « وإنما لم يجز أن نقول: **مَا شَاءَ اللَّهُ وَشِئْتَ** ؛ لأن الواو تشرك المشيئتين جميعًا،... وإنما أجاز دخول (ثُمّ) مكان الواو، لأن مشيئة الله متقدمة على مشيئة خلقه، قال تعالى: ﴿وَمَا

(١) مشكاة المصابيح (٤٧٧٨/١٣٤٩/٣) والحديث أخرجه أبو داود في سننه: كتاب الأدب، باب لا يقال خبثت نفسي ٤٩٨٠/٢٩٥/٤.

(٢) أخرجه ابن ماجة في سننه: كتاب الكفارات، بَابُ النَّهْيِ أَنْ يُقَالَ: مَا شَاءَ اللَّهُ وَشِئْتَ ٢١١٧/٦٨٤/١.

(٣) المخصص ٢٣٥/٤.

(٤) الدر المصون ٦٣٤/٥.

(٥) معالم السنن ١٣١/٤.

تَشَآءُونَ إِلَّآ أَن يَشَآءَ ٱللَّهُ﴾ [الإنسان: ٣٠] [التكوير:٢٩]، فهذا من الأدب» (١)، لِأَنَّ حَقِيقَةَ الْمَشِيئَةِ لِلَّهِ تَعَالَى وَحْدَهُ كَمَا فِي قَوْلِهِ: ﴿وَمَا تَشَآءُونَ إِلَّآ أَن يَشَآءَ ٱللَّهُ﴾ [الإنسان: ٣٠] [التكوير:٢٩]، وَكَقَوْلِهِ: ﴿وَلَوْ أَنَّنَا نَزَّلْنَآ إِلَيْهِمُ ٱلْمَلَٰٓئِكَةَ وَكَلَّمَهُمُ ٱلْمَوْتَىٰ وَحَشَرْنَا عَلَيْهِمْ كُلَّ شَىْءٍ قُبُلًا مَّا كَانُوا۟ لِيُؤْمِنُوٓا۟ إِلَّآ أَن يَشَآءَ ٱللَّهُ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَهُمْ يَجْهَلُونَ﴾ [الأنعام:١١١] ، وَقَوْلِهِ: ﴿قُل لَّآ أَمْلِكُ لِنَفْسِى نَفْعًا وَلَا ضَرًّا إِلَّا مَا شَآءَ ٱللَّهُ﴾ [الأعراف:١٨٨] ، وَقَوْلِهِ: ﴿قُل لَّآ أَمْلِكُ لِنَفْسِى ضَرًّا وَلَا نَفْعًا إِلَّا مَا شَآءَ ٱللَّهُ﴾ [يونس:٤٩]، وَقَوْلِهِ: ﴿بَل لِّلَّهِ ٱلْأَمْرُ جَمِيعًا﴾ [الرعد:٣١] ، وَقَوْلِهِ: ﴿لِلَّهِ ٱلْأَمْرُ مِن قَبْلُ وَمِنۢ بَعْدُ﴾ [الروم:٤].

وعَنْ عَبْدِ اللهِ بْنِ يَسَارٍ، عَنْ قُتَيْلَةَ بِنْتِ صَيْفِيٍّ الْجُهَنِيَّةِ قَالَتْ: أَتَى حَبْرٌ مِنَ الْأَحْبَارِ إِلَى رَسُولِ اللهِ ﷺ فَقَالَ: يَا مُحَمَّدُ، نِعْمَ الْقَوْمُ أَنْتُمْ، لَوْلَا أَنَّكُمْ تُشْرِكُونَ، قَالَ: " سُبْحَانَ اللهِ، وَمَا ذَاكَ؟ "، قَالَ: تَقُولُونَ إِذَا حَلَفْتُمْ وَالْكَعْبَةِ، قَالَتْ: فَأَمْهَلَ رَسُولُ اللهِ ﷺ شَيْئًا ثُمَّ قَالَ: " إِنَّهُ قَدْ قَالَ: فَمَنْ حَلَفَ فَلْيَحْلِفْ بِرَبِّ الْكَعْبَةِ "، ثُمَّ قَالَ: يَا مُحَمَّدُ، نِعْمَ الْقَوْمُ أَنْتُمْ، لَوْلَا أَنَّكُمْ تَجْعَلُونَ لِلَّهِ نِدًّا، قَالَ: " سُبْحَانَ اللهِ، وَمَا ذَاكَ؟ "، قَالَ: تَقُولُونَ مَا شَاءَ اللهُ وَشِئْتَ، قَالَ: فَأَمْهَلَ رَسُولُ اللهِ ﷺ شَيْئًا ثُمَّ قَالَ: " إِنَّهُ قَدْ قَالَ، فَمَنْ قَالَ مَا شَاءَ اللهُ فَلْيَفْصِلْ بَيْنَهُمَا ثُمَّ شِئْتَ"(٢).

وهكذا يدرك الأعرابي الفرق الدلالي بين اللفظين وما يترتب عليهما، والنبيﷺ يقره على ذلك بعد تدبر وتبصر لما قاله، ثم يأمر بإقرار هذا الاستعمال ويجعله أدبا لفظيا.

- فإن قيل: قال ابْنِ عَبَّاسٍ ـ رضي الله عنهما ـ: قَالَ رَجُلٌ لِلنَّبِيِّ ﷺ: مَا شَاءَ اللَّهُ

(١) شرح صحيح البخاري لابن بطال ١٠٦/٦.

(٢) مسند أحمد ٢٧٠٩٣/٤٣/٤٥ وقال محققه: إسناده صحيح، وسنن النسائي: كتاب الإيمان والنذور، الحلف بالكعبة ٣٧٧٦/٦/٧.

وَشِئْتَ، قَالَ: «جَعَلْتَ لِلَّهِ نِدًّا، مَا شَاءَ اللَّهُ وَحْدَهُ»(١).

قَالَ الطِّيبِيُّ: فَإِنْ قُلْتَ: كَيْفَ رَخَّصَ أَنْ يَقُولَ مَا شَاءَ اللَّهُ ثُمَّ شَاءَ فُلَانٌ وَلَمْ يُرَخِّصْ فِي اسْمِه - ﷺ- حَيْثُ قَالَ: قُولُوا مَا شَاءَ اللَّهُ وَحْدَهُ؟ قُلْتُ: فِيهِ جَوَابَانِ. **أَحَدُهُمَا:** قَالَ دَفْعًا لِمَظِنَّةِ التُّهْمَةِ فِي قَوْلِهِمْ مَا شَاءَ اللَّهُ وَشَاءَ مُحَمَّدٌ تَعْظِيمًا لَهُ وَرِيَاءً لِسُمْعَتِه، **وَثَانِيهِمَا:** أَنَّهُ رَأْسُ الْمُوَحِّدِينَ وَمَشِيئَتُهُ مَغْمُورَةٌ فِي مَشِيئَةِ اللَّهِ تَعَالَى، وَمُضْمَحِلَّةٌ فِيهَا.

قال الملا علي القاري (ت١٠١٤ هـ): أَصْلُ السُّؤَالِ مَدْفُوعٌ، لِأَنَّهُ - ﷺ- دَاخِلٌ فِي عُمُومِ فُلَانٍ، فَيَجُوزُ أَنْ يُقَالَ مَا شَاءَ اللَّهُ ثُمَّ شَاءَ مُحَمَّدٌ، وَلَا يَجُوزُ أَنْ يُقَالَ مَا شَاءَ اللَّهُ وَشَاءَ مُحَمَّدٌ، فَجَوَابُهُ الْأَوَّلُ خَطَأٌ فَاحِشٌ، لِأَنَّهُمْ لَوْ قَالُوا: مَا شَاءَ اللَّهُ وَشَاءَ مُحَمَّدٌ، لَكَانَ شِرْكًا جَلِيًّا لَا مَظِنَّةً لِلتُّهْمَةِ الَّتِي ذَكَرَهَا، وَجَوَابُهُ الثَّانِي فِي نَفْسِ الْأَمْرِ صَحِيحٌ، لَكِنْ لَا يُفِيدُ جَوَازَ الْإِتْيَانِ بِالْوَاوِ، مَعَ أَنَّ مَشِيئَةَ غَيْرِهِ - ﷺ- أَيْضًا مُضْمَحِلَّةٌ فِي مَشِيئَةِ اللَّهِ تَعَالَى سُبْحَانَهُ، وَأَيْضًا مَا سَبَقَ مِنْ قَوْلِهِ -ﷺ- وَلَكِنْ قُولُوا مَا شَاءَ اللَّهُ ثُمَّ شَاءَ فُلَانٌ لِمُجَرَّدِ الرُّخْصَةِ، وَلَوْ قَالَ هُنَا قُولُوا مَا شَاءَ اللَّهُ ثُمَّ شَاءَ مُحَمَّدٌ، لَكَانَ أَمْرَ وُجُوبٍ أَوْ نَدْبٍ، وَلَيْسَ الْأَمْرُ كَذَلِكَ، مَعَ أَنَّ الْمَشِيئَةَ الْمُسْنَدَةَ إِلَى فُلَانٍ إِنَّمَا هِيَ مَشِيئَةٌ جُزْئِيَّةٌ لَا يَجُوزُ حَمْلُهَا عَلَى الْمَشِيئَةِ الْكُلِّيَّةِ(٢).

وعَنْ أَبِي جَعْفَرٍ الدَّاوُدِيِّ (ت٤٠٢ هـ)(٣) قَالَ: لَيْسَ فِي الْحَدِيثِ الَّذِي ذَكَرَهُ نَهْيٌ عَنِ الْقَوْلِ الْمَذْكُورِ فِي التَّرْجَمَةِ وَقَدْ قَالَ اللَّهُ تَعَالَى ﴿وَمَا

(١) الأدب المفرد للبخاري ص٢٧٤ ح٧٨٣.

(٢) مرقاة المفاتيح شرح مشكاة المصابيح ٣٠٠٨/٧ .

(٣) أبو جعفر أحمد بن نصر الداودي الأسدي، من أئمة المالكية بالمغرب ... كان فقيهاً فاضلاً متفنناً مؤلفاً مجيداً، له حفظ من اللسان والحديث والنظر.... توفي سنة ثنتين وأربعمائة (ترتيب المدارك وتقريب المسالك: للقاضي عياض ١٠٢/٧و الديباج المذهب في معرفة أعيان علماء المذهب لابن فرحون ١٦٦/١).

نَقَمُوٓاْ إِلَّآ أَنۡ أَغۡنَىٰهُمُ ٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥ مِن فَضۡلِهِۦۚ ﴾[التوبة:٧٤]، وَقَالَ تَعَالَى ﴿ وَإِذۡ تَقُولُ لِلَّذِيٓ أَنۡعَمَ ٱللَّهُ عَلَيۡهِ وَأَنۡعَمۡتَ عَلَيۡهِ﴾[الأحزاب:٣٧] وَغَيْرُ ذَلِكَ.

وَتعقّب بِأَنَّ الَّذِي قَالَهُ أَبُو جَعْفَرٍ لَيْسَ بِظَاهِرٍ؛ لِأَنَّ قَوْلَهُ« **مَا شَاءَ اللَّهُ وَشِئْتَ**» تَشْرِيكٌ فِي مَشِيئَةِ اللَّهِ تَعَالَى، وَأَمَّا الْآيَةُ فَإِنَّمَا أَخْبَرَ اللَّهُ تَعَالَى أَنَّهُ أَغْنَاهُمْ وَأَنَّ رَسُولَهُ أَغْنَاهُمْ، وَهُوَ مِنَ اللَّهِ حَقِيقَةً؛ لِأَنَّهُ الَّذِي قَدَّرَ ذَلِكَ، وَمِنَ الرَّسُولِ حَقِيقَةً بِاعْتِبَارِ تَعَاطِي الْفِعْلِ، وَكَذَا الْإِنْعَامُ أَنْعَمَ اللَّهُ عَلَى زَيْدٍ بِالْإِسْلَامِ، وَأَنْعَمَ عَلَيْهِ النَّبِيُّ ﷺ بِالْعِتْقِ، وَهَذَا بِخِلَافِ الْمُشَارَكَةِ فِي الْمَشِيئَةِ، فَإِنَّهَا مُنْصَرِفَةٌ لِلَّهِ تَعَالَى فِي الْحَقِيقَةِ، وَإِذَا نُسِبَتْ لِغَيْرِهِ فَبِطَرِيقِ الْمَجَازِ (١).

ويمكننا بعد هذه الأقوال أن نؤكد على:

١ ـ هذا الأدب اللفظي يرجع إلى الدلالة اللغوية لحروف المعاني، قال الزبيدي(ت١٢٠٥ هـ)"وإنما فَرَقَ بين قوله:(مَا شَاءَ اللَّهُ وشِئْتُ)، وَ(مَا شَاءَ اللَّهُ ثُمَّ شِئْتُ)؛ لأَنَّ الْوَاو تُفيد الجمْعَ دون الترتيبِ، وثُمَّ تَجْمعُ وتُرتّب، فَمَعَ الواوِ يكون قد جمعَ بينَ الله وبينه فِي المشيئَة، ومَعَ (ثُمَّ) يكون قد قدَّم مشيئَةَ اللَّهِ على مشيئته" (٢)، ومَشيئَة اللَّهِ سَابِقَةٌ عَلَى مَشيئَةِ خَلْقِه(٣)، ومَشيئَة الْعَبْدِ تَابِعَةٌ لمَشيئَةِ الرَّبِّ، وَكَانَ ذَلِكَ مِنْ عَادَةِ بَعْضِ النَّاسِ فِي الْخِطَابِ، وَلَيْسَ الْمُرَادُ أَنَّهُ كَانَ مَشْرُوعاً ثُمَّ نُهِيَ عَنْهُ لِقَوْلِ الْيَهُودِيِّ(٤).

٢ـ يُحمل هذا الأدب اللفظي على الكراهة؛ لأن الإيهام المذكور

---

(١) فتح الباري ١١/٥٤٠.
(٢) تاج العروس (ش ي ء) .
(٣) فتح الباري ١١/٥٤٠.
(٤) تفسير المنار ٧/٣٥ .

مدفوع بالاعتقاد الراسخ من حدوث العبد وجميع شؤونه.

٣ ـ قَوْله ـ ﷺ ـ فِي هذا الحَدِيث (لَا تَقولُوا مَا شَاءَ الله وَشاء فلَان، قُولُوا مَا شَاءَ الله ثمَّ شَاءَ فلَان) يدل على أَن الْوَاو للْجمع لَا للتَّرْتِيب(١).

قال الرازي (ت٦٠٦ هـ):" اعْلَمْ أَنَّ قَوْلَهُ: ﴿وَوَهَبْنَا لَهُۥ يَحْيَىٰ وَأَصْلَحْنَا لَهُۥ زَوْجَهُۥٓ﴾ يَدُلُّ عَلَى أَنَّ الْوَاوَ لَا تُفِيدُ التَّرْتِيبَ، لِأَنَّ إِصْلَاحَ الزَّوْجِ مُقَدَّمٌ عَلَى هِبَةِ الْوَلَدِ مع أَنه تعالَى أَخَّرَهُ فِي اللَّفْظِ" (٢).

---

(١) الفصول المفيدة في الواو المزيدة ص٨٣.

=اخْتلف الْعلمَاء فِي الْوَاو العاطفة على مَاذَا تدل وَلَهُم فِي ذَلِك أَقْوَال: **الأول:** أَنَّهَا تدل على مُطلق الْجمع من غير إِشْعَار بخصوصية الْمَعِيَّة أَو التَّرْتِيب، وَمعنى ذَلِك أَنَّهَا تدل على التَّشْرِيك بَين الْمَعْطُوف والمعطوف عَلَيْهِ فِي الحكم الَّذِي أسْند إِلَيْهِمَا من غير أَن يدل على أَنَّهُمَا مَعًا بِالزَّمَانِ أَو أَن أَحدهمَا قبل الآخر، وَلَا ينَافِي هَذَا احْتِمَال أَن يكون ذَلِك وَقع مِنْهُمَا مَعًا أَو مُرَتبا على حسب مَا ذكرا بِهِ أَو على عكسه، وَلَا يفهم شَيْء من ذَلِك من مُجَرّد الْوَاو العاطفة، وَهَذَا قَول الْجُمْهُور من أَئِمَّة الْعَرَبِيَّة وَالْأُصُول وَالْفِقْه، وَنَصَّ عَلَيْهِ سِيبَوَيْهِ (ت١٨٠هـ) فِي بضعَة عشر موضعا فِي كِتَابه، وَنقل أَبُو عَليّ الْفَارِسِي (ت٣٧٧هـ) اتِّفَاق أَئِمَّة الْعَرَبِيَّة عَلَيْهِ ... **وَالْقَوْل الثَّانِي:** أَنَّهَا للتَّرْتِيب مُطلقًا سَوَاء كَانَت عاطفة فِي الْمُفْرَدَات أَو فِي الْجمل، وَهُوَ قَول بعض الْكُوفِيّين مِنْهُم ثَعْلَب وَابْن درسْتَوَيْه حَكَاهُ عَنْهُم جمَاعَة من النُّحَاة، وَعَزَاهُ جمَاعَة إِلَى الإِمَام الشَّافِعِي ـ رحمه الله ـ ... **وَالْقَوْل الثَّالِث:** أَن الْوَاو للْجمع بِقَيْد الْمَعِيَّة، فَإِذا اسْتعْملت فِي غير ذَلِك يكون مجَازًا، ويعزى هَذَا إِلَى بعض الْحَنَفِيَّة وَأنْكرهُ عَنْهُم إِمَام الْحَرَمَيْنِ وَغَيره، وَقَالُوا إِنَّهُم لم يتَعَرَّضُوا لغير كَون الْوَاو للْجمع من غير تعرض لاقتران وَلَا تَرْتِيب ... **وَالْقَوْل الرَّابِع:** أَن الْوَاو للتَّرْتِيب حَيْثُ يَسْتَحِيل الْجمع، كَقَوْلِه تَعَالَى ﴿ارْكَعُوا وَاسْجُدُوا﴾ [الحج:٧٧]، وَهُوَ مَذْهَب الْفراء (ت٢٠٧هـ) فِيمَا حَكَاهُ عَنهُ كَثِيرُونَ، وَبَعْضهمْ نقل عَنهُ الْقَوْل بالترتيب مُطلقًا كالقول الثَّانِي. فَهَذَا خُلَاصَة مَا نقل من أَقْوَالهم فِي الْوَاو (الفصول المفيدة ص٦٧).

(٢) مفاتيح الغيب ١٨٢/٢٢.

و قال ابن عرفة (ت٨٠٣ هـ) في قوله تعالى: ﴿ فَهَزَمُوهُم بِإِذْنِ ٱللَّهِ وَقَتَلَ دَاوُۥدُ جَالُوتَ ﴾ [البقرة:٢٥١]: هذه الآية يرد بها على الكوفيين في قولهم: إن الواو تفيد الترتيب؛ لأن المفسرين نقلوا هنا أنّ الهزيمة إنما كانت بعد أن قتل داود جالوت فحينئذ انهزموا وتفرقوا(١).

٤ ـ أَنَّ مَا فِي (ثمّ) مِنْ التَّرَاخِي إنَّمَا هُوَ فِي الْمَعْنَى لَا فِي اللَّفْظ، فَإِذَا قَالَ الرَّجُلُ: جَاءَ زَيْدٌ ثُمَّ عَمْرٌو، فَهَذَا كَلَامٌ مُتَّصِلٌ بَعْضُهُ بِبَعْضٍ، لَا يَجُوزُ أَنْ يُقَالَ هُوَ بِمَنْزِلَةِ مَنْ سَكَتَ ثُمَّ قَالَ: عَمْرٌو(٢).

****

(١) تفسير ابن عرفة ١/ ٣٠٢.

(٢) مجموع الفتاوى ١٥٢/٣١.

الحديث الثالث

عَنْ أُسَامَةَ بْنِ أَخْدَرِيٍّ، أَنَّ رَجُلًا يُقَالُ لَهُ أَصْرَمُ كَانَ فِي النَّفَرِ الَّذِينَ أَتَوْا رَسُولَ اللَّهِ ﷺ، فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «مَا اسْمُكَ؟» قَالَ: أَنَا أَصْرَمُ، قَالَ: «بَلْ أَنْتَ زُرْعَةُ» (١).

قال الخطابي(ت٣٨٨ هـ): إنما غير اسم الأصرم لما فيه من معنى الصرم وهو القطيعة، يقال صرمت الحبل إذا قطعته وصرمت النخلة إذا جذذت ثمرها(٢).

ويرجع الأدب اللفظي في هذا الحديث إلى الدلالة المعجمية، فـ " الصَّادُ وَالرَّاءُ وَالْمِيمُ أَصْلٌ وَاحِدٌ صَحِيحٌ مُطَّرِدٌ، وَهُوَ الْقَطْعُ" (٣)، والصَّرْمُ: قَطْعٌ بائِنٌ لحَبْل وعِذْق ونحوه (٤)، يقال" صَرَمَه يَصْرِمه صَرْماً بالفَتْح، ويُضَمّ، وقيل: الصَّرْم: المَصْدَر، والصُّرم الاسْم: قَطَعَه بائناً يكون في الحَبْل والعِذْق، وعَمّ به بعْضُهم القَطْع أيَّ نَوْعٍ كَانَ، وصَرَمَ فُلاناً صَرْماً: قَطَع كَلامَه، وصَرَم النَّخْلَ والشَّجَر : إِذا جَزَّه كاصْطَرَمَه ، وكَذلِكَ الزَّرعَ" (٥) فالمعنى العام: انفصال أو انقطاع بحدة(٦).

وقد وردت هذه المادة في ثلاثة مواضع من القرآن الكريم، هي قوله تعالى: ﴿إِنَّا بَلَوْنَٰهُمْ كَمَا بَلَوْنَآ أَصْحَٰبَ ٱلْجَنَّةِ إِذْ أَقْسَمُوا۟ لَيَصْرِمُنَّهَا مُصْبِحِينَ﴾ [القلم:١٧]، عبر به عن الجذاذ بدلالته على القطع البائن المعزوم عليه، المستأصل المانع للفقراء؛

---

(١) مشكاة المصابيح(٤٧٧٥/١٣٤٨/٣) والحديث أخرجه أبود داود في سننه : كتاب الأدب، باب في تغيير الاسم القبيح ٤٩٥٤/٢٨٨/٤.

(٢) معالم السنن ١٢٧/٤.

(٣) مقاييس اللغة (ص ر م) ٣٤٤/٣ .

(٤) العين (ص ر م) ١٢٠/٧ .

(٥) تاج العروس (ص ر م) .

(٦) المعجم الاشتقاقي المؤصل لألفاظ القرآن الكريم ص١٢٢٠ .

ليكون قطعاً من كل وجه، من الصريم - لعود يعرض على فم الجدي لئلا يرضع، ومن الصرماء: المفازة لا ماء بها، والناقة القليلة اللبن (١).

- وقوله ﴿فَأَصْبَحَتْ كَالصَّرِيمِ﴾ [القلم:٢٠]، والصَّرِيم فَعِيلٌ، فَيُحْتَمَلُ أَنْ يَكُونَ بِمَعْنَى المفعول، وأن يكون بمعنى الفاعل (٢).

قال البقاعي(ت٨٨٥ هـ):" ﴿**كالصريم**﴾ أي كالأشجار التي صرم عنها ثمرها، أو كالشيء الذي انقطع ما بينه وبين قاصده فلا وصول إليه بوجه، وقيل: كالليل المظلم الأسود، وقيل: كالرماد الأسود، ليس بها ثمرة، لأن ذلك الطائف أتلفها لم يدع فيها شيئاً، لأنهم طلبوا الكل فلم يزكوه بما يمنع عنه الطوارق بضد ما كان لأبيهم من ثمرة عمله الصالح من الدفع عن ماله

---

(١) نظم الدرر للبقاعي ٣٠٧/٢٠ .

(٢) مفاتيح الغيب ٦٠٨/٣٠ وهاهنا احْتِمَالَاتٌ: **أَحَدُهَا:** أَنَّهَا لَمَّا احْتَرَقَتْ كَانَتْ شَبِيهَةً بِالْمَصْرُومَةِ فِي هَلَاكِ الثَّمَرِ وَإِنْ حَصَلَ الِاخْتِلَافُ فِي أُمُورٍ أُخَرَ، فَإِنَّ الْأَشْجَارَ إِذَا احْتَرَقَتْ فَإِنَّهَا لَا تُشْبِهُ الْأَشْجَارَ الَّتِي قُطِعَتْ ثِمَارُهَا، إِلَّا أَنَّ هَذَا الِاخْتِلَافَ وَإِنْ حَصَلَ مِنْ هَذَا الْوَجْهِ، لَكِنَّ الْمُشَابَهَةَ فِي هَلَاكِ الثَّمَرِ حَاصِلَةٌ. **وَثَانِيهَا:** قَالَ الْحَسَنُ(ت١١٠هـ): أَيْ صُرِمَ عَنْهَا الْخَيْرُ فَلَيْسَ فِيهَا شَيْءٌ، وَعَلَى هَذَيْنِ الْوَجْهَيْنِ الصَّرِيمُ بِمَعْنَى الْمَصْرُومِ. **وَثَالِثُهَا:** الصَّرِيمُ مِنَ الرَّمْلِ قِطْعَةٌ ضَخْمَةٌ تَنْصَرِمُ عَنْ سَائِرِ الرِّمَالِ، وَجَمْعُهُ الصَّرَائِمُ، وَعَلَى هَذَا شُبِّهَتِ الْجَنَّةُ وَهِيَ مُحْتَرِقَةٌ لَا ثَمَرَ فِيهَا وَلَا خَيْرَ بِالرَّمْلَةِ الْمُنْقَطِعَةِ عَنِ الرِّمَالِ، وَهِيَ لَا تُنْبِتُ شَيْئًا يُنْتَفَعُ بِهِ. **وَرَابِعُهَا:** الصُّبْحُ يُسَمَّى صَرِيمًا، لِأَنَّهُ انْصَرَمَ مِنَ اللَّيْلِ، وَالْمَعْنَى أَنَّ تِلْكَ الْجَنَّةَ يَبِسَتْ وَذَهَبَتْ خُضْرَتُهَا وَلَمْ يَبْقَ فِيهَا شَيْءٌ، مِنْ قَوْلِهِمْ: بَيْضُ الْإِنَاءِ إِذَا فَرَّغَهُ. **وَخَامِسُهَا:** أَنَّهَا لَمَّا احْتَرَقَتْ صَارَتْ سَوْدَاءَ كَاللَّيْلِ الْمُظْلِمِ، وَاللَّيْلُ يُسَمَّى صَرِيمًا وَكَذَا النَّهَارُ يُسَمَّى أَيْضًا صَرِيمًا، لِأَنَّ كُلَّ وَاحِدٍ مِنْهُمَا يَنْصَرِمُ بِالْآخَرِ، وَعَلَى هَذَا الصَّرِيمِ بِمَعْنَى الصَّارِمِ، وَقَالَ قَوْمٌ: سُمِّيَ اللَّيْلُ صَرِيمًا، لِأَنَّهُ يَقْطَعُ بِظُلْمَتِهِ عَنِ التَّصَرُّفِ وَعَلَى هَذَا هُوَ فَعِيلٌ بِمَعْنَى فَاعِلٍ، وَقَالَ آخَرُونَ: سُمِّيَتِ اللَّيْلَةُ بِالصَّرِيمِ، لِأَنَّهَا تَصْرِمُ نُورَ الْبَصَرِ وَتَقْطَعُهُ.

والبركة في جميع أحواله" (١)، ولعل " إيثار كلمة الصَّرِيم هنا لكثرة معانيها وصلاحيَّة جميع تلك المعاني لأن تُرَاد في الآية" (٢)، وقوله تعالى:﴿أَنِ اغْدُوا عَلَىٰ حَرْثِكُمْ إِن كُنتُمْ صَٰرِمِينَ﴾[القلم:٢٢] أي: قاطعين للنخل (٣).

وقد وردت مادة (ز ر ع) في أربعة عشر موضعا من القرآن الكريم، و" الزَّاءُ وَالرَّاءُ وَالْعَيْنُ أَصْلٌ يَدُلُّ عَلَى تَنْمِيَةِ الشَّيْءِ. فَالزَّرْعُ مَعْرُوفٌ، ... وَقَالَ الْخَلِيلُ: أَصْلُ الزَّرْعِ التَّنْمِيَةُ" (٤).

فقوله ـ ﷺ ـ «بَلْ أَنْتَ زُرْعَةُ»: بِضَمِّ زَايٍ وَسُكُونِ رَاءٍ مَأْخُوذٌ مِنَ الزَّرْعِ، وَهُوَ مُسْتَحْسَنٌ بِخِلَافِ أَصْرَمَ، فَإِنَّهُ مَأْخُوذٌ مِنَ الصَّرْمِ، وهو القطع فَبَادَلَهُ بِهِ وَغَيَّرَهُ لَهُ(٥).

ونظيره ما جاء في الصحيح " قَالَ عبد الحميد بن جبير بن شيبة: جلست إلى سعيد بْنِ الْمُسَيَّبِ، فَحَدَّثَنِي: أَنَّ جَدَّهُ حَزْنًا قَدِمَ عَلَى النَّبِيِّ ﷺ فَقَالَ: «مَا اسْمُكَ» قَالَ: اسْمِي حَزْنٌ، قَالَ: «بَلْ أَنْتَ سَهْلٌ» قَالَ: مَا أَنَا بِمُغَيِّرٍ اسْمًا سَمَّانِيهِ أَبِي قَالَ ابْنُ الْمُسَيَّبِ: «فَمَا زَالَتْ فِينَا الْحُزُونَةُ بَعْدُ»(٦).

ودلالة قوله ـ ﷺ ـ : (بَلْ أَنْتَ سَهْلٌ) أَنَّ الْحَزْنَ ضِدُّ السَّهْلِ، عن أَنَسٍ ـ رضي الله عنه ـ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ، قَالَ: «اللَّهُمَّ لَا سَهْلَ إِلَّا مَا جَعَلْتَهُ سَهْلًا، وَأَنْتَ تَجْعَلُ الْحَزْنَ إذا شئت سَهْلًا »(٧) ، وفِي الْقَامُوسِ: الحَزْنُ: ما غَلُظَ

(١) نظم الدرر للبقاعي ٣٠٩/٢٠ .
(٢) التحرير والتنوير ٨٢/٢٩ .
(٣) زاد المسير ٣٢٣/٤ .
(٤) مقاييس اللغة (ز ر ع) ٥٠/٣ .
(٥) مرقاة المفاتيح شرح مشكاة المصابيح ٣٠٠٦/٧ .
(٦) صحيح البخاري (٦١٩٣/٤٣/٨) وصحيح ابن حبان (٥٨٢٢/١٣٧/١٣).
(٧) صحيح ابن حبان (٩٧٤/٢٥٥/٣) .

من الأرضِ(١) ، وَالسَّهْلُ: مِنَ الْأَرْضِ ضِدُّ الْحَزْنِ(٢).

وإذا فالكلمة عند إطلاقها تلقى على السامع ظلالا من الخشونة والغلظة والصلابة، وغيرها مما يدور في معناها، وهي ظلال لا تطمئن إليها نفس السامع، وهذا ما دعا الرسول ـ ﷺ ـ إلى أن يستبدل بهذا الاسم الغليظ اسما رقيقا فسماه سهلا(٣).

وفي هذا الحديث ملامح دلالية يمكن إبرازها فيما يأتي:

١ ـ كان العربي القديم يلمح من المسميات المعاني والدلالات، وهذا ما أشار إليه ابن دريد(ت٣٢١ هـ) في مقدمة كتابه الاشتقاق، حيث قال:" واعلمْ أن للعرب مذاهب في تسمية أبنائها، فمنها ما سمَّوه تفاؤلاً على أعدائهم نحو غالب، وغَلاّب، وظالم، وعارم، ومُنازِل، ومقاتل، ومُعارِك، وثابت، ونحو ذلك. وسمَّوْا في مثل هذا الباب: مُسهِراً، ومُؤرِّقا، ومصبِّحا، ومنبِّها، وطارقاً. ومنها ما تفاءلوا به للأبناء نحو: نائل، ووائل، وناجٍ، ومُدرِك، ودَرَّاك، وسالم، وسُلَيم، ومالك، وعامر، وسعد، وسَعِيد، ومَسْعَدة، وأسعَد، وما أشبه ذلك. ومنها ما سمِّي بالسِّباع ترهيباً لأعدائهم: نحو: أسد، وليث، وفَرَّاس، وذِئب، وسِيد، وعَمَلَّس(٤)، وضِرغام، وما أشبه ذلك. ومنها ما سمِّي بما غلُظ وخشُن من الشّجَر تفاؤلاً أيضاً نحو: طلحة، وسَمُرة، وسَلَمَة، وقَتَادة، وهَراسة(٥)، كلُّ ذلك شجرٌ له شوكٌ، وعِضاهٌ. ومنها ما سمي بما غُلظ من الأرض وخشُن لمسُه وموطِئُه، مثل

(١) القاموس المحيط: باب النون، فصل الحاء ١١٨٩/١ .
(٢) القاموس المحيط: باب الام، فصل السهل ١٠١٧/١ .
(٣) ظاهرة المحظور اللغوي في صحيح البخاري ص٩٧ .
(٤) العَملّس: القوي على السير السريع. (تاج العروس ع م ل س)
(٥) الهَراس: شجر شائك. (تاج العروس هـ ر س).

حَجَر وحُجَير، وصَخْر وفِهر، وجَندل(١) وجَرول، وحَزْن وحَزْم. ومنها أن الرجل كان يخرج من منزله وامرأته تَخَضُ فيسمّي ابنه بأوّل ما يلقاه من ذلك، نحو: ثعلب وثعلبة، وضبّ وضبّة، وخُزَز(٢)، وضُبَيعة، وكلبٍ وكليب، وحمار وقرد وخنزير، وجحش، وكذلك أيضاً تُسمّى بأول ما يَسنَح أو يبرح لها من الطَّير نحو: غُرابٍ وصُرَد، وما أشبَهَ ذلك»(٣).

وقال الثعالبي(ت٤٢٩ هـ):" فصل في تسمية العرب أبناءها بالشَّنيع من الأسماء: هي من سنن العرب إذ تُسَمَّى أبناءها بِحَجَر وكلب ونَمِر وذئب وأسد وما أشبهها، وكان بعضهم إذا وُلِدَ لأحدهم ولد سمَّاه بما يراه ويسمعه مما يتفاءل به، فإن رأى حجرا أو سمعه تأوَّل فيه الشدَّة والصَّلابة والصَّبر والبقاء، وإن رأى كلبا تأوَّل فيه الحراسة والألفة وبُعْدَ الصوت، وإن رأى نَمِرا تأوَّل فيه المَنَعة والشكاسة، وإن رأى ذئباً تأوَّل فيه المهابة والقُدْرَةَ والحِشْمةَ. وقال بعضُ الشُّعوبيَّة لابن الكلبي: لِمَ سَمَّت العرب أبناءها بكلب وأوس وأسد وما شاكلها، وسمَّت عبيدها بيُسر وسَعد ويُمن؟ فقال وأحسن: لأنها سَمت أبناءها لأعدائها وسمت عبيدها لأنفسها»(٤).

٢ ـ حظر النبي ـ ﷺ ـ الأسماء التي تحمل دلالات كرهها الإسلام، ودعا إلى الأسماء التي تحمل دلالات حسنة، قال ابن القيم(ت٧٥١ هـ):" وَقد كَانَ النَّبِي ﷺ يشْتَد عَلَيْهِ الاسْم الْقَبِيح ويكرهه جدا من الْأَشْخَاص والأماكن والقبائل وَالْجِبَال، حَتَّى إنه مر فِي مسيرٍ له بَين جبلين، فَسَأَلَ عَن اسمهما، فَقيل لَهُ فاضح ومُخْز فَعدل عَنْهُمَا وَلم يمر بَينهمَا، وَكَانَ ـ ﷺ ـ

(١) الجندل: ما يُقِلُّه الرجل من الحجارة، وقيل: هو الحجر كله. (التاج: ج ن د ل).
(٢) الخزز: ولد الأرنب أو ذكر الأرانب (تاج العروس: خ ز ز).
(٣) الاشتقاق لابن دريد ص٥ تح: عبد السلام هارون.
(٤) فقه اللغة وسر العربية ص ٢٥٧.

شَدِيد الاعتناء بذلك، وَمن تَأمل السّنة وجد مَعَاني فِي الْأَسْمَاء مرتبطة بهَا، حَتَّى كَأَن مَعَانِيهَا مَأْخُوذَة مِنْهَا، وَكَأن الْأَسْمَاء مُشْتَقَّة من مَعَانِيهَا»(١)، ولذلك طلب النبي ـ ﷺ ـ من الصحابي تغيير اسمه لما يحمله من دلالات سلبية كالغلظة والشدة والجفاء، وأبدله اسما يحمل دلالات إيجابية كاللين والتسامح، " فلا ينبغي لأحد أن يتسمى باسم قبيح المعنى، ولا باسم معناه التزكية والمدح، ولا باسم معناه الذم والسب، بل الذى ينبغي أن يسمى به ما كان حقًا وصدقًا"(٢).

٣ ـ في قَول ابْن المُسَيّبِ: «فَمَا زَالَتْ فِينَا الحُزُونَةُ بَعْدُ» دلالة على أن الاسم غالبا يحمل الدلالة التي تؤثر في طباع الإنسان، سلبا وإيجابا، وهذا ما أكده علم اللغة النفسي ، فالاسم أهم أبواب الدخول للذات، وأن للأسماء تأثيرا كبيرا في صفات حامل الاسم، ورسم أهم المكونات في شخصيته العامة وطبائعه، وأخلاقه(٣)، قال الملا علي القاري(ت١٠١٤ هـ):" ، وَالْحَاصِلُ أَنَّهُ - كَمَا قِيلَ: الْأَسْمَاءُ تَنْزِلُ مِنَ السَّمَاءِ فما يُوَافِقُ اسْمُهُ حُزْنَهُ الْجِبِلِّيَّةَ مُطَابِقًا لِلْحَزْنِ الْجِبِلِّيِّ، وَمَا أَفَادَهُ قَوْلُ الْحَكِيمِ الْإِلَهِيِّ "(٤).

٤ ـ رد الصحابي واعتراضه بقوله (مَا أَنَا بِمغيرٍ اسْمًا سَمَّانِيهِ أَبِي) يحمل دلالتين:

الأولى: أنه رأى في ذلك الاسم الجديد الذي اختاره النبي ـ ﷺ ـ له تعارضا مع طبعه، وتضادا مع شخصيته، التي لا تقبل إلا الحزم والشدة في

(١) تحفة المودود بأحكام المولود ص١٢٠.
(٢) شرح صحيح البخاري لابن بطال ٣٤٧/٩.
(٣) علم اللغة النفسي: د. عبد المجيد سيد أحمد منصور ص١٠ ، نشر عمادة شئون المكتبات جامعة الملك سعود بالرياض ١٤٠٢ هـ/ ١٩٨٢م .
(٤) مرقاة المفاتيح شرح مشكاة المصابيح ٣٠١٠/٧ .

جميع الأمور(١) ؛ لأَنَّ السَّهْلَ يُوطَأُ وَيُمْتَهَنُ أَيْ: لَا أُغَيِّرُ اسْمِي؛ لِأَنَّ السَّهْلَ يُوطَأُ وَيُهَانُ أَيْ: يُدَاسُ بِالْأَقْدَامِ.

الثانية: أن فيه نَوْعِ نَزْغَة مِنْ نَزَغَاتِ إِبْلِيسَ وَقِيَاسَاته مِنَ التَّلْبِيسِ، حَيْثُ لَمْ يَدْرِ أَنَّ مَنْ تواضع لِلَّهِ رَفَعَهُ اللَّهُ، وَأَنَّ الْمَرْءَ عِنْدَ الِامْتِحَانِ يُكْرَمُ أَوْ يُهَانُ (٢).

٥ ـ في رفض هذا الصحابي تغيير اسمه دلالة فقهية تتمثل في أن هذا النهي ليس على سبيل التحريم، وذلك بناء على سياق الحال، قال ابن بطال(ت٤٤٩ هـ):" هذا الحديث يدل أن أمره ـ عليه السلام ـ بتغيير الأسماء المكروهة ليس على وجه الوجوب، وأن ذلك على معنى الكراهية؛ لأنه لو كان على معنى الوجوب لم يجز لجد سعيد الثبات على حزن، ولا سوغ النبي ـ ﷺ ـ ذلك"(٣).

****

(١) القواعد الأخلاقية لتغيير أسماء الصحابة: د. أحمد الصاوي، مجلة الأزهر، رمضان ١٤٤٠هـ مايو ٢٠١٩، الجزء ٩ السنة ٩٢ ص١٦١٦ .

(٢) مرقاة المفاتيح شرح مشكاة المصابيح ٣٠١٠/٧ .

(٣) شرح صحيح البخاري لابن بطال ٣٤٦/٩ .

الحديث الرابع

عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ ﷺ، عَنِ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ: «**لَا تَسَمُّوا الْعِنَبَ الْكَرْمَ، فَإِنَّ الْكَرْمَ الرَّجُلُ الْمُسْلِمُ**»(١).

وقد ورد هذا الأدب اللفظي بروايات أخرى، منها:

عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ ﷺ ـ أيضا ـ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «**لَا يَقُولَنَّ أَحَدُكُمُ الْكَرْمُ، فَإِنَّمَا الْكَرْمُ قَلْبُ الْمُؤْمِنِ**»(٢).

وعن عَلْقَمَةَ بْنِ وَائِلٍ، عَنْ أَبِيهِ، أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ قَالَ: «**لَا تَقُولُوا الْكَرْمُ وَلَكِنْ قُولُوا الْعِنَبُ وَالْحَبَلَةُ**»(٣).

فَفِي هَذِهِ الْأَحَادِيثِ كَرَاهَةُ تَسْمِيَةِ الْعِنَبِ كَرْمًا، بَلْ يُقَالُ عِنَبٌ أَوْ حَبَلَةٌ، وبهذا يعد استعمال (الكرم) للدلالة على العنب محرما لغويا، وصار استعمال (العنب والحبلة) بديلا حسنا لهذا الاستعمال المحظور، والتأصيل اللغوي للألفاظ الثلاثة يدل على تقاربها في المعنى.

فـ « الْكَافُ وَالرَّاءُ وَالْمِيمُ أَصْلٌ صَحِيحٌ لَهُ بَابَانِ: أَحَدُهُمَا شَرَفٌ فِي الشَّيْءِ فِي نَفْسِهِ أَوْ شَرَفٌ فِي خُلُقٍ مِنَ الْأَخْلَاقِ. يُقَالُ رَجُلٌ كَرِيمٌ، وَفَرَسٌ كَرِيمٌ، وَنَبَاتٌ كَرِيمٌ..... وَالْأَصْلُ الْآخَرُ الْكَرْمُ، وَهِيَ الْقِلَادَةُ.... وَأَمَّا الْكَرْمُ فَالْعِنَبُ أَيْضًا لِأَنَّهُ مُجْتَمِعُ الشُّعَبِ مَنْظُومُ الْحَبِّ» (٤).

وقد علم اشتهار العِنَب عِند العَرب بِهَذَا الاسم، وَقد أكثرت

---

(١) مشكاة المصابيح(٣/١٣٤٥/٤٧٦١) والحديث أخرجه مسلم في صحيحه: كتاب الألفاظ من الأدب وغيرها، بَابُ كَرَاهَةِ تَسْمِيَةِ الْعِنَبِ كَرْمًا ٤/١٧٦٣/٢٢٤٧.

(٢) أخرجه مسلم في صحيحه: كتاب الألفاظ من الأدب وغيرها، بَابُ كَرَاهَةِ تَسْمِيَةِ الْعِنَبِ كَرْمًا ٤/١٧٦٣/٢٢٤٧.

(٣) أخرجه مسلم في صحيحه: كتاب الألفاظ من الأدب وغيرها، بَابُ كَرَاهَةِ تَسْمِيَةِ الْعِنَبِ كَرْمًا ٤/١٧٦٤/٢٢٤٨.

(٤) مقاييس اللغة (ك ر م) ٥/١٧١.

شعراؤهم فِي هَذَا، فَقَالَ بَعضهم:

إِذَا مُتُّ فَادْفِنِّي إِلَىٰ جَنْبِ كَرْمَةٍ تُرَوِّي عِظَامِي فِي الْمَمَاتِ عُرُوقُهَا(١)

و«العِنَبُ يقال لثمرة الكَرْم، وللكرم نفسه، الواحدة: عِنَبَةٌ، وجمعه: أَعْنَابٌ، قال تعالى: ﴿وَمِن ثَمَرَٰتِ ٱلنَّخِيلِ وَٱلْأَعْنَٰبِ﴾ [النحل: ٦٧]، وقال تعالى: ﴿جَنَّٰتٌ مِّن نَّخِيلٍ وَعِنَبٍ﴾ [الإسراء: ٩١]» (٢)، و« العِنَبُ: الخَمْرُ، حكَاهَا أَبو حَنِيفَة(ت٢٨٢ هـ)، وَزعم أَنهَّا لغَةٌ يَمَانِية كَمَا أَنَّ الخمر العِنَبُ أَيضاً فِي بَعْضِ اللُّغَات» (٣).

وَأَكْثَرُ مَا تُطْلَقُ الْجَنَّةُ فِي كَلَامِهِمْ عَلَى ذَاتِ الشَّجَرِ الْمُثْمِرِ الْمُخْتَلِفِ الْأَصْنَافِ، فَأَمَّا مَا كَانَ مَغْرُوسًا نَخِيلًا بَحْتًا فَإِنَّمَا يُسَمَّى حَائِطًا، وَالْمُشْتَهَرُ فِي بِلَادِ الْعَرَبِ مِنَ الشَّجَرِ الْمُثْمِرِ غَيْرِ النَّخِيلِ هُوَ الْكَرْمُ، وَثَمَرُهُ الْعِنَبُ أَشْهَرُ الثِّمَارِ فِي بِلَادِهِمْ بَعْدَ التَّمْرِ، فَقَدْ كَانَ الْغَالِبُ عَلَى بِلَادِ الْيَمَنِ وَالطَّائِفِ، وَمِنْ ثِمَارِهِمُ الرُّمَّانُ، فَإِنْ كَانَ النَّخْلُ مَعَهَا قِيلَ لَهَا جَنَّةٌ أَيْضًا... وَمِمَّا يَدُلُّ عَلَى أَنَّ الْجَنَّةَ لَا يُرَادُ بِهَا حَائِطُ النَّخْلِ قَوْلُهُ تَعَالَى ﴿وَهُوَ ٱلَّذِىٓ أَنشَأَ جَنَّٰتٍ مَّعْرُوشَٰتٍ وَغَيْرَ مَعْرُوشَٰتٍ وَٱلنَّخْلَ وَٱلزَّرْعَ﴾[الأنعام:١٤١]، فَعَطَفَ النَّخْلَ عَلَى الْجَنَّاتِ، وَذَكَرَ الْعَرِيشَ وَهُوَ مِمَّا يُجْعَلُ لِلْكَرْمِ، هَذَا مَا يُسْتَخْلَصُ مِنْ كَلَامِ عُلَمَاءِ اللُّغَةِ(٤).

و« الْحَاءُ وَالْبَاءُ وَاللَّامُ أَصْلٌ وَاحِدٌ يَدُلُّ عَلَى امْتِدَادِ الشَّيْءِ، ثُمَّ يُحْمَلُ

---

(١) البيت من الطويل لأَبِي مِحْجَنٍ الثَّقَفِيّ في لسان العرب(ف ن ع، ك ر م) وبعده:

وَلَا تَدْفِنَنِّي بِالْفَلَاةِ فَإِنَّنِي أَخَافُ إِذَا مَا مُتُّ أَلَّا أَذُوقَهَا.

(٢) المفردات في غريب القرآن ص٥٨٩.

(٣) تاج العروس (ع ن ب).

(٤) التحرير والتنوير ٣/٥٢.

عَلَيْه، ومَرْجِع الْفُروعِ مَرْجِعٌ واحِدٌ ... وَأَمَّا الْكَرْم فيُقَال لَه حَبَلَة وحبلة، وَهُوَ مِن الْبَاب، لأَنَّه فِي نباته كَالْأَرْشِيَة(١)، وَأَمَّا الْحَبْلَة فَثَمَرُ الْعِضَاه(٢)» (٣)، « والحَبَلُ، مُحَرَّكةً: شَجَرُ العِنَبِ واحِدَتُه حَبَلَةٌ، كَمَا فِي المُحْكَم(٤) وربَّما سُكِّنَ» (٥).

وإذا كانت الألفاظ الثلاثة متقاربة في المعنى فما دلالة حظر استعمال أحدها وإباحة الآخرين؟

لقد علل اللغويون لهذا التحريم اللغوي، فقالوا: سَبَبُ كَرَاهَة ذَلكَ أَنْ لَفْظَةَ الْكَرْمِ كَانَتِ الْعَرَبُ تُطْلقُهَا عَلَى شَجَرِ الْعنَبِ، وَعَلَى الْعنَبِ، وَعَلَى الْخَمْرِ الْمُتَّخَذَة مِن الْعنَبِ، سَمَّوْهَا كَرْمًا لِكَوْنِهَا مُتَّخَذَةً منْهُ، وَلأَنَّهَا تَحْمِلُ عَلَى الْكَرَمِ وَالسَّخَاءِ، فَكَرِهَ الشَّرْعُ إطلاق هذه اللَّفْظَة عَلَى الْعنَبِ وَشَجَرِه ؛ لأَنَّهُمْ إِذَا سَمِعُوا اللَّفْظَةَ رُبَّمَا تَذَكَّرُوا بِهَا الْخَمْرَ وهيجت نفوسهم إِلَيْهَا فوقعوا فِيهَا، أَوْ قَارَبُوا ذَلِكَ(٦)، وعلى هذا فدلالة الأدب اللفظي لهذا الحظر اللغوي تعود إلى الدلالة النفسية.

قال أبو بكر الأنباري(ت٣٢٨ هـ):: إنما سمي الكَرْمُ كَرْماً، لأن الخمر المشروبة من عنبه تحثُّ على السخاء، وتأمر بمكارم الأخلاق، فاشتقوا لها اسماً من الكرم، أعني الكرم الذي يتولَّد منه، ولذلك نهى رسول الله ﷺ

(١) الحبال والأغصان (تاج العروس: ش ن غ ب) .
(٢) العِضَاهُ: اسمٌ يَقَعُ على شَجَرٍ مِنْ شَجَرِ الشَّوْكِ، لَهُ أَسْمَاءٌ مُخْتَلِفَةٌ يَجْمَعُهَا العِضَاهُ، وَاحِدُها عِضَاهَةٌ. وإِنَّمَا العِضَاهُ، الخَالِصُ منْهُ مَا عَظُم واشْتَدَّ شَوْكُه. ومَا صَغُرَ من شَجَرِ الشَّوْكِ فإِنَّه يُقَال لَهُ العِضّ والشَّرْسُ(تاج العروس: ع ض ض) .
(٣) مقاييس اللغة (ح ب ل) ١٣٠/٢.
(٤) المحكم والمحيط الأعظم: مقلوب (ح ب ل) ٣٥٩/٣.
(٥) تاج العروس (ح ب ل) ٢٦٨/٢٨.
(٦) شرح النووي على مسلم ٤/١٥.

عن أن يسمى كَرْماً..... فكأنَّ رسول الله ﷺ كره أن يسمى أصل الخمر باسم مأخوذ من الكرم، وجعل المؤمن أحق بهذا الاسم الحسن.... ولذلك سموا الخمر راحاً، لأن شاربها يرتاح للعطاء والبذل إذا شربها، أي يَخِفُّ وينشط... (١).

وقال الأزهري(ت٣٧٠هـ): « تأويله ـ وَالله أعلم ـ أَن الْكَرم: صفةٌ محمودة، والكريمُ من صِفَات الله ـ جلّ ذِكْرُه. ومَنْ آمن بِاللَّه فَهُو كريمٌ، والكَرَم: مصدر يقامُ مُقَامَ الموصُوف، فيُقَال: رَجُلٌ كَرَمٌ، ورجُلانِ كَرَمٌ، ورجالٌ كَرَمٌ، وامرأةٌ كَرَمٌ، لَا يثنى وَلَا يجمعُ وَلَا يُؤَنَّثُ، لأنَّ معنى قَوْلك: رَجلٌ كَرَمٌ أَي ذُو كرم، وَلذَلِك أُقيم مُقام المنعوت نُخَفِّفَ، والكَرْمُ سُمِّي كَرْماً لأنه وصف بكَرَم شجرته وثمرته، وَقيل: كرمٌ بسكُونِ الرَّاء لأَنَّهُ خُفِّف عَن لَفْظَة كَرَم لما كثر فِي الْكَلَام، فَقيل: كَرْمٌ....

وَنهى النَّبِي ﷺ عَن تَسْمِيَته بِهَذَا الِاسْم؛ لِأَنَّهُ يُعْتصرُ مِنْهُ المسكر المَنْهِيُّ عَن شُرْبه، وَأَنه يُغير عَقْلَ شَاربه، ويوقِعُ بَين شَاربه العداوةَ والبغْضَاءَ، فَقَالَ: الرجُلُ الْمُسلم أَحقُّ بِهَذِه الصِّفة من هَذه الشَّجَرَة الَّتِي يُؤَدِّي مَا يُعْتَصر من ثَمَرهَا إِلَى الأَخْلَاق الذَّميمة اللئيمة» (٢).

وقَالَ الْخَطَّابِيُّ(ت٣٨٨ هـ) مَا مُلَخَّصُهُ: إِنَّ الْمُرَادَ بِالنَّهْيِ تَأْكِيدُ تَحْرِيمِ الْخَمْرِ بِمَحْوِ اسْمِهَا، وَلِأَنَّ فِي تَبْقِيَةِ هَذَا الِاسْمِ لَهَا تَقْرِيرًا لِمَا كَانُوا يَتَوَهَّمُونَهُ مِنْ تَكَرُّمِ شَارِبِهَا، فَنَهَى عَنْ تَسْمِيَتِهَا كَرْمًا، وَقَالَ (إِنَّمَا الْكَرْمُ قَلْبُ الْمُؤْمِنِ) لِمَا فِيهِ مِنْ نُورِ الْإِيمَانِ وَهُدَى الْإِسْلَامِ(٣).

ومن دعامات هذه الوجهة قول النبي ـ ﷺ ـ «لَيَشْرَبَنَّ نَاسٌ مِنْ أُمَّتِي

(١) الزاهر في معاني كلمات الناس ٢/٢٨٣.
(٢) تهذيب اللغة (ك ر م) ١٠/١٢٢ .
(٣) فتح الباري ١٠/٥٦٧.

الْخَمْرَ يُسَمُّونَهَا بِغَيْرِ اسْمِهَا»(١) فقوله - ﷺ - « يُسَمُّونَهَا بِغَيْرِ اسْمِهَا» إشارة إلى وجوب منع تلك الأسماء، إبقاء للفظ الخمر، الذي كلما أطلق ذكّر بأمر تحريمها، وإلا لطغت عليه تلك الأسماء، فتُستحل كأي مشروب عادي بسببها، فمنع أسماء الخمر وأوصافها، واستبدالها بلفظ وحيد هو الخمر، هي الحالة التي أقرها الشرع، وأذعن لها المجتمع المسلم، لولا أن خرق هذا الحظر معاقروها، فقد قلبوا العملية رأسا على عقب، وأحالوا كلمة الخمر الممنوعة، وبقية أوصافها وأسمائها هي البديلة، وهذا هروب من الزجر الديني المقام على متعاطيها، يقول في ذلك بعض شعرائها:

ألا فاسقني الصهباء من حلَب الكرم ... ولا تسقني خمرا بعلمك أو علمي

أليست لها أسماء شتّىٰ كثيرة؟! ... ألا فاسقنيها واكْنِ عن ذلك الاسم(٢)

ويذهب الزمخشري (ت٥٣٨ هـ) في تعليل هذا التحريم اللغوي مذهبا آخر ، فيقول: « أَرَاد أَنْ يُقَرِّرَ ويشدّد مَا فِي قَوْلِه ﷻ: ﴿إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِندَ ٱللَّهِ أَتْقَىٰكُمْ﴾[الحجرات:١٣]، بِطَرِيقَة أَنِيقة ومَسْلَك لَطِيف، ورمز خلوب، فَبَصر أَن هَذَا النَّوْع من غير الْأَنَاسِي الْمُسَمّى بِالِاسْمِ الْمُشْتَقّ من الْكَرم أَنْتُم أحقاء بألاَّ تؤهلوه لهَذِه التَّسْمِيَة وَلَا تطلقوها عَلَيْهِ وَلَا تسلموها لَهُ غيرَة للْمُسلم التقي، ورباً بِهِ أَن يُشَارك فِيمَا سَمَّاهُ الله بِهِ واختصه بِأَن جعله صفته، فضلا أَن تسموا بالكريم من لَيْسَ بِمُسلم وتعترفوا لَهُ بذلك، وَلَيْسَ الْغَرَضُ حَقِيقَةَ النَّهْيِ عَنْ تَسْمِيَةِ الْعِنَبِ كَرْماً، وَلَكِن الرَّمْز إِلَى هَذَا الْمَعْنى كَأَنَّهُ قَالَ: إِن تَأَتَّى لكم أن لا تُسَمُّوه مَثَلاً باسم الكَرم، ولكن بالجَفْنَة أو الحَبَلة، فافْعَلوا ، وَقَوله:(فَإِنَّمَا الْكَرم) أَي فَإِنَّمَا الْمُسْتَحق للاسم الْمُشْتَقّ من

(١) سنن أبي داود (٣٦٨٨/٣٢٩/٣).

(٢) الكناية والتعريض للثعالبي ص١٣٩ ومعجم الأدباء ١٨٠٧/٤ والمحظور اللغوي في الكناية والتعريض للثعالبي ص ٧٠.

الْكَرم الْمُسلم، وَنَظِيره فِي الأسلوب قَوْله تَعَالَى: ﴿صِبْغَةَ ٱللَّهِ ۖ وَمَنْ أَحْسَنُ مِنَ ٱللَّهِ صِبْغَةً ۖ﴾[البقرة:١٣٨] » (١).

قال الرازي: "وَالسَّبَبُ فِي إِطْلَاقِ لَفْظِ الصِّبْغَةِ عَلَى الدِّينِ طَرِيقَةُ الْمُشَاكَلَةِ كَمَا تَقُولُ لِمَنْ يَغْرِسُ الْأَشْجَارَ وَأَنْتَ تُرِيدُ أَنْ تَأْمُرَهُ بِالْكَرَمِ: اغْرِسْ كَمَا يَغْرِسُ فُلَانٌ تُرِيدُ رَجُلًا مُوَاظِبًا عَلَى الْكَرَمِ"(٢).

فالذي يَسْتَحِقُّ هَذَا الِاسْمَ الرَّجُلُ الْمُسْلِمُ أَوْ قَلْبُ الْمُؤْمِنِ؛ لِأَنَّ الْكَرْمَ مُشْتَقٌّ مِنَ الْكَرَمِ - بِفَتْحِ الرَّاءِ - وَقَدْ قَالَ اللَّهِ تَعَالَى ﴿إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِندَ ٱللَّهِ أَتْقَىٰكُمْ ۚ﴾ [الحجرات:١٣] فَسُمِّيَ قَلْبُ الْمُؤْمِنِ كَرْمًا لِمَا فِيهِ مِنَ الْإِيمَانِ وَالْهُدَى وَالنُّورِ وَالتَّقْوَى وَالصِّفَاتِ الْمُسْتَحِقَّةِ لِهَذَا الِاسْمِ، وَكَذَلِكَ الرَّجُلُ الْمُسْلِمُ (٣).

وعَنْ سَمُرَةَ بْنِ جُنْدُبٍ، قَالَ: كَانَ رَسُولُ اللهِ ﷺ يَقُولُ لَنَا: «إِنَّ اسْمَ الرَّجُلِ الْمُؤْمِنِ فِي الْكُتُبِ الْكَرْمُ، مِنْ أَجْلِ مَا كَرَّمَهُ اللهُ عَلَى الْخَلِيقَةِ، وَإِنَّكُمْ تَدْعُونَ الْحَائِطَ مِنَ الْعِنَبِ الْكَرْمَ، وَإِنَّمَا اسْمُهُ الْحَفْرُ، وَالرَّجُلُ هُوَ الْكَرْمُ» (٤)، فلَمَّا كَانَ اشْتِقَاقُ الْكَرَمِ مِنَ الْكَرْمِ، وَالْأَرْضُ الْكَرِيمَةُ هِيَ أَحْسَنُ الْأَرْضِ فَلَا يَلِيقُ أَنْ يُعَبَّرَ بِهَذِهِ الصِّفَةِ إِلَّا عَنْ قَلْبِ الْمُؤْمِنِ الَّذِي هُوَ خَيْرُ الْأَشْيَاءِ ؛ لِأَنَّ الْمُؤْمِنَ خَيْرُ الْحَيَوَانِ وَخَيْرُ مَا فِيهِ قَلْبُهُ؛ لِأَنَّهُ إِذَا

(١) الفائق في غريب الحديث ٢٥٧/٣ وينظر: النهاية في غريب الحديث والأثر ١٦٧/٤ و القاموس المحيط (باب الميم، فصل الكاف) ١١٥٤/١ و كشف المشكل من حديث الصحيحين ٣٤٥/٣.

(٢) مفاتيح الغيب ٧٥/٤

(٣) شرح النووي على مسلم ٤/١٥.

(٤) المعجم الكبير للطبراني (٧٠٨٧/٢٦٦/٧).

صَلَحَ صَلَحَ الْجَسَدُ كُلُّهُ وَهُوَ أَرْضٌ لِنَبَاتِ شَجَرَةِ الْإِيمَانِ(١).

وقيل سميت بذلك لكرم ثَمَرَتِهَا وظلها وَكَثْرَة حملهَا وطيبها، وَأَنَّهَا مذللة القطوف سهلة الجني لَيْسَ بِذِي شوك وَلَا شاق المصعد كالنخل وَأكله غضا ويابسا وادخاره واتخاذه طَعَاما وَشَرَابًا... وأصل الْكَرم الْجمع وَالْكَثْرَة للخير، وَمِنْه سمي الرجل كَرِيمًا لِكَثْرَة خَيره، ونخلة كَرِيمَة لِكَثْرَة حملهَا، فَكَانَ الْمُؤمن أولى بِهَذِهِ الصّفة (٢).

والسياق القرآني والنبوي يشهد لهذه الدلالة لمادة (ك ر م)، قال تعالى: ﴿ وَلَقَدْ كَرَّمْنَا بَنِيٓ ءَادَمَ وَحَمَلْنَٰهُمْ فِي ٱلْبَرِّ وَٱلْبَحْرِ وَرَزَقْنَٰهُم مِّنَ ٱلطَّيِّبَٰتِ وَفَضَّلْنَٰهُمْ عَلَىٰ كَثِيرٍ مِّمَّنْ خَلَقْنَا تَفْضِيلًا ﴾ [الإسراء:٧٠] وقال تعالى: ﴿ وَقَالُواْ ٱتَّخَذَ ٱلرَّحْمَٰنُ وَلَدًا سُبْحَٰنَهُۥ بَلْ عِبَادٌ مُّكْرَمُونَ ﴾[الأنبياء:٢٦] وقال تعالى: ﴿ قِيلَ ٱدْخُلِ ٱلْجَنَّةَ قَالَ يَٰلَيْتَ قَوْمِي يَعْلَمُونَ ﴿٢٦﴾ بِمَا غَفَرَ لِي رَبِّي وَجَعَلَنِي مِنَ ٱلْمُكْرَمِينَ ﴾ [يس:٢٧] وقال تعالى: ﴿إِلَّا عِبَادَ ٱللَّهِ ٱلْمُخْلَصِينَ ﴿٤٠﴾ أُوْلَٰٓئِكَ لَهُمْ رِزْقٌ مَّعْلُومٌ ﴿٤١﴾ فَوَٰكِهُ وَهُم مُّكْرَمُونَ ﴾ [الصافات:٤٢] وقال تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَٰكُم مِّن ذَكَرٍ وَأُنثَىٰ وَجَعَلْنَٰكُمْ شُعُوبًا وَقَبَآئِلَ لِتَعَارَفُوٓاْ إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِندَ ٱللَّهِ أَتْقَىٰكُمْ ﴾ [الحجرات:١٣] وقال تعالى: ﴿هَلْ أَتَىٰكَ حَدِيثُ ضَيْفِ إِبْرَٰهِيمَ ٱلْمُكْرَمِينَ ﴾ [الذاريات:٢٤] وقال تعالى: ﴿وَٱلَّذِينَ هُمْ عَلَىٰ صَلَاتِهِمْ يُحَافِظُونَ ﴿٣٤﴾ أُوْلَٰٓئِكَ فِي جَنَّٰتٍ مُّكْرَمُونَ﴾ [المعارج:٣٥] وقال تعالى: ﴿فِي صُحُفٍ مُّكَرَّمَةٍ﴾ [عبس:١٣] وقال تعالى: ﴿فَأَمَّا ٱلْإِنسَٰنُ إِذَا مَا ٱبْتَلَىٰهُ رَبُّهُۥ فَأَكْرَمَهُۥ وَنَعَّمَهُۥ فَيَقُولُ رَبِّيٓ أَكْرَمَنِ﴾ [الفجر:١٥] وقال تعالى: ﴿ٱقْرَأْ وَرَبُّكَ ٱلْأَكْرَمُ﴾[العلق:٣].

- وعَنِ ابْنِ عُمَرَ ﷺ، عَنِ النَّبِيِّ ﷺ، قَالَ: «**الكَرِيمُ، ابْنُ الكَرِيمِ، ابْنِ**

(١) فتح الباري ٥٦٧/١٠.

(٢) مشارق الأنوار على صحاح الآثار ٣٣٨/١ .

الكَرِيم، ابْنِ الكَرِيمِ يُوسُفُ بْنُ يَعْقُوبَ بْنِ إِسْحَاقَ بْنِ إِبْرَاهِيمَ عليهم السلام» (١)، وإذا كَانَ الْكَرم الْجمع وَكَثْرَة الْخَيْر، فَهُوَ حقيقَة عِنْد يوسف عليه السلام لأَنَّهُ جمع مَكَارِم الْأَخْلَاق الَّتِي يَسْتَحِقهَا الْأَنْبِيَاء، إِلَى كرم شرف النُّبُوَّة، وَشرف علم الرُّؤْيَا، وَغَيرهَا من الْعُلُوم، وَشرف رياسة الدُّنْيَا، وَكَونه على خَزَائِن الأَرْض، وَشرف النّسَب بِكَوْنِهِ رَابِع أَرْبَعَة فِي النبوءة (٢).

- وقوله ﷺ «وَتَوَقَّ كَرَائِمَ أَمْوَالِهِمْ»(٣)، أَيْ نَفَائِسها الَّتِي تتعلَّق بِهَا نَفْسُ مَالِكِهَا، ويَخْتَصُّها لَهَا حيْثُ هِيَ جَامِعَةٌ لِلْكَمَالِ المُمكِن فِي حَقِّهَا، وَوَاحِدَتُهَا كَرِيمة(٤).

- وقوله ﷺ « وَلَا يَقْعُدْ فِي بَيْتِهِ عَلَى تَكْرِمَتِهِ إِلَّا بِإِذْنِهِ»(٥)، كَسَجَّادَتِه أَوْ سَرِيرِه وَهِيَ فِي الْأَصْلِ مَصْدَرُ كَرَّمَ تَكْرِيمًا أُطْلِقَ مَجَازًا عَلَى مَا يُعَدُّ لِلرَّجُلِ إِكْرَامًا لَهُ فِي مَنْزِلِهِ(٦)، وقَوله ﷺ فِي الْخَيل « فَالرَّجُلُ يَتَّخِذُهَا تَكَرُّمًا وَتَجَمُّلًا»

---

(١) صحيح البخاري (٣٣٩٠/١٥١/٤) .

(٢) مشارق الأنوار على صحاح الآثار ٣٣٨/١ .

(٣) صحيح مسلم (١٩/٥١/١) وتمامه: عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ، أَنَّ رَسُولَ اللهِ ﷺ لَمَّا بَعَثَ مُعَاذًا إِلَى الْيَمَنِ، قَالَ: «إِنَّكَ تَقْدَمُ عَلَى قَوْمٍ أَهْلِ كِتَابٍ، فَلْيَكُنْ أَوَّلَ مَا تَدْعُوهُمْ إِلَيْهِ عِبَادَةُ اللهِ عز وجل، فَإِذَا عَرَفُوا اللهَ، فَأَخْبِرْهُمْ أَنَّ اللهَ فَرَضَ عَلَيْهِمْ خَمْسَ صَلَوَاتٍ فِي يَوْمِهِمْ وَلَيْلَتِهِمْ، فَإِذَا فَعَلُوا، فَأَخْبِرْهُمْ أَنَّ اللهَ قَدْ فَرَضَ عَلَيْهِمْ زَكَاةً تُؤْخَذُ مِنْ أَغْنِيَائِهِمْ فَتُرَدُّ عَلَى فُقَرَائِهِمْ، فَإِذَا أَطَاعُوا بِهَا، فَخُذْ مِنْهُمْ وَتَوَقَّ كَرَائِمَ أَمْوَالِهِمْ» .

(٤) لسان العرب (ك ر م) .

(٥) صحيح مسلم (٦٧٣/٤٦٥/١) وتمامه: عَنْ أَبِي مَسْعُودٍ الْأَنْصَارِيِّ، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «يَؤُمُّ الْقَوْمَ أَقْرَؤُهُمْ لِكِتَابِ اللهِ، فَإِنْ كَانُوا فِي الْقِرَاءَةِ سَوَاءً، فَأَعْلَمُهُمْ بِالسُّنَّةِ، فَإِنْ كَانُوا فِي السُّنَّةِ سَوَاءً، فَأَقْدَمُهُمْ هِجْرَةً، فَإِنْ كَانُوا فِي الْهِجْرَةِ سَوَاءً، فَأَقْدَمُهُمْ سِلْمًا، وَلَا يَؤُمَّنَّ الرَّجُلُ الرَّجُلَ فِي سُلْطَانِهِ، وَلَا يَقْعُدْ فِي بَيْتِهِ عَلَى تَكْرِمَتِهِ إِلَّا بِإِذْنِهِ».

(٦) مرقاة المفاتيح شرح مشكاة المصابيح ٨٦٣/٣ .

(١).

ويلاحظ هنا أن اللفظ المحظور وهو (الكرم) له مسميان: أحدهما يجب ألا يطلق عليه هذا الاسم وهو العنب، والآخر يحسن أن يطلق عليه الاسم، وهو قلب المؤمن.

****

(١) صحيح مسلم (٢/٦٨٢/٩٨٧).

الحديث الخامس

عَنْ عَبْدِ اللَّهِ، قَالَ: قَالَ النَّبِيُّ ﷺ: «**بِئْسَ مَا لِأَحَدِهِمْ أَنْ يَقُولَ نَسِيتُ آيَةَ كَيْتَ وَكَيْتَ، بَلْ نُسِّيَ وَاسْتَذْكِرُوا القُرْآنَ، فَإِنَّهُ أَشَدُّ تَفَصِّيًا مِنْ صُدُورِ الرِّجَالِ مِنَ النَّعَمِ**»(١).

في هذا الأدب اللفظي نهى النبي ـ ﷺ ـ عن أن يقول المرء (نَسِيتُ) وذكر المحسن اللغوي لهذا المعنى وهو (نُسيت) أو (أُنسيتُ)، وقبل بيان دلالة هذا العدول اللفظي أذكر أنه" قد نطق القرآن بإضافة النسيان إلى العبد في قوله تعالى: ﴿سَنُقْرِئُكَ فَلَا تَنسَىٰٓ﴾ [الأعلى: ٦] وشهد ذلك بصدق حديث عائشة ـ رضي الله عنها ـ قَالَتْ: سَمِعَ النَّبِيُّ ﷺ رَجُلًا يَقْرَأُ فِي المَسْجِدِ، فَقَالَ: «**رَحِمَهُ اللَّهُ لَقَدْ أَذْكَرَنِي كَذَا وَكَذَا آيَةً، أَسْقَطْتُهُنَّ مِنْ سُورَةِ كَذَا وَكَذَا**»(٢)، فأضاف الإسقاط إلى نفسه، والإسقاط هو النسيان بعينه. وحديث عبد الله خلاف هذا، فاستحب ـ ﷺ ـ أن يضيف النسيان إلى خالقه الذى هو الله تعالى، وقد جاء في القرآن عن موسى ـ ﷺ ـ أنه أضاف النسيان مرة إلى نفسه ومرة إلى الشيطان فقال: ﴿فَإِنِّي نَسِيتُ ٱلْحُوتَ وَمَآ أَنسَىٰنِيهُ إِلَّا ٱلشَّيْطَٰنُ أَنْ أَذْكُرَهُۥ﴾ [الكهف:٦٣]، وقال النبي ـ ﷺ: «إِنِّي لَأَنْسَى أَوْ أُنَسَّى لِأَسُنَّ»(٣) ، يعنى إني لأنسى أنا أو يُنسينى ربى، فنسب النسيان مرة إلى نفسه، ومرة إلى الله تعالى ....

---

(١) مشكاة المصابيح (٢١٨٨/٦٧١/١) والحديث أخرجه البخاري في صحيحه (٥٠٣٢/١٩٣/٦)، **واستذكروا** القرآن أي: أكثروا تلاوته واستحضروه في قلوبهم...**وتفصيا أي: تفلتا وتخلصا، والنعم أي: الإبل. (التيسير بشرح الجامع الصحيح ١٤٦/١)**.

(٢) صحيح البخاري(٢٦٥٥/١٧٢/٣).

(٣) موطأ مالك ٣٣١/١٣٨/٢.

وليس في شيء من ذلك اختلاف ولا تضاد في المعنى، لأن لكل إضافة منها معنى صحيحًا في كلام العرب، فمن أضاف النسيان إلى الله فلأنه خالقه وخالق الأفعال كلها، ومن نسبه إلى نفسه فلأن النسيان فعل منه مضاف إليه من جهة الاكتساب والتصرف، ومن نسبه إلى الشيطان فهو بمعنى الوسوسة في الصدور وحديث الأنفس بما جعل الله للشيطان من السلطان على هذه الوسوسة، فلكل إضافة منها وجه صحيح" (١).

وقد أبان علماؤنا عن دلالات هذا العدول الصرفي في اللفظ، فكان من معطياتهم ما يأتي:

١- أَنَّ النِّسْيَانَ الَّذِي يَسْتَحِقُّ عَلَيْهِ صَاحِبُهُ اللَّوْمَ وَيُضَافُ إِلَيْهِ فِيهِ الْإِثْمُ هُوَ التَّرْكُ لِلْعَمَلِ بِهِ، وَمَعْلُومٌ أَنَّ النِّسْيَانَ فِي كَلَامِ الْعَرَبِ التَّرْكُ، قَالَ اللَّهُ ﷻ ﴿فَلَمَّا نَسُوا مَا ذُكِّرُوا بِهِ فَتَحْنَا عَلَيْهِمْ أَبْوَابَ كُلِّ شَيْءٍ﴾ [الأنعام:٤٤] أَيْ تَرَكُوا، وَقَالَ ﴿نَسُوا اللَّهَ فَنَسِيَهُمْ﴾[التوبة:٦٧] أَيْ تَرَكُوا طَاعَةَ اللَّهِ فَتَرَكَ رَحْمَتَهُمْ ... وقال الله تعالى ﴿الْيَوْمَ نَنسَاكُمْ كَمَا نَسِيتُمْ لِقَاءَ يَوْمِكُمْ هَذَا﴾[الجاثية:٣٤]، وَلَيْسَ مَنِ اشْتَهَى حِفْظَهُ وَتَفَلَّتَ مِنْهُ بِنَاسٍ لَهُ إِذَا كَانَ يُحَلِّلُ حَلَالَهُ وَيُحَرِّمُ حَرَامَهُ، وَلَوْ كَانَ كَذَلِكَ مَا نَسِيَ النَّبِيُّ ﷺ شَيْئًا مِنْهُ، قَالَ اللَّهُ ﷻ ﴿سَنُقْرِئُكَ فَلَا تَنسَىٰ ۝٦ إِلَّا مَا شَاءَ اللَّهُ﴾[الأعلى:٧]، وَقَدْ نَسِيَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ مِنْهُ أَشْيَاءَ وَقَالَ «يَرْحَمُهُ اللَّهُ لَقَدْ أَذْكَرَنِي كَذَا وَكَذَا، آيَةً كُنْتُ أُنْسِيتُهَا مِنْ سُورَةِ كَذَا وَكَذَا» (٢) (٣).

وهذا الرأي تشهد له الدلالة المعجمية لمادة (ن س ي)، فـ" النُّونُ وَالسِّينُ وَالْيَاءُ أَصْلَانِ صَحِيحَانِ: يَدُلُّ أَحَدُهُمَا عَلَى إِغْفَالِ الشَّيْءِ، وَالثَّانِي

(١) شرح صحيح البخاري لابن بطال ٢٧٠/١٠.
(٢) صحيح البخاري(٥٠٣٨/١٩٤/٦).
(٣) الاستذكار ٤٨٩/٢، ولباب التأويل في معاني التنزيل للخازن ٦/١.

عَلَى تَرْكِ شَيْءٍ. فَالْأَوَّلُ نَسِيتُ الشَّيْءَ، إِذَا لَمْ تَذْكُرْهُ، نِسْيَانًا.... و قَوْلُهُ سُبْحَانَهُ: ﴿وَلَقَدْ عَهِدْنَآ إِلَىٰٓ ءَادَمَ مِن قَبْلُ فَنَسِيَ وَلَمْ نَجِدْ لَهُۥ عَزْمًا﴾ [طه: ١١٥] ، أَرَادَ - وَاللَّهُ أَعْلَمُ - : فَتَرَكَ الْعَهْدَ" (١).

وَذكر بعض أهل التَّفْسِير أَن النسْيَان فِي الْقُرْآن على وَجْهَيْن: -

أَحدهمَا: التّرْك مَعَ الْعمد، وَمِنْه قَوْله تَعَالَى فِي الْبَقَرَة: ﴿ مَا نَنسَخْ مِنْ ءَايَةٍ أَوْ نُنسِهَا ﴾ [البقرة:١٠٦]، على قِرَاءَة من لم يهمز(٢)، وفيهَا: ﴿وَلَا تَنسَوُاْ ٱلْفَضْلَ بَيْنَكُمْ﴾ [البقرة:٢٣٧]، وَفِي طه: ﴿وَلَقَدْ عَهِدْنَآ إِلَىٰٓ ءَادَمَ مِن قَبْلُ فَنَسِيَ﴾ [طه: ١١٥] وَفِي السَّجْدَة: ﴿فَذُوقُواْ بِمَا نَسِيتُمْ لِقَآءَ يَوْمِكُمْ هَٰذَآ إِنَّا نَسِينَٰكُمْ﴾ [السجدة:١٤].

وَالثَّانِي: خلاف الذّكر، وَمِنْه قَوْله تَعَالَى فِي الْكَهْف: ﴿فَإِنِّى نَسِيتُ ٱلْحُوتَ وَمَآ أَنسَىٰنِيهُ إِلَّا ٱلشَّيْطَٰنُ أَنْ أَذْكُرَهُۥ﴾ [الكهف:٦٣]، وفيهَا ﴿لَا تُؤَاخِذْنِى بِمَا نَسِيتُ﴾ [الكهف:٧٣]، وَفِي الْأَعْلَى ﴿سَنُقْرِئُكَ فَلَا تَنسَىٰٓ﴾ [الأعلى:٧] (٣).

قال الراغب (ت٥٠٢):" النِّسْيَانُ: تَرْكُ الإنسانِ ضبطَ ما استُودِعَ، إمَّا لضَعْفِ قلبِه، وإمَّا عن غفْلةٍ، وإمَّا عن قصْدٍ حتى يَنْحَذِفَ عن القلبِ ذِكْرُهُ، يقال: نَسِيتُهُ نِسْيَاناً» (٤).

وقال الزبيدي (ت١٢٠٥ هـ):" إنَّ تَفْسيرَ النِّسْيان بضِدِّ الحفْظِ والذِّكْر

---

(١) مقاييس اللغة (ن س ي) ٤٢١/٥.

(٢) قَرَأَهُ ابْنُ كَثِيرٍ وَأَبُو عَمْرٍو بِفَتْحِ النُّونِ وَالسِّينِ، وَهَمْزَةٍ سَاكِنَةٍ بَيْنَ السِّينِ وَالْهَاءِ. وَقَرَأَ الْبَاقُونَ نُنْسِهَا بِضَمِّ النُّونِ وَكَسْرِ السِّينِ مِنْ غَيْرِ هَمْزَةٍ (تقريب النشر في القراءات العشر ٤٦٠/٢).

(٣) نزهة الأعين النواظر في علم الوجوه والنظائر ص٥٧٩.

(٤) المفردات في غريب القرآن ص٨٠٣ وبصائر ذوي التمييز ٤٩/٥.

هُوَ الَّذِي فِي الصِّحاحِ(١) وغيرِه. قَالَ شَيخنَا(٢): وَهُوَ لَا يَخْلو عَن تأَمّلٍ، وأَكْثَر أَهْلِ اللغَةِ فَسَّرُوه بالتَّرْكِ وَهُوَ المَشْهورُ عنْدَهُم...، وجعَلَه فِي الأَساسِ(٣) مجَازًا، وَقَالَ الحافِظُ ابنُ حَجَر(ت٨٥٢ هـ)(٤): هُوَ مِن إِطْلاقِ المَلْزومِ وإِرادَةِ اللَّازِمِ لأَنَّه مِن نَسِيَ الشيءَ تَرَكَه بِلا عكْسٍ" (٥).

٢ ـ أن يكون هذا الأدب اللفظي ذا دلالة تربوية على الاعتقاد الصحيح، حيث أراد " ـ ﷺ ـ بقوله: (ما لأحدهم يقول نسيت آية كذا وكذا؛ بل هو نسي) أن يجرى على ألسن العباد نسبة الأفعال إلى بارئها وخالقها، وهو الله؛ ففي ذلك إقرار له بالعبودية واستسلام لقدرته، وهو أولى من نسبة الأفعال إلى مكتسبها فإن نسبها إلى مكتسبها فجائز بدليل الكتاب والسنة " (٦).وقد جمع الزبيدي(ت١٢٠٥ هـ) بين الدلالتين، فقال:" كَرِهَ نِسْبَةَ النِّسْيانِ إِلَى النفْسِ لمعْنَيَيْنِ: **أَحَدُهما**: أَنَّ الله ـ ﷻ ـ هُوَ الَّذِي أَنْساهُ إِيَّاه لأَنَّه المقدِّرُ للأَشْياءِ كُلِّها، **وَالثَّانِي**: أَنَّ أَصْلَ النِّسْيان التَّرْكُ فكَرِهَ لَهُ أَنْ يقولَ تَرَكْتُ القُرْآن، وقَصَدْتُ إِلَى نِسْيانه ولأَنَّ ذلكَ لم يكُنْ باخْتِيارِه، وَلَو رُوِيَ: (نُسِيَ) بالتَّخفيفِ لكانَ مَعْناه تُرِكَ مِن الخَيْرِ وحُرِمَ " (٧).

---

(١) النسيان بكسر النون: خلاف الذكر والحفظ. ورجل نسيان بفتح النون: كثير النسيان للشيء (الصحاح: ن س ي ٢٥٠٨/٦) .

(٢) الإِمَام اللغويّ أبو عبد الله مُحَمَّد بن الطّيِّب بن مُحَمَّد الفاسيّ، (١١١٠- ١١٧٠هـ) (تاج العروس ٣/١) .

(٣) قال: ومن المجاز: نسيت الشيء: تركته (أساس الباغة: ن س ي ٢٦٨/٢) .

(٤) فتح الباري ٥٧٤/٨ .

(٥) تاج العروس (ن س ي).

(٦) شرح صحيح البخاري لابن بطال ٢٧٠/١٠.

(٧) تاج العروس: (ن س ي).

٣- في الحديث محل البحث «لَيْسَ لأَحَدِكُمْ أَنْ يَقُولَ نَسِيتُ آيَةَ كَيْتَ وَكَيْتَ بَلْ هُوَ نُسِّيَ» نَفَى أَنْ يُضِيفَ الْإِنْسَانُ النِّسْيَانَ هَاهُنَا إِلَى نَفْسه. وَقَدْ قَالَ -ﷺ- فِي حَدِيثِ ابْنِ مَسْعُودٍ «إِنَّمَا أَنَا بَشَرٌ مِثْلُكُمْ، أَنْسَى كَمَا تَنْسَوْنَ، فَإِذَا نَسِيتُ فَذَكِّرُونِي»(١) فَيَحْتَمِلُ أَنْ يَكُونَ مَعْنَى الْحَدِيثِ الْأَوَّلِ مَا كَانَ يُنْسَخُ مِنْ الْقُرْآنِ بِالنِّسْيَانِ يَنْسَاهُ جَمِيعُ النَّاسِ فَلَا يَبْقَى فِي حِفْظِ أَحَدٍ فَيَكُونُ ذَلِكَ نَسْخَهُ لَهُ، وَيَكُونُ مَعْنَى الْحَدِيثِ الْآخَرِ النِّسْيَانُ الْمُعْتَادُ مِنْ السَّهْوِ الْمُعْتَادِ فِي الصَّلَاةِ وَمَا جَرَى مَجْرَاهُ(٢).

٤- يحتمل أَن يكون هَذَا خَاصًّا فِي زمن النَّبِي -ﷺ-، فَتكون الْإِشَارَة إِلَى مَا رفع لَفظه فينساه الْإِنْسَان، أَي يرفع من صَدره، فنهاهم عَن ذَلِك الْقَوْل لِئَلَّا يتوهمون فِي مُحكم الْقُرْآن أَنه قد ضَاعَ، وَأخْبرهمْ أَن مَا يكون من رَفعه لحكمة يعلمهَا الله تَعَالَى.

- ويحتمل أَن يكون عَاما، وَيكون الْمَعْنى: إِنَّمَا نسي لذنب ارْتَكَبهُ، وَرُبمَا كَانَ ذَلِك الذَّنب ترك تعهده لِلْقُرْآنِ (٣).

٥- أن هذا النهي دلالته الفقهية" كَرَاهَةُ تَنْزِيه، وَأَنَّهُ لَا يُكْرَهُ قَوْلُ (أُنْسِيتُهَا) وَإِنَّمَا نُهِيَ عَنْ (نَسِيتُهَا) لِأَنَّهُ يَتَضَمَّنُ التَّسَاهُلَ فِيهَا وَالتَّغَافُلَ عنها

(١) صحيح البخاري(٤٠١/٨٩/١) وتمامه: عَنْ إِبْرَاهِيمَ، عَنْ عَلْقَمَةَ، قَالَ: قَالَ عَبْدُ اللَّهِ صَلَّى النَّبِيُّ ﷺ - قَالَ إِبْرَاهِيمُ: لاَ أَدْرِي زَادَ أَوْ نَقَصَ - فَلَمَّا سَلَّمَ قِيلَ لَهُ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، أَحَدَثَ فِي الصَّلاَةِ شَيْءٌ؟ قَالَ: «وَمَا ذَاكَ»، قَالُوا: صَلَّيْتَ كَذَا وَكَذَا، فَثَنَى رِجْلَيْهِ، وَاسْتَقْبَلَ القِبْلَةَ، وَسَجَدَ سَجْدَتَيْنِ، ثُمَّ سَلَّمَ، فَلَمَّا أَقْبَلَ عَلَيْنَا بِوَجْهِهِ، قَالَ: «إِنَّهُ لَوْ حَدَثَ فِي الصَّلاَةِ شَيْءٌ لَنَبَّأْتُكُمْ بِهِ، وَلَكِنْ إِنَّمَا أَنَا بَشَرٌ مِثْلُكُمْ، أَنْسَى كَمَا تَنْسَوْنَ، فَإِذَا نَسِيتُ فَذَكِّرُونِي، وَإِذَا شَكَّ أَحَدُكُمْ فِي صَلاَتِهِ، فَلْيَتَحَرَّ الصَّوَابَ فَلْيُتِمَّ عَلَيْهِ، ثُمَّ لِيُسَلِّمْ، ثُمَّ يَسْجُدُ سَجْدَتَيْنِ» .

(٢) المنتقى شرح الموطأ ١٨٢/١.

(٣) كشف المشكل من حديث الصحيحين ٣٠٣/١.

وَقَدْ قَالَ اللَّهُ تَعَالَى ﴿أَتَتْكَ ءَايَٰتُنَا فَنَسِيتَهَا﴾ [طه:١٢٦].

٦ ـ وَقَالَ الْقَاضِي عِيَاضٌ (٤٧٦ - ٥٤٤ هـ) أَوْلَى مَا يُتَأَوَّلُ عَلَيْهِ الْحَدِيثُ أَنَّ مَعْنَاهُ ذَمُّ الْحَالِ لَا ذَمُّ الْقَوْلِ أَيْ نَسِيتُ الْحَالَةَ حَالَةَ مَنْ حَفِظَ القرآن فغفل عنه حتى نسيه (١).

٧ـ قَالَ الطِّيبِيُّ: قَوْلُهُ (بَلْ نُسِّيَ) إِشَارَةً إِلَى عَدَمِ تَقْصِيرِهِ فِي الْمُحَافَظَةِ لَكِنَّ اللَّهَ أَنْسَاهُ لِمَصْلَحَةٍ، قَالَ اللَّهُ - تَعَالَى - ﴿مَا نَنسَخْ مِنْ ءَايَةٍ أَوْ نُنسِهَا نَأْتِ بِخَيْرٍ مِّنْهَآ أَوْ مِثْلِهَآ﴾ [البقرة: ١٠٦] وَقَوْلُهُ (نَسِيتُ) يَدُلُّ عَلَى أَنَّهُ لَمْ يَتَعَاهَدِ الْقُرْآنَ (٢).

فَنِسْيَانُ مَا أَمَرَ اللهُ بِحِفْظِهِ مَذْمُومٌ، قَالَ تَعَالَى: ﴿كَذَٰلِكَ أَتَتْكَ ءَايَٰتُنَا فَنَسِيتَهَا ۖ وَكَذَٰلِكَ ٱلْيَوْمَ تُنسَىٰ﴾ [طه:١٢٦] ، وَهَذَا النِّسْيَانُ وَإِنْ كَانَ مُتَضَمِّنًا لِتَرْكِ الْعَمَلِ بِهَا مَعَ حِفْظِهَا فَإِذَا نُسِيَتْ الْآيَاتُ بِالْكُلِّيَّةِ حَتَّى لَا يُعْرَفُ مَا فِيهَا كَانَ ذَلِكَ أَبْلَغَ فِي تَرْكِ الْعَمَلِ بِهَا فَكَانَ هَذَا مَذْمُومًا، وَلِهَذَا كَرِهَ النَّبِيُّ ـ ﷺ ـ أَنْ يُضِيفَ الْإِنْسَانُ النِّسْيَانَ إلَى نَفْسِهِ (٣).

****

(١) شرح النووي على مسلم ٧٦/٦.
(٢) مرقاة المفاتيح ١٤٩٥/٤.
(٣) مجموع الفتاوى ١٨٥/١٧.

الحديث السادس

عن أَبِي هريرة ﷺ، يحدّث عن النَّبِيِّ ﷺ، أَنَّه قَالَ: " **لاَ يَقُلْ أَحَدُكُمْ: أَطْعِمْ رَبَّكَ وَضِّئْ رَبَّكَ، اسْقِ رَبَّكَ، وَلْيَقُلْ: سَيِّدِي مَوْلاَيَ، وَلاَ يَقُلْ أَحَدُكُمْ: عَبْدِي أَمَتِي، وَلْيَقُلْ: فَتَايَ وَفَتَاتِي وَغُلاَمِي** "(١).

وعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ، أَنَّ رَسُولَ اللهِ ﷺقَالَ: «لَا يَقُولَنَّ أَحَدُكُمْ عَبْدِي وَأَمَتِي كُلُّكُمْ عَبِيدُ اللهِ، وَكُلُّ نِسَائِكُمْ إِمَاءُ اللهِ، وَلَكِنْ لِيَقُلْ غُلَامِي وَجَارِيَتِي وَفَتَايَ وَفَتَاتِي»(٢).

في هذا الأدب النبوي نهى النبي ـ ﷺ ـ عن لفظ (الرب) في سياق حديث المملوك مع سيده، وذكر البديل اللغوي لهذا اللفظ وهو (السيد والمولى)، وكذا نهى النبي ـ ﷺ ـ عن لفظ (العبد والأمة) في سياق حديث السيد لمملوكه، وذكر البديل اللغوي وهو (الغلام ـ الجارية ـ الفتى ـ الفتاة).

والسؤال: ما دلالة حظر هذه الألفاظ (الرب ـ العبد ـ الأمة) في هذه السياقات من وجهة النظر اللغوية؟ وكيف نجمع بين هذا النهي وبين ورود هذه الألفاظ في القرآن الكريم وفي سياقات نبوية أخرى؟

إن القرآن الكريم أورد هذه الألفاظ المنهي عنها في هذا السياق، قال تعالى: ﴿وَقَالَ لِلَّذِى ظَنَّ أَنَّهُۥ نَاجٍ مِّنْهُمَا ٱذْكُرْنِى عِندَ رَبِّكَ فَأَنسَىٰهُ ٱلشَّيْطَٰنُ

---

(١) مشكاة المصابيح(٣/١٣٤٥/٤٧٦٠) والحديث أخرجه البخاري: كتاب العتق، بَابُ كَرَاهِيَةِ التَّطَاوُلِ عَلَى الرَّقِيقِ، وَقَوْلِهِ: عَبْدِي أَوْ أَمَتِي ٣/١٥٠/٢٥٥٢.

(٢) أخرجه مسلم في صحيحه: كتاب الألفاظ من الأدب وغيرها، بَابُ حُكْمِ إِطْلَاقِ لَفْظَةِ الْعَبْدِ، وَالْأَمَةِ، وَالْمَوْلَى، وَالسَّيِّدِ ٤/١٧٦٤/٢٢٤٩ .

ذِكْرَ رَبِّهِۦ(١) فَلَبِثَ فِي ٱلسِّجْنِ بِضْعَ سِنِينَ﴾ [يوسف:٤٢] و" قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿اذْكُرْنِي عِنْدَ رَبِّكَ﴾أَيْ سَيِّدِكَ، وَذَلِكَ مَعْرُوفٌ فِي اللُّغَةِ أَنْ يُقَالَ لِلسَّيِّدِ رَبٌّ، قَالَ الْأَعْشَى:

رَبِّي كَرِيمٌ لَا يُكَدِّرُ نِعْمَةً وَإِذَا تُنُوشِدَ فِي المهارق أَنْشَدَا(٢)"

وكان للعلماء في دفع هذا التعارض الظاهري بين القرآن والسنة عدة مسالك:

الأول: أنّ هذا مِنْ بَابِ الْإِرْشَادِ إِلَى إِطْلَاقِ اسْمِ الْأَوْلَى، لَا أَنَّ إِطْلَاقَ ذَلِكَ الاسْمِ مُحَرَّمٌ، وَلِأَنَّهُ قَدْ جَاءَ عَنِ النبي - ﷺ - «مِنْ أَشْرَاطِ السَّاعَةِ أَنْ تَلِدَ الأَمَةُ رَبَّهَا»(٤) أَيْ مَالِكَهَا وَسَيِّدَهَا، وَهَذَا مُوَافِقٌ لِلْقُرْآنِ فِي إِطْلَاقِ ذَلِكَ اللَّفْظِ، فَكَانَ مَحَلُّ النَّهْيِ فِي هَذَا الْبَابِ أَلَّا تَتَّخِذَ هَذِهِ

(١) ضَمِيرَا ﴿فَأَنسَىٰهُ﴾ و﴿رَبِّهِۦ﴾ يَحْتَمِلَانِ الْعود إِلَى لـ﴿لِلَّذِى﴾، أَيْ أَنْسَى الشَّيْطَانُ الَّذِي نَجَا أَنْ يَذْكُرَهُ لِرَبِّهِ، فَالذِّكْرُ الثَّانِي هُوَ الذِّكْرُ الْأَوَّلُ. وَيُحْتَمَلُ أَنْ يَعُودَ الضَّمِيرَانِ إِلَى مَا عَادَ إِلَيْهِ ضَمِيرُ وَقَالَ أَيْ يُوسُفُ-عليه السلام- أَنْسَاهُ الشَّيْطَانُ ذِكْرَ اللَّهِ، فَالذِّكْرُ الثَّانِي غَيْرُ الذِّكْرِ الْأَوَّلِ. وَلَعَلَّ كِلَا الِاحْتِمَالَيْنِ مُرَادٌ، وَهُوَ مِنْ بَدِيعِ الْإِيجَازِ. وَذَلِكَ أَنَّ نِسْيَانَ يُوسُفَ-عليه السلام- أَنْ يَسْأَلَ اللَّهَ إِلْهَامَ الْمَلِكِ تَذَكُّرَ شَأْنِهِ كَانَ مِنْ إِلْقَاءِ الشَّيْطَانِ فِي أُمْنِيَّتِهِ، وَكَانَ ذَلِكَ سَبَبًا إِلَهِيًّا فِي نِسْيَانِ السَّاقِي تَذْكِيرَ الْمَلِكِ، وَكَانَ ذَلِكَ عِتَابًا إِلَهِيًّا لِيُوسُفَ-عليه السلام- عَلَى اسْتِغَاثَتِهِ بِعَوْنِ الْعِبَادِ دُونَ اسْتِعَانَتِهِ رَبَّهُ عَلَى خَلَاصِهِ. وَلَعَلَّ فِي إِيرَادِ هَذَا الْكَلَامِ عَلَى هَذَا التَّوْجِيهِ تَلَطُّفًا فِي الْخَبَرِ عَنْ يُوسُفَ-عليه السلام-، لِأَنَّ الْكَلَامَ الْمُوَجَّهَ فِي الْمَعَانِي الْمُوَجَّهَةِ أَلْطَفُ مِنَ الصَّرِيحِ. (التحرير والتنوير ٢٧٨/١٢).

(٢) البيت للأعشى في ديوانه ص١٥١ قال أبو عبيدة: يعني النعمان بن المنذر، إذا سُئل بكَتْبِ الجوائزِ أعطى. وقوله " تُنوشِدَ " هو في موضع نُشِدَ، أي سئل (الصحاح: ن ش د) ٥٤٤/٢، وأَرادَ بالمَهارق الصَّحائِفَ.

(٣) الجامع لأحكام القرآن ١٩٤/٩ .

(٤) صحيح البخاري (١٤٦/٣) .

الْأَسْمَاءَ عَادَةً فَنَتْرُكُ الْأَوْلَى وَالْأَحْسَن(١).

الثاني: أَنَّ هَذَا مَنْسُوخٌ فِي شَرْعِنَا، قَالَ ابْنُ الْعَرَبِيِّ(ت٥٤٣ هـ): يُحْتَمَلُ أَنْ يَكُونَ هَذَا جَائِزًا فِي شَرْعِ يُوسُفَ ـ عليه السلام ـ (٢).

قلت: ومما يؤيد أن هذا الاستعمال في سياقٍ زمنيٍّ مضى، أن دلالة الرب على السيد لم ترد في القرآن الكريم إلا في قصةِ نبي الله يوسف ـ عليه السلام ـ قال تعالى: ﴿وَرَٰوَدَتْهُ ٱلَّتِي هُوَ فِي بَيْتِهَا عَن نَّفْسِهِۦ وَغَلَّقَتِ ٱلْأَبْوَٰبَ وَقَالَتْ هَيْتَ لَكَ ۚ قَالَ مَعَاذَ ٱللَّهِ ۖ إِنَّهُۥ رَبِّيٓ أَحْسَنَ مَثْوَايَ ۖ إِنَّهُۥ لَا يُفْلِحُ ٱلظَّٰلِمُونَ﴾ [يوسف:٢٣] أَيْ رَبِّي وَسَيِّدِي وَمَالِكِي أَحْسَنَ مَثْوَايَ حِينَ قَالَ لَكَ: أَكْرِمِي مَثْوَاهُ، فَلَا يَلِيقُ بِالْعَقْلِ أَنْ أُجَازِيَهُ عَلَى ذَلِكَ الْإِحْسَانِ بِهَذِهِ الْخِيَانَةِ الْقَبِيحَةِ(٣)، وقال تعالى: ﴿يَٰصَٰحِبَيِ ٱلسِّجْنِ أَمَّآ أَحَدُكُمَا فَيَسْقِي رَبَّهُۥ خَمْرًا ۖ﴾ [يوسف:٤١] أي سيده الذي في خدمته(٤)، ومَالِكُ رَقَبَتِه وَهُوَ الْمَلِكُ، لَا رُبُوبِيَّةَ الْعُبُودِيَّةِ، فَمَلِكُ مِصْرَ فِي عَهْدِ يُوسُفَ لَمْ يَدَّعِ الرُّبُوبِيَّةَ وَالْأُلُوهِيَّةَ كَفِرْعَوْنَ مُوسَى وَغَيْرِهِ، بَلْ كَانَ مِنْ مُلُوكِ الْعَرَبِ الرُّعَاةِ الَّذِينَ مَلَكُوا الْبِلَادَ عِدَّةَ قُرُونٍ(٥)، وقال تعالى: ﴿وَقَالَ ٱلْمَلِكُ ٱئْتُونِي بِهِۦ ۖ فَلَمَّا جَآءَهُ ٱلرَّسُولُ قَالَ ٱرْجِعْ إِلَىٰ رَبِّكَ﴾ [يوسف:٥٠] أي سيدك الملك(٦).

الثالث: أن هذا الاستعمال في سياق تداولي خاص، وذلك" أَنَّهُ

(١) الجامع لأحكام القرآن ١٩٤/٩ .
(٢) أحكام القرآن لابن العربي ٥٦/٣ .
(٣) مفاتيح الغيب ٤٣٨/١٨ .
(٤) نظم الدرر ٩١/١٠ .
(٥) تفسير المنار ٢٥٧/١٢ .
(٦) نظم الدرر ١١٥/١٠ .

خَاطَبَهُ بِمَا يَعْرِفُهُ وَجَازَ ذَلِكَ لِلضَّرُورَةِ" (١).

الرابع: أن هذا النهي في سياق لغوي معين،" وَهُوَ نَهْيُ كَرَاهَةٍ لِلتَّأْدِيبِ وَلِذَلِكَ خُصَّ النَّهْيُ بِمَا إِذَا كَانَ الْمُضَافُ إِلَيْهِ مِمَّنْ يَعْبُدُ عُرْفًا كَأَسْمَاءِ النَّاسِ لِدَفْعِ تُهْمَةِ الْإِشْرَاكِ وَقَطْعِ دَابِرِهِ، وَجَوَّزُوا أَنْ يَقُولَ رَبُّ الدَّابَّةِ وَرَبُّ الدَّارِ، وَأَمَّا بِالْإِطْلَاقِ فَالْكَرَاهَةُ أَشَدُّ فَلَا يَقُلْ أَحَدٌ لِلْمَلِكِ وَنَحْوِهِ هَذَا رب" (٢).

الخامس: أَنَّ الْمُرَادَ النَّهْيُ عَنِ الْإِكْثَارِ مِنَ اسْتِعْمَالِ هَذِهِ اللَّفْظَةِ وَاتِّخَاذِهَا عَادَةً شَائِعَةً، وَلَمْ يَنْهَ عَنْ إِطْلَاقِهَا فِي نَادِرٍ مِنَ الْأَحْوَالِ(٣).

وإذا كان استعمال لفظ (الرب) للدلالة على السيد المالك قد ورد في القرآن الكريم في سياق زمني مضى، أو سياق تداولي خاص، فإن البديل اللغوي المحسّن في لسان الشريعة هو (السيد أو المولى)، فلا كراهة في استعمال هذين اللفظين وقد وردا في لسان الشريعة، قال تعالى: ﴿يُبَشِّرُكَ بِيَحْيَىٰ مُصَدِّقًا بِكَلِمَةٍ مِّنَ اللَّهِ وَسَيِّدًا﴾ [آل عمران:٣٩]، قال القرطبي (ت ٦٧١ هـ):" السَّيِّدُ: الَّذِي يَسُودُ قَوْمَهُ وَيُنْتَهَى إِلَى قَوْلِهِ... فَفِيهِ دَلَالَةٌ عَلَى جَوَازِ تَسْمِيَةِ الْإِنْسَانِ سَيِّدًا كَمَا يَجُوزُ أَنْ يُسَمَّى عَزِيزًا أَوْ كَرِيمًا. وَكَذَلِكَ رُوِيَ عَنِ النَّبِيِّ ﷺ أَنَّهُ قَالَ لِبَنِي قُرَيْظَةَ: «قُومُوا إِلَى سَيِّدِكُمْ»(٤)

(١) مرقاة المفاتيح شرح مشكاة المصابيح ٣٠٠١/٧ .

(٢) التحرير والتنوير ١٦٧/١ .

(٣) شرح النووي على مسلم ٦/١٥ .

(٤) صحيح البخاري (٣٠٤٣/٦٧/٤) وتمامه: عَنْ أَبِي سَعِيدٍ الخُدْرِيِّ ﷺ، قَالَ: لَمَّا نَزَلَتْ بَنُو قُرَيْظَةَ عَلَى حُكْمِ سَعْدٍ هُوَ ابْنُ مُعَاذٍ، بَعَثَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ وَكَانَ قَرِيبًا مِنْهُ، فَجَاءَ عَلَى حِمَارٍ، فَلَمَّا دَنَا قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «قُومُوا إِلَى سَيِّدِكُمْ» فَجَاءَ، فَجَلَسَ إِلَى رَسُولِ اللَّهِ ﷺ، فَقَالَ لَهُ: إِنَّ هَؤُلاَءِ نَزَلُوا عَلَى حُكْمِكَ، قَالَ: فَإِنِّي أَحْكُمُ أَنْ تُقْتَلَ المُقَاتِلَةُ، وَأَنْ تُسْبَى الذُّرِّيَّةُ، قَالَ: «لَقَدْ حَكَمْتَ فِيهِمْ بِحُكْمِ المَلِكِ» .

وَفِي الْبُخَارِيِّ أَنَّ النَّبِيَّ - ﷺ - قَالَ فِي الْحَسَنِ - ﷺ -: «إِنَّ ابْنِي هَذَا سَيِّدٌ وَلَعَلَّ اللَّهَ أَنْ يُصْلِحَ بِهِ بَيْنَ فِئَتَيْنِ عَظِيمَتَيْنِ مِنَ الْمُسْلِمِينَ»(١) وَكَذَلِكَ كَانَ(٢)، وعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ - ﷺ -، قَالَ: قَالَ النَّبِيُّ ﷺ: «نِعْمَ مَا لِأَحَدِهِمْ يُحْسِنُ عِبَادَةَ رَبِّهِ وَيَنْصَحُ لِسَيِّدِهِ»(٣).

فَلَفْظَةُ السَّيِّدِ غَيْرُ مُخْتَصَّةٍ بِاللَّهِ تَعَالَى اخْتِصَاصَ الرَّبِّ وَلَا مُسْتَعْمَلَةٍ فِيهِ كَاسْتِعْمَالِهَا... وَلَمْ يَأْتِ تَسْمِيَةُ اللَّهِ تَعَالَى بِالسَّيِّدِ فِي الْقُرْآنِ وَلَا فِي حَدِيثٍ مُتَوَاتِرٍ...فَلَيْسَ فِي قَوْلِ الْعَبْدِ سَيِّدِي إِشْكَالٌ وَلَا لُبْسٌ لِأَنَّهُ يَسْتَعْمِلُهُ غَيْرُ الْعَبْدِ وَالْأَمَةِ(٤).

وقال ﷺ: «**مَوْلَى الْقَوْمِ مِنْ أَنْفُسِهِمْ**»(٥)، أَيْ: يَرِثُهُ الْمُعْتِقُ بِالْعُصُوبَةِ إِذَا لَمْ يَكُنْ لَهُ عَصَبَةٌ نَسَبِيَّةٌ، وَقِيلَ: مَوْلَى أَيْ مُعْتِقُهُمْ بِالْفَتْحِ مِنْهُمْ(٦).

والناظر في معاجم اللغة يجد أن لفظ (المولى) مشترك لفظي لا تتضح دلالته إلا من خلال السياق، وقد وصلت معانيه المعجمية في أوسع معاجم اللغة إلى واحد وعشرين معنى، يقول الزبيدي(ت١٢٠٥ هـ) :" والمَوْلَى لَهُ مَواضِعُ فِي كَلامِ العَرَبِ، وَقد تَكَرَّر ذِكْرُه فِي الآيَةِ والحديثِ فمِن ذلكَ: المَوْلَى: **المالِكُ** مِن وَلِيَه وِلايَةً إِذا ملكَه، ويُطْلَقُ على **العَبْد** ، ... **والمُعْتِقُ** ، كمُحْسِنٍ، وهو مَوْلَى النِّعْمةِ أَنْعَم على عَبْدٍ بعتْقِه، **والمُعْتَقُ**، كمُكْرَمٍ، لأَنَّه ينزلُ مَنْزِلَةَ ابْنِ العَمِّ يَجِبُ عليكَ أَن تَنْصرَه وأَنْ تَرِثَه إِنْ ماتَ وَلَا وارِثَ لَهُ، ... **والصَّاحِبُ**، **والقَرِيبُ** كابنِ العَمِّ ونَحْوِه...

---

(١) صحيح البخاري (٢٧٠٤/١٨٦/٣) .
(٢) الجامع لأحكام القرآن ٧٧/٤ .
(٣) صحيح البخاري (٢٥٤٩/١٤٩/٣) .
(٤) شرح النووي على مسلم ٦/١٥ .
(٥) صحيح البخاري (٦٧٦١/١٥٥/٨) .
(٦) مرقاة المفاتيح ٢٠٢٢/٥.

والجارُ والحَلِيفُ ، وهُوَ مَن انْضَمَّ إليكَ فعَزَّ بعزِّك وامْتَنَعَ بمَنَعَتِك،.... والابنُ والعَمُّ والعَصَباتُ كُلُّهم.... والنَّزيلُ، والشَّريكُ ...و ابنُ الأُخْتِ ... والوَلِيُّ الَّذِي يَلِي عَلَيْكَ أَمْرَكَ، وهما بمعْنًى واحِدٍ،... والمَوْلَى فِي الدِّينِ هُوَ الوَلِيُّ، وذلكَ قولهُ تَعَالَى: ﴿ذَٰلِكَ بِأَنَّ ٱللَّهَ مَوْلَى ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَأَنَّ ٱلْكَٰفِرِينَ لَا مَوْلَىٰ لَهُمْ﴾[محمد:١١] ، أَي لَا وَلِيَّ لهُم، ... والرَّبُّ - جلَّ وعَلا، - لتَوَلِّيه أُمُورَ العالَمِ بتَدْبيرِه وقُدْرَتِه، والنَّاصِرُ ... والمُنْعِمُ، والمُنْعَمُ عَلَيْهِ، والمُحِبُّ ، من وَالاهُ إذا أَحَبَّه، والتَّابِعُ، والصِّهْرُ... ، فهَذِه أَحَد وعِشْرونَ مَعْنًى للمَوْلَى، وأَكْثَرُها قد جاءَتْ فِي الحديثِ فيُضافُ كلُّ واحِدٍ إِلَى مَا يَقْتَضِيه الحديثُ الوارِدُ فِيهِ" (١).

وهو في القرآن على ثلاثة أوجه:

الأول: الولي، قال اللَّه: ﴿ذَٰلِكَ بِأَنَّ ٱللَّهَ مَوْلَى ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَأَنَّ ٱلْكَٰفِرِينَ لَا مَوْلَىٰ لَهُمْ﴾ [محمد:١١] أي: لا ولي لهم، وقوله: ﴿لَبِئْسَ ٱلْمَوْلَىٰ﴾ [الحج:١٣]أي: لبئس الولي، وقِيل: لا مولى لهم أي: ناصر لهم، وقيل: المولى هو المتولي للتدبير لمن ولاه، تقول: نصر اللَّه النبي والمؤمنين بما تولى لهم من التدبير،: ﴿وَأَنَّ ٱلْكَٰفِرِينَ لَا مَوْلَىٰ لَهُمْ﴾أي: لا متولي لأمرهم عند أخذ اللَّه إياهم.

الثاني: العصبة، قال اللَّه: ﴿وَإِنِّي خِفْتُ ٱلْمَوَٰلِيَ مِن وَرَآءِى﴾[مريم:٥] يعني: العصبة، ومثله: ﴿وَلِكُلٍّ جَعَلْنَا مَوَٰلِيَ مِمَّا تَرَكَ ٱلْوَٰلِدَانِ وَٱلْأَقْرَبُونَ﴾ [النساء:٣٣] كذا قيل، ويجوز أن يكون المولى هاهنا بمعنى الأولى بالشيء، والمعنى أن لكل شيء مما ترك الوالدان والأقربون وارثا هو أولى به. من غيره، ومنه قيل لمالك العبد مولاه؛ لأنه أولى به.

الثالث: ابن العم، قال اللَّه: ﴿فَإِن لَّمْ تَعْلَمُوٓاْ ءَابَآءَهُمْ فَإِخْوَٰنُكُمْ فِى ٱلدِّينِ

(١) تاج العروس (و ل ي) ٢٤٣/٤٠ (بتصرف).

وَمَوَٰلِيكُمۡ﴾[الأحزاب:٥] أي: وبنو أعمامكم، ويجوز أن يكون المعنى: ﴿وَمَوَٰلِيكُمۡ﴾أولياء كم في الدّين، ويجوز أن يقال: أراد أنهم أصحابكم؛ لأنكم تستعينون بهم في بعض أموركم، وهم أيضا منضافون إليكم، وصاحب الرجل منضاف إليه (١).

وَالْحَاصِلُ أَنَّ الْمَوْلَى لَهُ مَعَانٍ مُتَعَدِّدَةٌ مِنْهَا: مَا يَخْتَصُّ بِهِ سُبْحَانَهُ، فَلَا يَجُوزُ اسْتِعْمَالُهُ فِي حَقِّ غَيْرِهِ تَعَالَى، وَهُوَ نِعْمَ الْمَوْلَى؛ وَلِذَا قَالَ ـ ﷺ ـ: (فَإِنَّ مَوْلَاكُمُ اللَّهُ) (٢)أَيِ: الْمُخْتَصُّ بِهَذَا الْمَعْنَى الْخَاصِّ، وهو ما ذكره القرآن الكريم في أكثر من موضع، قال تعالى:﴿بَلِ ٱللَّهُ مَوۡلَىٰكُمۡۖ وَهُوَ خَيۡرُ ٱلنَّٰصِرِينَ﴾[آل عمران:١٥٠] وقال تعالى: ﴿وَإِن تَوَلَّوۡاْ فَٱعۡلَمُوٓاْ أَنَّ ٱللَّهَ مَوۡلَىٰكُمۡۚ نِعۡمَ ٱلۡمَوۡلَىٰ وَنِعۡمَ ٱلنَّصِيرُ﴾ [الأنفال:٤٠] وقال تعالى:(قَدۡ فَرَضَ ٱللَّهُ لَكُمۡ تَحِلَّةَ أَيۡمَٰنِكُمۡۚ وَٱللَّهُ مَوۡلَىٰكُمۡۖ وَهُوَ ٱلۡعَلِيمُ ٱلۡحَكِيمُ﴾[التحريم:٢]

. وإذا كان العلماء قد أبانوا عن دلالة ذكر (الرب) في القرآن للدلالة على السيد المالك، فكيف أجابوا عن ذكر (العبد والأمة) في القرآن الكريم للدلالة على المملوك؟

ـ قِيلَ فِي كَرَاهَةِ هَذِهِ الْأَسْمَاءِ هُوَ أَنْ يَقُولَ ذَلِكَ عَلَى طَرِيقِ التَّطَاوُلِ عَلَى الرَّقِيقِ وَالتَّحْقِيرِ لِشَأْنِهِ، وَإِلَّا فَقَدْ جَاءَ بِهِ الْقُرْآنُ. قَالَ اللَّهُ تَعَالَى: ﴿وَٱلصَّٰلِحِينَ مِنۡ عِبَادِكُمۡ وَإِمَآئِكُمۡۚ﴾ [النور: ٣٢] ، وَقَالَ: ﴿عَبۡدٗا مَّمۡلُوكٗا لَّا يَقۡدِرُ عَلَىٰ شَيۡءٖ﴾[النحل: ٧٥] (٣).

ـ وأرجع الطحاوي(ت٣٢١ هـ) هذا التعارض إلى اختلاف القائل،

(١) الوجوه والنظائر لأبي هلال العسكري ص٤٥٦ .
(٢) صحيح مسلم(٤/١٧٦٤/٢٢٤٩) والسنن الكبرى للنسائي (٩/١٠١/١٠٠٠) .
(٣) مرقاة المفاتيح شرح مشكاة المصابيح ٧/٣٠٠١ .

فقال:" فقَالَ قَائِلٌ: كَيْفَ تَقْبَلُونَ هَذَا وَقَدْ جَاءَ كِتَابُ اللهِ تَعَالَى بِإِطْلَاقِ مَا حَظَرَهُ هَذَا الْحَدِيثُ قَالَ اللهُ ﷻ: ﴿ ۞ ضَرَبَ ٱللَّهُ مَثَلًا عَبۡدٗا مَّمۡلُوكٗا لَّا يَقۡدِرُ عَلَىٰ شَيۡءٖ﴾ [النحل: ٧٥] فَذَكَرَهُ بِالْعُبُودِيَّةِ وَالْمِلْكِ وَوَصَفَهُ بِأَنَّهُ لَا يَقْدِرُ عَلَى شَيْءٍ، وَقَالَ اللهُ ﷻ: ﴿وَأَنكِحُواْ ٱلۡأَيَـٰمَىٰ مِنكُمۡ وَٱلصَّـٰلِحِينَ مِنۡ عِبَادِكُمۡ وَإِمَآئِكُمۡۚ﴾ [النور: ٣٢] فَكَانَ جَوَابُنَا لَهُ فِي ذَلِكَ بِتَوْفِيقِ اللهِ ﷻ وَعَوْنِهِ أَنَّا نُصَحِّحُ ذَلِكَ كُلَّهُ وَلَا نَجْعَلُ بَعْضَهُ مُخَالِفًا لِبَعْضٍ , وَنَجْعَلُ مَا فِي قَوْلِهِ ﷻ ﴿وَٱلصَّـٰلِحِينَ مِنۡ عِبَادِكُمۡ وَإِمَآئِكُمۡۚ﴾ [النور: ٣٢] عَلَى النِّسْبَةِ مِنْ غَيْرِهِمْ إِيَّاهُمْ إِلَيْهِمْ , وَنَجْعَلُ الْمَنْهِيَّ عَنْهُ فِي الْآثَارِ الَّتِي رَوَيْنَا عَلَى إِضَافَةِ مَالِكِيهِمْ إِيَّاهُمْ إِلَيْهِمْ وَأَنَّهُمْ عَبِيدُهُمْ وَإِمَاؤُهُمْ إِذْ كَانَ ذَلِكَ يَرْجِعُ إِلَى مَعْنَى اسْتِكْبَارِهِمْ عَلَيْهِمْ وَإِنْ كَانُوا جَمِيعًا لِلَّهِ ﷻ عَبِيدًا، وَقَدْ قَالَ قَائِلٌ: إِنَّ قَوْلَ اللهِ ﷻ ﴿ ۞ ضَرَبَ ٱللَّهُ مَثَلًا عَبۡدٗا مَّمۡلُوكٗا لَّا يَقۡدِرُ عَلَىٰ شَيۡءٖ﴾[النحل: ٧٥] إِنَّمَا هُوَ عَلَى أَنَّهُ ﷻ لَمَّا ذَكَرَ الْعَبْدَ كَانَ ذَلِكَ مِمَّا قَدْ يَكُونُ عَلَى الْعَبْدِ غَيْرِ الْمَمْلُوكِ وَمِمَّا قَدْ يَكُونُ عَلَى الْعَبْدِ الْمَمْلُوكِ , فَأَبَانَ ﷻ الْعَبْدَ الَّذِي أَرَادَهُ بِقَوْلِهِ: ﴿مَّمۡلُوكٗا﴾، لِيُعْلَمَ بِذَلِكَ أَنَّهُ الْعَبْدُ الْمَمْلُوكُ لَا الْعَبْدُ الَّذِي لَيْسَ بِمَمْلُوكٍ(١).

ثم إن لغة القرآن الكريم التعبير بالفتى، قال تعالى: ﴿وَمَن لَّمۡ يَسۡتَطِعۡ مِنكُمۡ طَوۡلًا أَن يَنكِحَ ٱلۡمُحۡصَنَـٰتِ ٱلۡمُؤۡمِنَـٰتِ فَمِن مَّا مَلَكَتۡ أَيۡمَـٰنُكُم مِّن فَتَيَـٰتِكُمُ ٱلۡمُؤۡمِنَـٰتِۚ﴾ [النساء:٢٥] فـ« قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿مِّن فَتَيَـٰتِكُمُ﴾ أَيِ الْمَمْلُوكَاتِ، وَهِيَ جَمْعُ فَتَاةٍ، وَالْعَرَبُ تَقُولُ لِلْمَمْلُوكِ: فَتًى، وَلِلْمَمْلُوكَةِ فَتَاةٌ.... وَلَفْظُ الْفَتَى وَالْفَتَاةِ يُطْلَقُ أَيْضًا عَلَى الْأَحْرَارِ فِي ابْتِدَاءِ الشَّبَابِ، فَأَمَّا فِي الْمَمَالِيكِ فَيُطْلَقُ فِي الشَّبَابِ وَفِي الْكِبَرِ» (٢)، وقال تعالى: ﴿ ۞ وَقَالَ نِسۡوَةٞ فِي ٱلۡمَدِينَةِ

(١) شرح مشكل الآثار ٤/٢٢٩ .
(٢) الجامع لأحكام القرآن ٥/١٣٩ .

ٱمۡرَأَتُ ٱلۡعَزِيزِ تُرَٰوِدُ فَتَىٰهَا﴾ [يوسف:٣٠] أي عبدها(١)، وقال تعالى: ﴿وَقَالَ لِفِتۡيَٰنِهِ ٱجۡعَلُواْ بِضَٰعَتَهُمۡ فِي رِحَالِهِمۡ﴾ [يوسف:٦٢]أي غلمانه(٢)، وقال تعالى: ﴿وَإِذۡ قَالَ مُوسَىٰ لِفَتَىٰهُ لَآ أَبۡرَحُ حَتَّىٰٓ أَبۡلُغَ مَجۡمَعَ ٱلۡبَحۡرَيۡنِ أَوۡ أَمۡضِيَ حُقُبٗا﴾ [الكهف:٦٠]، وقال تعالى: ﴿فَلَمَّا جَاوَزَا قَالَ لِفَتَىٰهُ ءَاتِنَا غَدَآءَنَا لَقَدۡ لَقِينَا مِن سَفَرِنَا هَٰذَا نَصَبٗا﴾[الكهف:٦٢]" اخْتَلَف المفسرون فِي فَتَى مُوسَى - عليه السلام - " فَالْأَكْثَرُونَ عَلَى أَنَّهُ يُوشَعُ بْنُ نُونٍ،... وَالْقَوْلُ الثَّانِي: أَنَّ فَتَى مُوسَى أَخُو يُوشَعَ وَكَانَ صَاحِبًا لِمُوسَى - عليه السلام - فِي هَذَا السَّفَرِ، وَالْقَوْلُ الثَّالِثُ: ... يَعْنِي عَبْدَهُ، قَالَ الْقَفَّالُ: وَاللُّغَةُ تَحْتَمِلُ ذَلِكَ؛ رُوِيَ عَنِ النَّبِيِّ - صلى الله عليه وسلم - أَنَّهُ قَالَ: «لَا يَقُولَنَّ أَحَدُكُمْ عَبْدِي وَأَمَتِي، وَلْيَقُلْ فَتَايَ وَفَتَاتِي»، وَهَذَا يَدُلُّ عَلَى أَنَّهُمْ كَانُوا يُسَمُّونَ الْعَبْدَ فَتًى وَالْأَمَةَ فَتَاةً" (٣).

وإذا كانت هذه لغة القرآن، فما دلالة التعبير بها عن الخادم والمملوك ؟

قال القرطبي(ت٦٧١ هـ) « الْفَتَى فِي كَلَامِ الْعَرَبِ الشَّابُّ، وَلَمَّا كَانَ الْخَدَمَةُ أَكْثَرَ مَا يَكُونُونَ فِتْيَانًا قِيلَ لِلْخَادِمِ: فَتًى عَلَى جِهَةِ حُسْنِ الْأَدَبِ، وَنَدَبَتِ الشَّرِيعَةُ إِلَى ذَلِكَ فِي قَوْلِ النَّبِيِّ - صلى الله عليه وسلم -: (لَا يَقُلْ أَحَدُكُمْ عَبْدِي وَلَا أَمَتِي وَلْيَقُلْ فَتَايَ وَفَتَاتِي) فَهَذَا نَدْبٌ إِلَى التَّوَاضُعِ» (٤).

وقال ابن عاشور(ت١٣٩٣ هـ):" الْفَتَى: مَنْ كَانَ فِي مَبْدَأِ الشَّبَابِ، وَمُؤَنَّثُهُ فَتَاةٌ، وَيُطْلَقُ عَلَى الْخَادِمِ تَلَطُّفًا، لِأَنَّهُمْ كَانُوا يَسْتَخِفُّونَ بِالشَّبَابِ فِي

(١) نظم الدرر ٧١/١٠ .
(٢) السابق ١٥١/١٠ .
(٣) مفاتيح الغيب ٤٧٨/٢١ .
(٤) الجامع لأحكام القرآن ١١/١١ .

الْخِدْمَةِ، وَكَانُوا أَكْثَرَ مَا يَسْتَخْدِمُونَ الْعَبِيدَ"(١).

واستعمال الفتى في التابع والخادم استعمال مجازي، قال الفيومي(نحو ٧٧٠ هـ):" وَالْفَتَى الْعَبْدُ، وَجَمْعُهُ فِي الْقِلَّةِ فِتْيَةٌ، وَفِي الْكَثْرَةِ فِتْيَانٌ، وَالْأَمَةُ فَتَاةٌ وَجَمْعُهَا فَتَيَاتٌ، وَالْأَصْلُ فِيهِ أَنْ يُقَالَ لِلشَّابِّ الْحَدَثِ فَتًى، ثُمَّ اُسْتُعِيرَ لِلْعَبْدِ وَإِنْ كَانَ شَيْخًا مَجَازًا تَسْمِيَةً بِاسْمِ مَا كَانَ عَلَيْهِ" (٢)، فالعرب تسمي الْمَمْلُوكَ شَابًّا كَانَ أَو شَيخا فَتى(٣).

ونعود إلى السؤال الأول: ما دلالة العدول عن هذه الألفاظ إلى غيرها؟

١ ـ قيلَ: إِنَّ قَوْلَ الرَّجُلِ عَبْدِي وَأَمَتِي يَجْمَعُ مَعْنَيَيْنِ:

أَحَدُهُمَا- أَنَّ الْعُبُودِيَّةَ بِالْحَقِيقَةِ إِنَّمَا هِيَ لِلَّهِ تعالَى، فَفِي قَوْلِ الْوَاحِدِ مِنَ النَّاسِ لِمَمْلُوكِهِ عَبْدِي وَأَمَتِي تَعْظِيمٌ عَلَيْهِ، وَإِضَافَةٌ لَهُ إِلَى نَفْسِهِ بِمَا أَضَافَهُ اللَّهُ تَعَالَى بِهِ إِلَى نَفْسِهِ، وَذَلِكَ غَيْرُ جَائِزٍ.

وَالثَّانِي- أَنَّ الْمَمْلُوكَ يَدْخُلُهُ من ذلك شيء فِي اسْتِصْغَارِهِ بِتِلْكَ التَّسْمِيَةِ، فَيَحْمِلُهُ ذَلِكَ عَلَى سُوءِ الطَّاعَةِ (٤).

٢ ـ وَفِي التَّعْبِيرِ عَنْهُنَّ بِهَذَا اللَّقَبِ إِرْشَادٌ إِلَى تَكْرِيمِهِنَّ ; فَإِنَّ الْفَتَاةَ تُطْلَقُ عَلَى الشَّابَّةِ وَعَلَى الْكَرِيمَةِ السَّخِيَّةِ كَأَنَّهُ يَقُولُ: لَا تُعَبِّرُوا عَنْ عَبِيدِكُمْ وَإِمَائِكُمْ بِالْأَلْفَاظِ الدَّالَّةِ عَلَى الْمَلْكِ، بَلْ بِلَفْظِ الْفَتَى وَالْفَتَاةِ الْمُشْعِرِ بِالتَّكْرِيمِ، ... وَفِيهِ إِيمَاءٌ أَيْضًا إِلَى زِيَادَةِ تَكْرِيمِ الْأَرِقَّاءِ إِذَا كَبِرُوا فِي السِّنِّ بِتَقْلِيلِ الْخِدْمَةِ عَنهم، أَوْ إِسْقَاطِهَا (٥).

---

(١) التحرير والتنوير ١٣/١٤ .

(٢) المصباح المنير للفيومي(ف ت ي) ٤٦٢/٢ والتحرير والتنوير ٣٥٩/١٥ ..

(٣) الكليات ص٧٠٠ .

(٤) الجامع لأحكام القرآن ١٩٤/٩ .

(٥) تفسير المنار ١٥/٥ .

٣ ـ والْمَعْنَى فِي ذَلِكَ كُلِّه رَاجِعٌ إِلَى الْبَرَاءَة مِنَ الْكِبْرِ وَالْتِزَام الذُّلّ وَالْخُضُوعِ لِلَّهِ ﷻ وهُوَ الَّذِي يَلِيق بِالْمَرْبُوبِ،" فأرشد ﷺ إِلَى مَا يُؤَدِّي الْمَعْنَى مَعَ السَّلَامَة مِنَ التعاظم لأَن لفظ الفَتِي وَالْغُلَام لَيْسَ دَالًّا عَلَى مَحْضِ الْمِلْك كَدَلَالَة الْعَبْد فَقَدْ كَثُرَ اسْتِعْمَالُ الْفَتَى فِي الْحُرّ وَكَذَلِكَ الْغُلَامُ وَالْجَارِيَةُ" (١)،فَلَمْ يَحْسُنْ لأَحَد أَنْ يَقُولَ: فُلَانٌ عَبْدِي، بَلْ يَقُولُ: فَتَايَ، وَإِنْ كَانَ قَدْ مَلَكَ فَتَاهُ ابْتِلَاءً وَامْتِحَانًا مِنَ اللَّهِ بِخَلْقِه، كَمَا قَالَ تَعَالَى: ﴿ وَجَعَلْنَا بَعْضَكُمْ لِبَعْضٍ فِتْنَةً أَتَصْبِرُونَ ﴾ [الفرقان: ٢٠] ، عَلَى هَذَا امْتِحَانُ اللَّهِ تَعَالَى لأَنْبِيَائِه وَأَوْلِيَائِه ابْتُلِيَ يُوسُفُ ﷺ بِالرِّقّ (٢).

٤ ـ النهي عَنِ التَّطَاوُلِ فِي اللَّفْظِ كَمَا نَهَى عَنِ التَّطَاوُلِ فِي الْأَفْعَالِ، ولذا قال ـ ﷺ ـ « كُلُّكُمْ عَبِيدُ اللهِ »(٣).

****

(١) فتح الباري ١٧٩/٥ .
(٢) مرقاة المفاتيح شرح مشكاة المصابيح ٣٠٠١/٧ .
(٣) صحيح مسلم (٢٢٤٩/١٧٦٤/٤) .

الحديث السابع: تَسْمِيَةُ الْعِشَاءِ بِالْعَتَمَةِ

عَنْ سَيَّارِ بْنِ سَلَامَةَ، قَالَ: دَخَلْتُ أَنَا وَأَبِي عَلَى أَبِي بَرْزَةَ الْأَسْلَمِيِّ، فَقَالَ لَهُ أَبِي: كَيْفَ كَانَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ يُصَلِّي الْمَكْتُوبَةَ؟ فَقَالَ: «كَانَ يُصَلِّي الْهَجِيرَ(١)، الَّتِي تَدْعُونَهَا الْأُولَى، حِينَ تَدْحَضُ الشَّمْسُ، وَيُصَلِّي الْعَصْرَ، ثُمَّ يَرْجِعُ أَحَدُنَا إِلَى رَحْلِهِ فِي أَقْصَى الْمَدِينَةِ، وَالشَّمْسُ حَيَّةٌ - وَنَسِيتُ مَا قَالَ فِي الْمَغْرِبِ - وَكَانَ يَسْتَحِبُّ أَنْ يُؤَخِّرَ الْعِشَاءَ، الَّتِي تَدْعُونَهَا الْعَتَمَةَ، وَكَانَ يَكْرَهُ النَّوْمَ قَبْلَهَا، وَالْحَدِيثَ بَعْدَهَا، وَكَانَ يَنْفَتِلُ مِنْ صَلَاةِ الْغَدَاةِ حِينَ يَعْرِفُ الرَّجُلُ جَلِيسَهُ، وَيَقْرَأُ بِالسِّتِّينَ إِلَى الْمِائَةِ»(٢).

وقوله «**الَّتِي تَدْعُونَهَا الْعَتَمَةَ**» فيه إشارةٌ إلى تَرْكِ تَسْمِيَتِهَا بِذَلِكَ(٣)، وَكَانَ ابن عُمَرَ - رضي الله عنهما - إِذَا سَمِعَهُمْ يَقُولُونَ الْعَتَمَةَ، صَاحَ وَغَضِبَ(٤).

وعن ابْنِ عُمَرَ - رضي الله عنهما - عَنِ النَّبِيِّ ﷺ، قَالَ: «**لَا تَغْلِبَنَّكُمُ الْأَعْرَابُ عَلَى اسْمِ صَلَاتِكُمْ، أَلَا وَإِنَّهَا الْعِشَاءُ، وَلَكِنَّهُمْ يَعْتِمُونَ بِالْإِبِلِ**»(٥).

أي: لَا تُسَمُّوا صَلَاةَ الْعِشَاءِ الْعَتَمَةَ، كَمَا يُسَمِّيهَا الْأَعْرَابُ، كَانُوا يَحْلِبُونَ إِبِلَهُمْ إِذَا أَعْتَمُوا، وَلَكِنْ سَمُّوهَا كَمَا سَمَّاهَا اللَّهُ تَعَالَى، وَفِيهِ النَّهْيُ عَنِ الِاقْتِدَاءِ بِهِمْ فِيمَا يُخَالِفُ السُّنَّةَ، أَوْ أَرَادَ لَا يَغُرَّنَّكُمْ فِعْلُهُمْ هَذَا، فَتُؤَخِّرُوا صَلَاتَكُمْ، وَلَكِنْ صَلُّوهَا إِذَا حَانَ وَقْتُهَا(٦).

وظاهر الحديثين الشريفين النهي عن تسمية العشاء بالعتمة، وقبل

(١) صَلاةُ الهَجير، كأَمير: صلاةُ الظُّهر (تاج العروس: ه ج ر) ١٤/٤١٠.
(٢) مشكاة المصابيح (١/١٨٨/٥٨٧) وصحيح البخاري (١/١١٤/٥٤٧).
(٣) فتح الباري ٢/٢٧.
(٤) السابق ٢/٤٥.
(٥) سنن أبي داود (٤/٢٩٦/٤٩٨٤).
(٦) تاج العروس (ع ت م) ٣٣/٤٩.

الحديث عن دلالة هذا الأدب اللفظي يحسن أن أشير إلى أمرين:

الأول: ـ الدلالة المعجمية للفظين، فـ" الْعَيْنُ وَالتَّاءُ وَالْمِيمُ أَصْلٌ صَحِيحٌ يَدُلُّ عَلَى إِبْطَاءٍ فِي الشَّيْءِ أَوْ كَفٍّ عَنْهُ" (١)، وعَتَمَتِ الإِبلُ تَعْتِمُ وتَعْتَمُ وأَعْتَمَتْ واستعتمت: حُلِبَتْ عِشاءً وهُوَ مِنَ الإِبْطاء والتَّأَخُّرِ، ... والعَتَمَةُ: ثلثُ الليلِ الأَولُ بَعْدَ غَيْبوبةِ الشَّفَقِ، وأَعْتَمَ الرجلُ: صَارَ فِي ذَلِكَ الْوَقْتِ .... وَقِيلَ: العَتَمَةُ وقتُ صلاةِ الْعِشَاءِ الأَخيرةِ، سُمِّيَتْ بِذَلِكَ لاسْتِعْتامِ نَعَمِها، وَقِيلَ: لِتَأَخُّرِ وقتِها، وقالَ ابْنُ الأَعرابي: عَتَمَ الليلُ وأَعْتَمَ إِذَا مَرَّ قِطْعَةٌ مِنَ اللَّيْلِ، وَقَالَ: إِذَا ذَهب النهارُ وَجَاءَ اللَّيْلُ فَقَدْ جَنَحَ الليلُ (٢).

و" الْعَيْنُ وَالشِّينُ وَالْحَرْفُ الْمُعْتَلُّ أَصْلٌ صَحِيحٌ يَدُلُّ عَلَى ظَلَامٍ وَقِلَّةِ وُضُوحٍ فِي الشَّيْءِ، ثُمَّ يُفَرَّعُ مِنْهُ مَا يُقَارِبُهُ، مِنْ ذَلِكَ الْعِشَاءُ، وهو أول ظَلَامِ اللَّيْلِ (٣)، و" الْعَشِيُّ قِيلَ: مَا بَيْنَ الزَّوَالِ إِلَى الْغُرُوبِ ، وَمِنْهُ يُقَالُ لِلظُّهْرِ وَالْعَصْرِ صَلَاتَا الْعَشِيِّ، وَقِيلَ هُوَ آخِرُ النَّهَارِ، وَقِيلَ الْعَشِيُّ مِنَ الزَّوَالِ إِلَى الصَّبَاحِ، وَقِيلَ الْعَشِيُّ وَالْعِشَاءُ مِنْ صَلَاةِ الْمَغْرِبِ إِلَى الْعَتَمَةِ، وَعَلَيْهِ قَوْلُ ابْنِ فَارِسٍ الْعِشَاءَانِ الْمَغْرِبُ وَالْعَتَمَةُ .... وَالْعِشَاءُ بِالْكَسْرِ وَالْمَدِّ أَوَّلُ ظَلَامِ اللَّيْلِ" (٤).

وهكذا تحمل الدلالة المعجمية للفظ (العتمة) معنى الإبطاء والتأخير، عكس لفظ العشاء فإنه يحمل معنى الأولية، وهذا ما يتفق مع نداء الشريعة الغراء بالصلاة لأول الوقت والنهي عن تأخيرها.

تحمل الدلالة المعجمية للفظ (العتمة) معنى الكف عن الشيء، وهو

(١) مقاييس اللغة (ع ت م) ٢٢٤/٤.
(٢) لسان العرب (ع ت م).
(٣) مقاييس اللغة (ع ش و) ٣٢٢/٤.
(٤) المصباح المنير (ع ش و) ٤١٢/٢.

معنى غير وارد في لفظ العشاء، فشأن المصلين أنهم ﴿عَلَىٰ صَلَاتِهِمْ دَآئِمُونَ﴾ [المعارج:٢٣] و﴿عَلَىٰ صَلَاتِهِمْ يُحَافِظُونَ﴾ [المعارج:٣٤].

ثانيا: وردت أحاديث نبوية صحيحة ظاهرها التعارض مع الحديثين محل البحث، منها ما روي عَنْ عَاصِمِ بْنِ حُمَيْدٍ السَّكُونِيِّ، أَنَّهُ سَمِعَ مُعَاذَ بْنَ جَبَلٍ، يَقُولُ: أَبْقَيْنَا النَّبِيَّ ﷺ فِي صَلاَةِ الْعَتَمَةِ فَأَخَّرَ حَتَّى ظَنَّ الظَّانُّ أَنَّهُ لَيْسَ بِخَارِجٍ وَالْقَائِلُ مِنَّا يَقُولُ: صَلَّى، فَإِنَّا لَكَذَلِكَ حَتَّى خَرَجَ النَّبِيُّ ﷺ، فَقَالُوا لَهُ كَمَا قَالُوا، فَقَالَ لَهُمْ: «أَعْتِمُوا بِهَذِهِ الصَّلاَةِ، فَإِنَّكُمْ قَدْ فُضِّلْتُمْ بِهَا عَلَى سَائِرِ الْأُمَمِ، وَلَمْ تُصَلِّهَا أُمَّةٌ قَبْلَكُمْ»(١)، وليْسَ فِي هَذَا الْحَدِيثِ تَسْمِيَةُ رَسُولِ اللهِ ﷺ إِيَّاهَا الْعَتَمَةَ، وَإِنَّمَا الَّذِي فِيهِ أَمْرُهُ إِيَّاهُمْ بِالْعَتَمِ بِهَا، أَيْ: بِالتَّأَخُّرِ بِهَا، وَإِنْ كَانَ اسْمُهَا هُوَ الْعِشَاءَ لَا الْعَتَمَةَ كَمَا تَقُولُ: أَمْسَيْتُ بِصَلَاةِ الْعَصْرِ، لَا لِأَنَّ الْمَسَاءَ اسْمٌ لَهَا وَلَكِنْ إِخْبَارٌ مِنْكَ أَنَّكَ أَمْسَيْتَ بِهَا، وَاسْمُهَا غَيْرُ مُشْتَقٍّ مِنَ الْمَسَاءِ بِهَا(٢).

ومنها: عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ: أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ قَالَ: «لَوْ يَعْلَمُ النَّاسُ مَا فِي النِّدَاءِ وَالصَّفِّ الْأَوَّلِ، ثُمَّ لَمْ يَجِدُوا إِلَّا أَنْ يَسْتَهِمُوا عَلَيْهِ لَاسْتَهَمُوا، وَلَوْ يَعْلَمُونَ مَا فِي التَّهْجِيرِ لَاسْتَبَقُوا إِلَيْهِ، وَلَوْ يَعْلَمُونَ مَا فِي الْعَتَمَةِ وَالصُّبْحِ، لَأَتَوْهُمَا وَلَوْ حَبْوًا»(٣).

ففِي هَذَا الْحَدِيثِ تَسْمِيَةُ الْعِشَاءِ عَتَمَةً وَقَدْ ثَبَتَ النَّهْيُ عَنْهُ ، وللعلماء أجوبة عن هذا الإشكال على النحو الآتي:

الأول: يرجع إلى السياق الفقهي، وذلك أَنَّ هَذِهِ التَّسْمِيَةَ بَيَانٌ لِلْجَوَازِ، وَأَنَّ ذَلِكَ النَّهْيُ لَيْسَ لِلتَّحْرِيمِ، قال القرطبي(ت٦٧١ هـ):" وَقَدْ

---

(١) سنن أبي داود(١/١١٤/٤٢١).

(٢) شرح مشكل الآثار (٣/٢٧/٩٩٢).

(٣) صحيح البخاري (١/١٢٦/٦١٥).

قِيلَ: إِنَّ هَذَا النَّهْيَ عَنِ اتِّبَاعِ الْأَعْرَابِ فِي تَسْمِيَتِهِمُ الْعِشَاءَ عَتَمَةً، إِنَّمَا كَانَ لِئَلَّا يُعْدَلَ بِهَا عَمَّا سَمَّاهَا اللَّهُ تَعَالَى فِي كِتَابِهِ إِذْ قَالَ: ﴿وَمِنۢ بَعۡدِ صَلَوٰةِ ٱلۡعِشَآءِۚ﴾ [النور:٥٨]، فَكَأَنَّهُ نَهْيُ إِرْشَادٍ إِلَى مَا هُوَ الْأَوْلَى، وَلَيْسَ عَلَى جِهَةِ التحريم، وعلى أَنَّ تَسْمِيَتَهَا الْعَتَمَةَ لَا يَجُوزُ، أَلَا تَرَى أَنَّهُ قَدْ ثَبَتَ أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ قَدْ أَطْلَقَ عَلَيْهَا ذَلِكَ، وَقَدْ أَبَاحَ تَسْمِيَتَهَا بِذَلِكَ أَبُو بَكْرٍ وَعُمَرُ رضي الله عنهما"(١).

وَالثَّانِي: يرجع إلى سياق الحال، وذلك:" أَنَّ اسْتِعْمَالَ الْعَتَمَةِ هُنَا لِمَصْلَحَةٍ وَنَفْيِ مَفْسَدَةٍ؛ لِأَنَّ الْعَرَبَ كَانَتْ تَسْتَعْمِلُ لَفْظَةَ الْعِشَاءِ فِي الْمَغْرِبِ، فَلَوْ قَالَ لَوْ يَعْلَمُونَ مَا فِي الْعِشَاءِ وَالصُّبْحِ لَحَمَلُوهَا عَلَى الْمَغْرِبِ فَفَسَدَ الْمَعْنَى وَفَاتَ الْمَطْلُوبُ، فَاسْتَعْمَلَ الْعَتَمَةَ الَّتِي يَعْرِفُونَهَا وَلَا يَشُكُّونَ فِيهَا، وَقَوَاعِدُ الشَّرْعِ مُتَظَاهِرَةٌ عَلَى احْتِمَالِ أَخَفِّ الْمَفْسَدَتَيْنِ لِدَفْعِ أَعْظَمِهِمَا"(٢).

الثالث: يرجع إلى السياق الزمني، قال ابن العربي(ت٥٤٣ هـ):" وَهَذِهِ أَخْبَارٌ مُتَعَارِضَةٌ لَا يُعْلَمُ مِنْهَا الْأَوَّلُ مِنَ الآخِرِ بِالتَّارِيخِ، لَكِنَّ كُلَّ حَدِيثٍ بِذَاتِهِ يُبَيِّنُ وَقْتَهُ، وَذَلِكَ أَنَّ النَّهْيَ مِنَ النَّبِيِّ ﷺ عَنْ تَسْمِيَةِ صَلَاةِ الْمَغْرِبِ عِشَاءً، وَعَنْ تَسْمِيَةِ صَلَاةِ الْعِشَاءِ عَتَمَةً ثَابِتٌ؛ فَلَا مَرَدَّ لَهُ مِنْ أَقْوَالِ الصَّحَابَةِ فَضْلًا عَمَّنْ عَدَاهُمْ. وَقَدْ كَانَ ابْنُ عُمَرَ - رضي الله عنهما - يَقُولُ: مَنْ قَالَ صَلَاةُ الْعَتَمَةِ فَقَدْ أَثِمَ (٣).

وَعَنْ عَائِشَةَ رضي الله عنها، قَالَتْ: أَعْتَمَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ بِالعَتَمَةِ، حَتَّى نَادَاهُ عُمَرُ: نَامَ النِّسَاءُ وَالصِّبْيَانُ، فَخَرَجَ النَّبِيُّ ﷺ فَقَالَ: «مَا يَنْتَظِرُهَا أَحَدٌ غَيْرُكُمْ مِنْ أَهْلِ الأَرْضِ» وَلاَ يُصَلَّى يَوْمَئِذٍ إِلَّا بِالْمَدِينَةِ، وَكَانُوا يُصَلُّونَ العَتَمَةَ فِيمَا بَيْنَ

(١) الجامع لأحكام القرآن ٣٠٧/١٢.
(٢) شرح النووي على مسلم ١٥٨/٤.
(٣) أحكام القرآن لابن العربي ٣٥١/٣.

أَنْ يَغِيبَ الشَّفَقُ إِلَى ثُلُثِ اللَّيْلِ الأَوَّلِ(١).

قال الملا علي القاري(ت١٠١٤ هـ):" وَلَعَلَّ قَوْلَهَا الْعَتَمَةَ لِلْعِشَاءِ قَبْلَ وُرُودِ النَّهْيِ عَنْ تَسْمِيَتِهِ بِذَلِكَ ، أَوْ قَبْلَ وُصُولِهِ إِلَيْهَا وَهُوَ الْأَظْهَرُ "(٢).

الرابع: يرجع إلى السياق الديني، وذلك" إِنَّمَا نَهَى عَنْ ذَلِكَ تَنْزِيهًا لِهَذِهِ الْعِبَادَةِ الشَّرِيفَةِ الدِّينِيَّةِ عَنْ أَنْ يُطْلَقَ عَلَيْهَا مَا هُوَ اسْمٌ لِفِعْلَةٍ دُنْيَوِيَّةٍ، وَهِيَ الْحِلْبَةُ الَّتِي كَانُوا يَحْتَلِبُونَهَا فِي ذَلِكَ الْوَقْتِ وَيُسَمُّونَهَا الْعَتَمَةَ، وَيَشْهَدُ لِهَذَا قَوْلُهُ: (**فَإِنَّهَا تُعْتِمُ بِحِلَابِ الْإِبِلِ**)" (٣)، وَذَكَرَ بَعْضُهُمْ أَنَّ تِلْكَ الْحِلْبَةَ إِنَّمَا كَانُوا يَعْتَمِدُونَهَا فِي زَمَانِ الْجَدْبِ خَوْفًا مِنَ السُّؤَالِ وَالصَّعَالِيكِ، فَعَلَى هَذَا فَهِيَ فِعْلَةٌ دُنْيَوِيَّةٌ مَكْرُوهَةٌ لَا تُطْلَقُ عَلَى فِعْلَةٍ دِينِيَّةٍ مَحْبُوبَةٍ (٤).

قال ابن الأثير(ت٦٠٦ هـ):" وكانَت الأَعْرَاب يُسَمُّون صَلاةَ الْعِشَاءِ صَلَاةَ العَتَمَة، تَسْمِيةً بالوَقْت، فنَهاهُم عَنِ الاقْتداءِ بِهِمْ، واستحَبَّ لَهُمُ التّمسُّكَ بالاسْمِ النَّاطِقِ بِهِ لسانُ الشَّرِيعة" (٥).

الخامس: يرجع إلى السياق التداولي، حيث" يَحْتَمِلُ أَنَّهُ خُوطِبَ بِالْعَتَمَةِ مَنْ لَا يَعْرِفُ الْعِشَاءَ فَخُوطِبَ بِمَا يَعْرِفُهُ وَاسْتَعْمَلَ لَفْظَ الْعَتَمَةِ، لِأَنَّهُ أَشْهَرُ عِنْدَ الْعَرَبِ"(٦).

السادس: أقول : إن السياق القرآني لمادة (ع ش و) يتقارب مع الدلالة الزمنية لوقت العشاء المعهود، فـ " زمن العشي ينتهي عند العتمة، أخذا من مقابلته بالبُكرة وما بمعناها: ﴿وَسَبِّحْ بِٱلْعَشِيِّ وَٱلْإِبْكَٰرِ﴾ [آل

(١) صحيح البخاري(١/١٧٢/٨٦٤).
(٢) مرقاة المفاتيح شرح مشكاة المصابيح ٢/٥٣٠.
(٣) الجامع لأحكام القرآن ١٢/٣٠٧.
(٤) فتح الباري ٢/٤٥.
(٥) النهاية في غريب الحديث والأثر ٣/١٨.
(٦) شرح النووي على مسلم ٥/١٤٣.

عمران:٤١] ﴿لَمْ يَلْبَثُوٓاْ إِلَّا عَشِيَّةً أَوْ ضُحَىٰهَا﴾ [النازعات:٤٦] "(١)، ﴿وَلَا تَطْرُدِ ٱلَّذِينَ يَدْعُونَ رَبَّهُم بِٱلْغَدَوٰةِ وَٱلْعَشِيِّ يُرِيدُونَ وَجْهَهُۥ﴾ [الأنعام:٥٢] ﴿وَٱصْبِرْ نَفْسَكَ مَعَ ٱلَّذِينَ يَدْعُونَ رَبَّهُم بِٱلْغَدَوٰةِ وَٱلْعَشِيِّ يُرِيدُونَ وَجْهَهُۥ﴾ [الكهف:٢٨] ﴿فَخَرَجَ عَلَىٰ قَوْمِهِۦ مِنَ ٱلْمِحْرَابِ فَأَوْحَىٰٓ إِلَيْهِمْ أَن سَبِّحُواْ بُكْرَةً وَعَشِيًّا﴾ [مريم:١١] ﴿لَّا يَسْمَعُونَ فِيهَا لَغْوًا إِلَّا سَلَٰمًا ۖ وَلَهُمْ رِزْقُهُمْ فِيهَا بُكْرَةً وَعَشِيًّا﴾ [مريم:٦٢] ﴿وَلَهُ ٱلْحَمْدُ فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَعَشِيًّا وَحِينَ تُظْهِرُونَ﴾ [الروم:١٨] ﴿إِنَّا سَخَّرْنَا ٱلْجِبَالَ مَعَهُۥ يُسَبِّحْنَ بِٱلْعَشِيِّ وَٱلْإِشْرَاقِ﴾ [ص:١٨] ﴿إِذْ عُرِضَ عَلَيْهِ بِٱلْعَشِيِّ ٱلصَّٰفِنَٰتُ ٱلْجِيَادُ﴾ [ص:٣١] ﴿ٱلنَّارُ يُعْرَضُونَ عَلَيْهَا غُدُوًّا وَعَشِيًّا ۚ﴾ [غافر:٤٦] ﴿وَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ بِٱلْعَشِيِّ وَٱلْإِبْكَٰرِ﴾ [غافر:٥٥]، ويقول ابن عاشور(ت١٣٩٣ هـ) عند تفسير قوله تعالى: ﴿وَجَآءُوٓ أَبَاهُمْ عِشَآءً يَبْكُونَ﴾ [يوسف:١٦]: " الْعِشَاءُ: وَقْتُ غَيْبُوبَةِ الشَّفَقِ الْبَاقِي مِنْ بَقَايَا شُعَاعِ الشَّمْسِ بَعْدَ غُرُوبِهَا"(٢).

كما أن هذا الحديث روي عن أبي هريرة - ﷺ - أيضا في الصحيحين برواية العشاء لا العتمة، فعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ، قَالَ: قَالَ النَّبِيُّ ﷺ: «لَيْسَ صَلاَةٌ أَثْقَلَ عَلَى المُنَافِقِينَ مِنَ الفَجْرِ وَالعِشَاءِ، وَلَوْ يَعْلَمُونَ مَا فِيهِمَا لَأَتَوْهُمَا وَلَوْ حَبْوًا، لَقَدْ هَمَمْتُ أَنْ آمُرَ المُؤَذِّنَ، فَيُقِيمَ، ثُمَّ آمُرَ رَجُلًا يَؤُمُّ النَّاسَ، ثُمَّ آخُذَ شُعَلًا مِنْ نَارٍ، فَأُحَرِّقَ عَلَى مَنْ لاَ يَخْرُجُ إِلَى الصَّلاَةِ بَعْدُ»(٣).

دلالات الأدب اللفظي في هذا الحديث:

إن هذا النهي النبوي عن تسمية العشاء بالعتمة يحمل دلالات لغوية تتمثل في الآتي:

---

(١) المعجم الاشتقاقي المؤصل لألفاظ القرآن الكريم: محمد حسن جبل ١٨٤/٢.

(٢) التحرير والتنوير٢٣٦/١٢.

(٣) صحيح البخاري (٦٥٧/١٣٢/١) وصحيح مسلم (٦٥١/٤٥١/١).

أولا: أن هذا الاسم الذي عُدل إليه موافق للفظ القرآن الكريم، قال تعالى: ﴿وَمِنۢ بَعۡدِ صَلَوٰةِ ٱلۡعِشَآءِۚ﴾[النور:٥٨]، فالأولى التّمسُّكَ بالاسْم النَّاطق به لسانُ الشَّرِيعة، قَالَ مَالِكٌ(ت١٧٩ هـ): فَاللَّهُ سَمَّاهَا صَلَاةَ الْعِشَاءِ، فَأَحَبَّ النَّبِيُّ ﷺ أَنْ تُسَمَّى بِمَا سَمَّاهَا بِهِ اللَّهُ، وَيُعَلِّمُهَا الْإِنْسَانُ أَهْلَهُ وَوَلَدَهُ، وَلَا يَقُلْ عَتَمَةً إِلَّا عِنْدَ خِطَابِ مَنْ لَا يَفْهَمُ (١).

وقال الأزهري(ت٣٧٠ هـ):" مَعْنَاهُ: لا تسمّوها صَلَاة العَتَمة، فَإِن الْأَعْرَاب الَّذين يَحْلبون إبلهم إِذا أعْتمُوا أَي دخلُوا فِي وَقت العَتَمة، سَمَّوها صَلَاة الْعَتَمَة، وسمَّاها الله فِي كِتَابه صَلَاة العشاء، فسمُّوها كَمَا سمّاها الله، لَا كَمَا سمّاها الْأَعْرَاب"(٢)، وَيَتَرَجَّحُ أَيْضًا بِأَنَّهُ أَكْثَرُ مَا وَرَدَ عَنِ النَّبِيِّ ﷺ(٣).

ثانيا: الدلالة المعجمية لاسم العشاء" يُشْعِرُ بِأَوَّلِ وَقْتِهَا، بِخِلَافِ تَسْمِيَتِهَا عَتَمَةً لِأَنَّهُ يُشْعِرُ بِخِلَافِ ذَلِكَ " (٤)، وهذا ما يتسق مع لسان الشريعة الغراء، فعَنْ أُمِّ فَرْوَةَ، قَالَتْ: سُئِلَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ أَيُّ الْأَعْمَالِ أَفْضَلُ؟ قَالَ: «**الصَّلَاةُ فِي أَوَّلِ وَقْتِهَا**»(٥).

ثالثا: الائتلاف اللغوي بين أسماء الصلوات الخمس: وذلك أَنَّ اسم العشاء أُخِذَ مِنَ الظُّلْمَةِ الَّتِي تَعْشِي الْأَبْصَارَ، وَرُدَّ اسْمُ هَذِهِ الصَّلَاةِ إِلَى مِثْلِ أَسْمَاءِ الصَّلَوَاتِ الْخَمْسِ سِوَاهَا، لِأَنَّ الصُّبْحَ سُمِّيَتْ بِالصُّبْحِ لِأَنَّهَا تُصَلَّى عِنْدَ الْإِصْبَاحِ، وَسُمِّيَتْ صَلَاةُ الْفَجْرِ صَلَاةَ الْفَجْرِ لِأَنَّهَا تُصَلَّى بِقُرْبِ الْفَجْرِ، وَسُمِّيَتْ صَلَاةُ الظُّهْرِ صَلَاةَ الظُّهْرِ لِأَنَّهَا تُصَلَّى عِنْدَ الظَّهِيرَةِ، وَسُمِّيَتْ صَلَاةُ

(١) أحكام القرآن لابن العربي ٣٥١/٣.
(٢) تهذيب اللغة(ع ت م) ١٧١/٢.
(٣) فتح الباري ٤٥/٢.
(٤) السابق ٤٥/٢.
(٥) حديث صحيح في سنن أبي داود.

الْعَصْرِ صَلَاةَ الْعَصْرِ لأَنَّهَا تُصَلَّى بَعْدَ الْإِعْصَارِ وَهُوَ التَّأَخُّرُ، وَكَذَلِكَ رُوِيَ عَنْ أَبِي قِلَابَةَ ... " إِنَّمَا سُمِّيَتِ الْعَصْرَ لتُعْصَرَ "(١) ... وَمِنْهُ قَوْلُ الْعَرَبِ: عَصَرَنِي فُلَانٌ حَقِّي، إِذَا أَخَّرَهُ عَنْ وَقْتِ أَدَائِهِ إِلَيْهِ، وَمِنْهُ ما روي عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ فَضَالَةَ، عَنْ أَبِيهِ، قَالَ: عَلَّمَنِي رَسُولُ اللَّهِ ﷺ فَكَانَ فِيمَا عَلَّمَنِي «وَحَافِظْ عَلَى الصَّلَوَاتِ الْخَمْسِ»، قَالَ: قُلْتُ: إِنَّ هَذِهِ سَاعَاتٌ لِي فِيهَا أَشْغَالٌ فَمُرْنِي بِأَمْرٍ جَامِعٍ إِذَا أَنَا فَعَلْتُهُ أَجْزَأَ عَنِّي، فَقَالَ: «حَافِظْ عَلَى الْعَصْرَيْنِ» وَمَا كَانَتْ مِنْ لُغَتِنَا، فَقُلْتُ: وَمَا الْعَصْرَانِ؟، فَقَالَ: «صَلَاةُ قَبْلَ طُلُوعِ الشَّمْسِ، وَصَلَاةٌ قَبْلَ غُرُوبِهَا»(٢)... وَسُمِّيَتْ صَلَاةُ الْمَغْرِبِ صَلَاةَ الْمَغْرِبِ؛ لأَنَّهَا تُصَلَّى بِعَقِبِ غُرُوبِ الشَّمْسِ، فَمِثْلُ ذَلِكَ أَيْضًا الصَّلَاةُ الَّتِي تَتْلُوهَا سُمِّيَتْ صَلَاةَ الْعِشَاءِ، لأَنَّهَا تُصَلَّى بَعْدَ أَنْ تَعْشَى الْأَبْصَارُ بِالظَّلَامِ الطَّارِئِ عَلَيْهَا فَائْتُلِفَتْ أَسْمَاءُ الصَّلَوَاتِ الْخَمْسِ أَنَّهَا لِأَوْقَاتِهَا الَّتِي تُصَلَّى فِيهَا(٣).

(١) غريب الحديث لابن قتيبة (١/١٨١) وفيه: أخذ هَذَا الْمَعْنى من لفظ اسْمهَا وَإِنَّمَا سميت عصرا باسم الْوَقْت.

(٢) سنن أبي داود (١/١١٦/٤٢٨).

(٣) شرح مشكل الآثار (٣/٢٧/٩٩٢).

الخاتمة

وبعد هذه الدراسة الدلالية في سبعة أحاديث من سنة خير البرية، يمكن للبحث أن يضع بين يدي القارئ الكريم أهم الحقائق والنتائج التي توصل إليها:

• تَحْسِين اللَّفْظِ بَابٌ عَظِيمٌ، عُنِي بِهِ الْأَكَابِرُ وَالْعُلَمَاءُ، وَلَهُ شَوَاهِدُ كَثِيرَةٌ فِي السُّنَّةِ وَهُوَ مِنْ خَاصِّيَّةِ الْعَقْلِ وَالْفِطْنَةِ .

• تنبه إلى ظاهرة أدب اللفظ وتحسين العبارات علماؤنا القدامى، فسماها ابن فارس(ت٣٩٥ هـ) (**تحسين اللفظ**)،إذ قال:« يُكنى عن الشيء فيذكر بغير اسمه تحسيناً للفظ أو إكراماً للمذكور »، ولابن فضال المُجَاشِعِي (ت٤٧٩ هـ) كتاب عُنون له بـ" الإشارة في **تحسين العبارة**".

• أصّل القرآن الكريم لقضية أدب الألفاظ والعبارات وفق المستويات اللغوية.

• تتلاقى هذه الظاهرة مع الأصوليين فيما سموّه بِسَدِّ الذَّرَائِعِ، وَهِيَ الْوَسَائِلُ الَّتِي يُتَوَسَّلُ بِهَا إِلَى أَمْرٍ مَحْظُورٍ، فرأينا في هذه الظاهرة سدًّا لِذَرِيعَةِ اعْتِيَادِ اللِّسَانِ لِلْكَلَامِ الْفَاحِشِ، وَسَدًّا لِذَرِيعَةِ اتِّصَافِ النَّفْسِ بِمَعْنَى هَذَا اللَّفْظِ، فَإِنَّ الْأَلْفَاظَ تَتَقَاضَى مَعَانِيَهَا وَتَطْلُبُهَا بِالْمُشَاكَلَةِ وَالْمُنَاسَبَةِ الَّتِي بَيْنَ اللَّفْظِ وَالْمَعْنَى، وَلِهَذَا قَلَّ مَنْ تَجِدُهُ يَعْتَادُ لَفْظًا إِلَّا وَمَعْنَاهُ غَالِبٌ عَلَيْهِ.

• تؤكد هذه الظاهرة على اسْتِحْبَاب مُجَانَبَةِ الْأَلْفَاظِ الْقَبِيحَةِ وَالْأَسْمَاءِ، وَالْعُدُولُ إِلَى مَا لَا قُبْحَ فِيهِ.

• الدلالة الفقهية كما رأى فقهاؤنا القدامى،تتمثل في أن النهي عن هذه الألفاظ والعدول إلى غيرها ليس على معنى الإيجاب والحتم، وإنما هو من باب الأدب.

• إذا نظرنا إلى العلاقة بين اللفظ المحظور واللفظ المستحسن فإننا نلمح الترادف بينهما، وإذا كان الرازي(ت٦٠٦ هـ) قد قرر" أنه لَا يَبْعُدُ فِي

الْكَلِمَتَيْنِ الْمُتَرَادِفَتَيْنِ أَنْ يَمْنَعَ اللَّهُ مِنْ أَحَدِهِمَا وَيَأْذَنَ فِي الْأُخْرَى" (١)، فإننا نوافق العلامة البغوي(ت٥١٦ هـ) في أن ظاهرة أدب الألفاظ تقدح "في قولهم إنه يجوز في كل لفظين مترادفين أن يوضع أحدهما مكان الآخر" (٢).

• كان العربي القديم يلمح من المسميات المعاني والدلالات، وهذا ما أشار إليه ابن دريد(ت٣٢١ هـ) في مقدمة كتابه الاشتقاق، حيث قال:" واعلمْ أن للعرب مذاهب في تسمية أبنائها".

• الاسم غالبا يحمل ما يؤثر في طباع الإنسان، سلبا وإيجابا، وهذا ما أكده علم اللغة النفسي، فالاسم أهم أبواب الدخول للذات، وللأسماء تأثير كبير في صفات حامل الاسم، ورسم أهم المكونات في شخصيته العامة وطبائعه، وأخلاقه.

• القباحة في اللفظ قد تَحْدُث من استعماله في الموارد القبيحة.

• الدلالة النفسية(٣) للألفاظ أو الظلال التي تلقيها على نفس السمع عند سماعها لها دور كبير في اصطفاء ألفاظ ورفض غيرها.

• ظهر من دراسة هذه الأحاديث أن النبي ـ ﷺ ـ يدعو إلى استعمال اللفظ القرآني، فإن القرآن الكريم يعطي للفظ قدسية وديمومة، ولذا استحَبَّ النبي ـ ﷺ ـ لَهُمُ التَّمسُّكَ بالاسْم النَّاطق بِهِ لسانُ الشَّرِيعة، ولا يعدل إلى غيره إلا في سياقات الضرورة.

• على المرء أن يَدْفَع الشَّرَّ عَنْ نَفْسِهِ مَهْمَا أَمْكَنَ، وَيَقْطَعُ الْوَصْلَةَ بَيْنَهُ وَبَيْنَ أَهْلِ الشَّرِّ حَتَّى فِي الْأَلْفَاظِ الْمُشْتَرَكَةِ.

---

(١) مفاتيح الغيب للرازي (٦٣٤/٣).

(٢) إرشاد الساري لشرح صحيح البخاري ١٠٦/٩.

(٣) الدلالة النفسية: تلك الملامح والإشارات التي تنعكس على النفس الإنسانية، فتحدث فيها استجابة معينة، سواء أكانت لفظية أم حركية، إرادية أم غير إرادية (التعبير القرآني والدلالة النفسية: د. عبد الله محمد الجيوسي ص٤٢).

• يلاحظ أن النبي ـ ﷺ ـ كان يحظر استخدام لفظ ويستبدل به لفظا آخر، فالمسمى واحد وله لفظان، أحدهما يحظر، والآخر يحسن، وقد يكون اللفظ المحظور له مسميان: أحدهما يجب ألا يطلق عليه هذا الاسم ، والآخر يحسن أن يطلق عليه الاسم، نحو لفظ (الكرم).

• الأسماء التي حظرها الرسول ـ ﷺ ـ يرجع حظرها إلى ثلاثة أسباب هي: خلو الاسم الدلالة، فعَنْ سَهْلٍ، قَالَ: أُتِيَ بِالْمُنْذِرِ بْنِ أَبِي أُسَيْدٍ إِلَى النَّبِيِّ ﷺ حِينَ وُلِدَ، فَوَضَعَهُ عَلَى فَخِذِهِ، وَأَبُو أُسَيْدٍ جَالِسٌ، فَلَهَا النَّبِيُّ ﷺ بِشَيْءٍ بَيْنَ يَدَيْهِ، فَأَمَرَ أَبُو أُسَيْدٍ بِابْنِهِ، فَاحْتُمِلَ مِنْ فَخِذِ النَّبِيِّ ﷺ، فَاسْتَفَاقَ النَّبِيُّ ﷺ فَقَالَ: «أَيْنَ الصَّبِيُّ» فَقَالَ أَبُو أُسَيْدٍ: قَلَبْنَاهُ (١) يَا رَسُولَ اللَّهِ، قَالَ: «مَا اسْمُهُ» قَالَ: فُلَانٌ، قَالَ: «وَلَكِنْ أَسْمِهِ الْمُنْذِرَ» فَسَمَّاهُ يَوْمَئِذٍ الْمُنْذِرَ(٢)، أو قبح دلالة الاسم وإساءتها للمسمى ، مثل اسم (حزْن)، أو قبح المسمى وعدم جدارته بالاسم، مثل اسم (الكَرم).

• يحمل الأدب اللفظي في بعض هذه الأحاديث دلالة تربوية على الاعتقاد الصحيح، حيث أراد ـ ﷺ ـ بقوله: (ما لأحدهم يقول نسيت آية كذا وكذا، بل هو نسى) أن يجرى على ألسن العباد نسبة الأفعال إلى بارئها وخالقها، وهو الله، ففي ذلك إقرار له بالعبودية واستسلام لقدرته، وهو أولى من نسبة الأفعال إلى مكتسبها فإن نسبها إلى مكتسبها فجائز بدليل الكتاب والسنة .

• الْمَعْنَى فِي أكثر هذا الباب رَاجِعٌ إِلَى الْبَرَاءَةِ مِنَ الْكِبْرِ وَالْتِزَامِ الذُّلِّ وَالْخُضُوعِ لِلَّهِ ﷻ.

• قد يُنهى عن اللفظ تَنْزِيهًا لأمر شريف ديني عَنْ أَنْ يُطْلَقَ عَلَيْه مَا هُوَ

(١) أي: صرفناه (تاج العروس: ق ل ب).
(٢) صحيح البخاري(٦١٩١/٤٣/٨).

اسْمٌ لِفِعْلَةٍ دُنيوِيَّةٍ.

• من أسباب شهرة استعمال اللفظ كثرة مباشرته وغلبة التخاطب به مع الاستنكاف من ذكر الاسم الخاص به لنفرة الطباع عنه، فيُكنّون عنه بلازمه.

والحمد لله أولا وآخرا، وصل اللهم على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم.

ثبت بأهم المصادر والمراجع

١. **أحكام القرآن**: القاضي محمد بن عبد الله أبو بكر بن العربي (ت: ٥٤٣ هـ)، راجع أصوله وخرج أحاديثه وعلَّق عليه: محمد عبد القادر عطا، دار الكتب العلمية، بيروت – لبنان، الطبعة الثالثة، ١٤٢٤ هـ - ٢٠٠٣ م.

٢. **أساس البلاغة**: أبو القاسم محمود بن عمرو بن أحمد، الزمخشري جار الله (ت: ٥٣٨ هـ)، تحقيق: محمد باسل عيون السود، دار الكتب العلمية، بيروت – لبنان، الطبعة الأولى، ١٤١٩ هـ - ١٩٩٨ م.

٣. **الاشتقاق**: أبو بكر محمد بن الحسن بن دريد الأزدي (ت: ٣٢١ هـ)، تحقيق وشرح: عبد السلام محمد هارون، دار الجيل، بيروت – لبنان، الطبعة الأولى، ١٤١١هـ - ١٩٩١ م.

٤. **تاج العروس من جواهر القاموس**: للزبيدي (أبي الفيض السيد محمد بن محمد عبد الرازق مرتضي ت ١٢٠٥هـ)، تحقيق: علي هلالي ، ط حكومة الكويت ١٩٦٦م.

٥. **تاج اللغة وصحاح العربية** (الصحاح): لأبي نصر إسماعيل بن حماد الجوهري (ت ٣٩٣هـ) تحقيق: أحمد عبد الغفور عطار، دار العلم للملايين ، بيروت ، لبنان ، ط٤، ١٩٩٠م.

٦. **التحرير والتنوير**= «تحرير المعنى السديد وتنوير العقل الجديد من تفسير الكتاب المجيد»: محمد الطاهر بن محمد بن محمد الطاهر بن عاشور التونسي (ت : ١٣٩٣هـ): الدار التونسية للنشر ، تونس: ١٩٨٤م.

٧. **تحفة المودود بأحكام المولود**: محمد بن أبي بكر بن أيوب بن سعد شمس الدين ابن قيم الجوزية (ت: ٧٥١ هـ)، تحقيق: عبد القادر الأرناؤوط، مكتبة دار البيان – دمشق، الطبعة الأولى، ١٣٩١ هـ – ١٩٧١م.

٨. **التعبير القرآني والدلالة النفسية**: د. عبد الله محمد الجيوسي، دار

الغوثاني للدراسات القرآنية، دمشق، الطبعة الثانية ١٤٣٥ هـ/ ٢٠١٤م.

٩. **التعبير عن المحظور اللغوي والمحسن اللفظي في القرآن الكريم، دراسة دلالية:** عصام الدين عبد السلام محمد أبو زلال (رسالة دكتوراه)، كلية الآداب، جامعة القاهرة ١٤٢٢ هـ/٢٠٠١م.

١٠. **تقريب النشر في القراءات العشر:** للحافظ أبي الخير محمد بن محمد بن محمد بن الجزري(ت٨٣٣ هـ)، دراسة وتحقيق: د. عادل إبراهيم محمد رفاعي، مجمع الملك فهد لطباعة المصحف الشريف ١٤٣٣ هـ.

١١. **الجامع لأحكام القرآن:** لأبي عبد الله محمد بن أحمد الأنصاري القرطبي (ت٦٧١هـ)، راجعه وضبطه وعلق عليه د. محمد إبراهيم الحفناوي، خرج أحاديثه د. محمود حامد عثمان، دار الحديث، القاهرة، الطبعة الثانية ١٤٧١٦هـ/١٩٩٦م.

١٢. **دور الكلمة في اللغة:** ستيفن أولمان، ترجمه وقدم له وعلق عليه د. كمال محمد بشر، دار الطباعة القومية، القاهرة ١٩٦٢م.

١٣. **شرح صحيح البخاري لابن بطال:** ابن بطال أبو الحسن علي بن خلف بن عبد الملك (ت: ٤٤٩ هـ)، تحقيق: أبي تميم ياسر بن إبراهيم، دار النشر: مكتبة الرشد -السعودية، الرياض، الطبعة الثانية، ١٤٢٣ هـ - ٢٠٠٣م.

١٤. **الصاحبي في فقه اللغة العربية وسنن العرب في كلامها:** لأبي الحسين أحمد بن فارس بن زكريا (ت ٣٩٥ هـ) شرح وتحقيق: السيد أحمد صقر ، سلسلة الذخائر ٩٩ ، الهيئة العامة لقصور الثقافة ، يوليو ٢٠٠٣ م، قدم هذه الطبعة: د عبده الراجحي.

١٥. **الطرق الحكمية في السياسة الشرعية:** محمد بن أبي بكر بن أيوب بن سعد شمس الدين ابن قيم الجوزية (ت: ٧٥١ هـ)، تحقيق: نايف أحمد الحمد، دار عالم الفوائد مكة المكرمة، الطبعة: الأولى سنة-١٤٢٨ هـ.

١٦. **ظاهرة المحظور اللغوي في صحيح البخاري**: د. ناصر علي عبد النبي، مكتبة الآداب، القاهرة، الطبعة الثانية ١٤٣١ هـ/ ٢٠١٠م.

١٧. **علم الدلالة التطبيقي في التراث العربي:** هادي نمر، دار الأمل للنشر والتوزيع، عمان، الأردن، ط١، ٢٠٠٧م.

١٨. **علم الدلالة:** د. أحمد مختار عمر، عالم الكتب، القاهرة، الطبعة السابعة ٢٠٠٩م.

١٩. **علم اللغة الاجتماعي**: د. محمد حسن عبد العزيز، مكتبة الآداب، القاهرة ٢٠٠٩م.

٢٠. **علم اللغة التطبيقي**: د. سعد علي زاير، د. نعمة دهش فرحان الطائي، مؤسسة دار الصادق الثقافية، عمان، الطبعة الأولى ١٤٣٥ هـ/ ٢٠١٤م.

٢١. **علم اللغة الحديث في ضوء تراثنا العربي**: د. مصطفى أحمد محمد إسماعيل، الطبعة الأولى ١٤٣٩ هـ/ ٢٠١٧م.

٢٢. **علم اللغة النفسي**: د. عبد المجيد سيد أحمد منصور، نشر عمادة شئون المكتبات جامعة الملك سعود بالرياض ١٤٠٢ هـ/ ١٩٨٢م.

٢٣. **فتح الباري شرح صحيح البخاري**: أحمد بن علي بن حجر أبو الفضل العسقلاني الشافعي(ت٨٥٢ هـ)، رقم كتبه وأبوابه وأحاديثه: محمد فؤاد عبد الباقي، قام بإخراجه وصححه وأشرف على طبعه: محب الدين الخطيب، دار المعرفة - بيروت، ١٣٧٩ هـ.

٢٤. **الفصول المفيدة في الواو المزيدة**: صلاح الدين أبو سعيد خليل بن عبد الله الدمشقي العلائي (ت: ٧٦١ هـ)، تحقيق: حسن موسى الشاعر، دار البشير – عمان، الطبعة الأولى، ١٤١٠ هـ ١٩٩٠م.

٢٥. **في علم اللغة الاجتماعي**: د. عبد المنعم عبد الله محمد (د.ت).

٢٦. **القاموس المحيط**: مجد الدين أبو طاهر محمد بن يعقوب الفيروزآبادى

(ت: ٨١٧ هـ)، تحقيق: مكتب تحقيق التراث في مؤسسة الرسالة، بإشراف: محمد نعيم العرقسُوسي، مؤسسة الرسالة للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت – لبنان، الطبعة الثامنة، ١٤٢٦ هـ - ٢٠٠٥ م.

٢٧. **القواعد الأخلاقية لتغيير أسماء الصحابة**: د. أحمد الصاوي، مجلة الأزهر، رمضان ١٤٤٠ هـ مايو ٢٠١٩، الجزء ٩ السنة ٩٢.

٢٨. **لسان العرب**: للإمام العلامة أبي الفضل جمال الدين محمد بن مكرم بن منظور الإفريقي المصري (ت ٧١١هـ)، دار صادر ـ بيروت، الطبعة السادسة ٢٠٠٨م.

٢٩. **المحظور اللغوي بين اللامساس والتلطف في التعبير**: بدر بن سالم بن جميل القطيطي، مجلة كلية الآداب، جامعة بنها، ع٤٠ ج ١، إبريل ٢٠٠٥م.

٣٠. **المحظورات اللغوية، دراسة للمستهجن والمحسَّن من الألفاظ**: د. كريم زكي حسام الدين، مكتبة الأنجلو المصرية، ط١، ١٤١٠ هـ/١٩٨٥م.

٣١. **المدخل إلى علم اللغة الاجتماعي**: د. محمد حماد، دار الثقافة العربية ١٤٢٣ هـ/ ٢٠٠٣م.

٣٢. **مرقاة المفاتيح شرح مشكاة المصابيح**: علي بن سلطان محمد، أبو الحسن نور الدين الملا الهروي القاري (ت: ١٠١٤ هـ)، دار الفكر، بيروت – لبنان، الطبعة الأولى، ١٤٢٢ هـ - ٢٠٠٢م.

٣٣. **مشكاة المصابيح**: محمد بن عبد الله الخطيب العمري، أبو عبد الله، ولي الدين، التبريزي (ت: ٧٤١ هـ)، تحقيق: محمد ناصر الدين الألباني، المكتب الإسلامي – بيروت، الطبعة الثالثة، ١٩٨٥م.

٣٤. **معاني القرآن**: لأبي زكريا يحيي بن زياد الفراء (ت ٢٠٧ هـ) تحقيق د/ عبد الفتاح إسماعيل شلبي، مراجعة: أ / علي النجدي ناصف،

الهيئة المصرية العامة للكتاب ٢٠٠١ م .

٣٥. **مفاتيح الغيب (التفسير الكبير)**: فخر الدين محمد بن عمر التميمي الرازي الشافعي (ت ٦٠٤ هـ)، دار الكتب العلمية، بيروت، الطبعة الأولى ١٤٢١ هـ.

٣٦. **مقاييس اللغة**: لأبي الحسين أحمد بن فارس بن زكريا (ت ٣٩٥هـ) تح: الشيخ عبد السلام هارون، طبعة اتحاد الكتاب العرب، ١٤٢٣هـ/٢٠٠٢م.

٣٧. **نظم الدرر في تناسب الآيات والسور**: إبراهيم بن عمر بن حسن الرباط بن علي بن أبي بكر البقاعي (ت: ٨٨٥ هـ)، دار الكتاب الإسلامي، القاهرة.

٣٨. **نهاية المرام في معرفة من سماه خير الأنام**: يوسف بن حسن بن أحمد بن عبد الهادي (ت٩٠٩ هـ): حققه وقدم له وعلق عليه: صالح بن محمد بن عبد الفتاح بن عبد الخالق، ذخائر مجلة الوعي الإسلامي، الكويت، الإصدار الثاني والثمانون ١٤٣٥ هـ / ٢٠١٤م.

تم والحمد لله